+

كنائس حى المعادى

على باب المحبة ..

كيف تتحقق المحبة فى حياتنا ؟

تقديم
نيافة الحبر الجليل
الأنبا دانيال
أسقف المعادى والبساتين

بقلم
د. مجدى فرج

+

علي باب المحبة..

أبواب المحبة

الحب

الكره

المحبة الإلهية

حياة المحبة

الثبات في محبة الله

الجهاد في محبة الآخر

تقديم

نيافة الحبر الجليل

الأنبا دانيال

أسقف عام المعادي والبساتين

بقلم

د. مجدي فرج

الكتاب : علي باب المحبة..

المؤلف : د. مجدي فرج

الطبعة : الأولي نوفمبر ٢٠١٠

الناشر : مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالمعادي

الكتابة الإلكتروبية والإخراج الفني : د. مجدي فرج

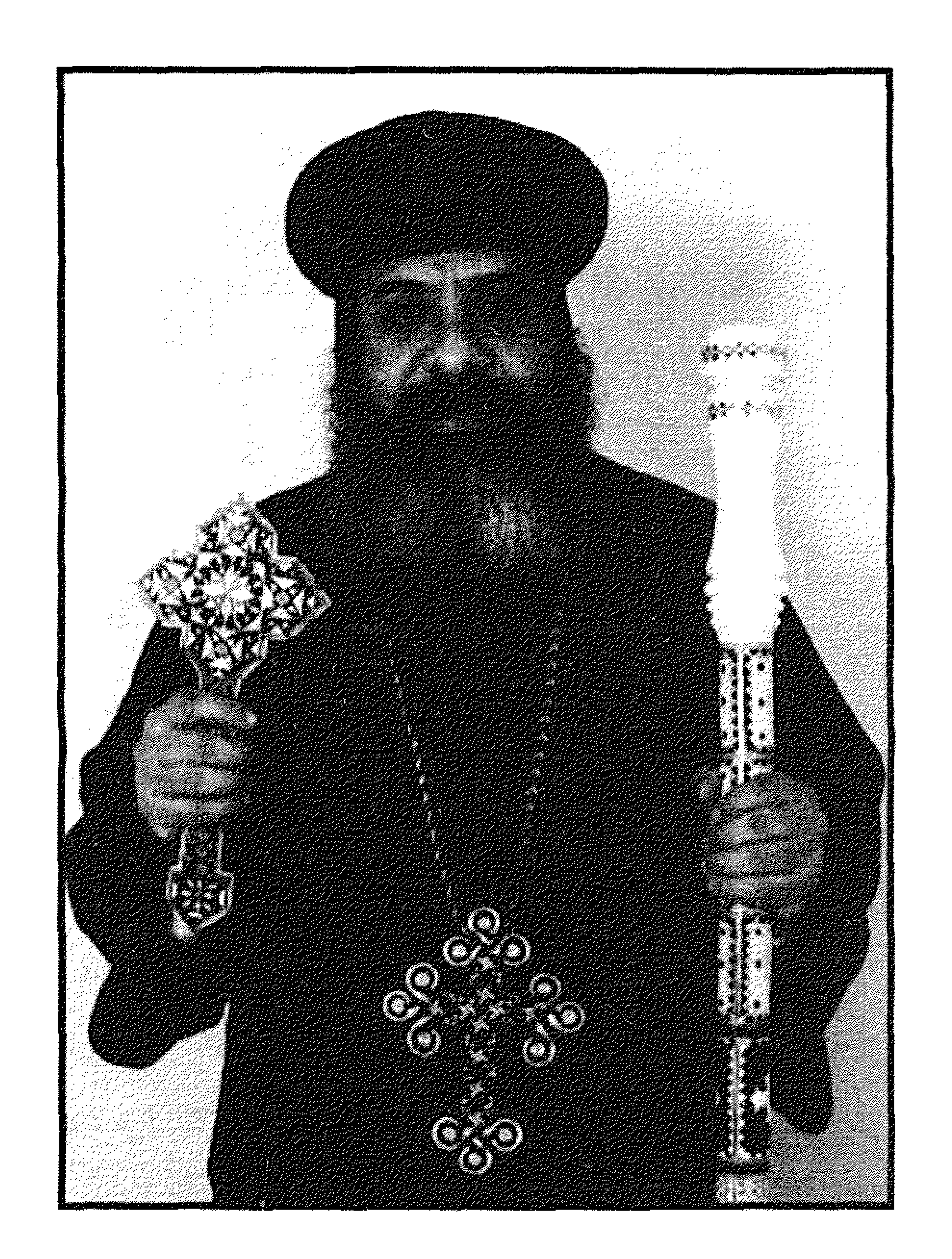
المطبعة : ميناس برنت ت:٢٥٨٩٢٩٩٢

رقم الإيداع : ٢٠٩٤٨ / ٢٠١٠



قداسة البابا المعظم

الأنبا شنودة الثالث



نيافة الحبر الجليل

الأنبـــا دانيــال

أسقف عام المعادي و البساتين

تقديم نيافة الحبر الجليل الأنبا دانيال

لاشك أن المحبة هي عنوان المسيحية بل هي الصفة اللاصقة لله دائما منـذ أن خلـق الملائكـة والحيوانات والبشر وسائر المخلوقات لمجرد مسرته ومحبته لإسعاد مخلوقاته.

وقد تكللت هذه المحبة بأعظم تضحية في التاريخ عندما نزل الله من علو سماه وتجسـد وصـار إنسانا وصلب ومات حبا فينا وإنقاذا لنا من الموت الأبدي.

وكاتب هذا الكتاب أسهب في وصف محبة الله الغير محدود. وهو إن كان كتب عنها بطريقـة مشوقة لكنها أيضا قاصرة لأنه لا يستطيع إنسان أن يصف هذه المحبة الغير مدركة للبشر.

ثم أن الله سكب هذه المحبة في مخلوقاته، فهوذا الشمس والقمر والنجوم في خدمة البشر. كذلك الأنهار والبحار والأودية كلها تقدم – بأوامر إلهية- نماذج محبتها للخليقة كلها.

ثم أكمل وتمم الله ناموس محبته في توصية الناس أن يحبوا بعضهم بعضا. بل أن ربنا يسوع المسيح اعتبر محبة الناس وصية مساوية للوصية الأولي في محبة الله والثانية مثلها تحب قريبك مثل نفسك (متى ٢٢ : ٣٧-٣٩). وللأسف الناس في ضعفهم وخضوعهم للشيطان كـاره المحبـة وزارع الحقـد والكراهية بعدوا عن المحبة حينا وحرفوا معناها السامي إلي معان منحرفة، فهل يـصدق أن القبلـة علامة المحبة تصبح الوسيلة التي يسلم بها يهوذا الاسخريوطي معلمه للصلب. وانتشرت الأنانية ومحبة الذات بدلا من المحبة وبذل الذات.

في هذا الكتاب يتجول الدكتور مجدي فرج بين تعريف المحبة وتحقيق المحبة والبعد عن الكراهيـة ورفض الآخر، مستعينا بشهادات المحبة الإلهية.

أشكر الكاتب لهذا الكتاب الرائع، وهو الذي ظل لسنوات وسنوات يعطينا كل سنة كتابا جديدا ندرسه ونتمتع بإرشاداته. ولا شك أنه يقوم بعمل مضني لكي تصل إلينا كلمة الله واضحة وواقعية في تنفيذها.

أرجو بركة ومحبة لكل من يقرأ الكتاب وبركة العذراء ومحبة الشهداء والأبرار، وبركة أبينا صاحب القداسة البابا شنودة الثالث تشملنا جميعا أمين

+

الأنبا دانيال

الأسقف العام للمعادي

مقدمة

لماذا هذا الكتاب؟

الحب كلمة فقدت معناها من كثرة استعمالها فأصبحنا ندعو للحب ولا نعرف كيف يتحقق الحب، نغني للمحبة ولكننا لا نعرف حقيقة ما نغني له.. وفي الواقع نجد المحبة مهانة ومجروحة بين الناس ومذلولة ومكسورة ولا تجد من يجبرها، فالمشكلات والخلافات بين الناس تفاقمت وزادت وازدادت تعقيدا وحدة، فالشباب كثرت مشاكلهم العاطفية وتعقدت علاقاتهم، والخلافات الزوجية وانهيار الزيجات في تزايد مطرد، وحوادث العنف العائلي زادت وكثرت صراعات الأخوة، وزادت خلافات الخدام حدة داخل الكنيسة الواحدة، وزادت القسوة في معاملات أبناء الوطن الواحد مع بعضهم البعض وانتشر بينهم العنف والتعصب، وحينما بدأ عصر العولمة وحدث انفتاح علي العالم وصار العالم قرية واحدة كما يقولون وتوقعنا تقارب الناس ولكننا بدأنا نسمع عن صراع الحضارات، وصراع الشرق مع الغرب، ولم يعرف الناس كيف يتعاملون مع المختلفين عنهم وكيف يقبلون الآخرين.

ومع ازدياد القيم المادية في العصر الذي نحياه استبدل كثير من الناس المحبة بالشهوة، وصار الحب عندهم جنس استهلاكي وامتلاك للآخر. وبسبب إيقاع العصر السريع وقسوة الحياة زادت روح الرفض بدلا من القبول وانتشرت الكراهية بدلا من الحب، وفقد كثير من الناس قدراتهم علي التعايش مع الآخر سواء كان قريباً أو غريباً، ورادت العداوة بيهم لأتفه الأسباب.

لقد أصبحت قضية التعايش ومحبة الآخر من القضايا التي تحتاج إلي اهتمام بعدما تفاقمت المشكلات وتعقدت العلاقات وأصبحت مشكلة قبول الآخر من المشكلات التي طفت علي السطح، وجاء الآن الدور علي الخدام والمهتمين أن يبذلوا جهدا حقيقيا في معالجة الأمر ونشر روح المحبة مرة

أخري بين الناس، وهذا لا يتحقق بالدعوة للحب ولكن بتعليم الناس حقيقية الحب، وتقديم نموذج حي لتحقيق الحب في علاقتهم، وهذا يتطلب منا تعميق تعليمنا عن المحبة وشرح أبعادها وتوضيح كيف يمكن أن تتحقق المحبة في أرض الواقع وكيفية التعامل مع مشكلات التعايش والاختلاف والعداوة. وإن كانت المحبة صارت كلمة بلا مصمون، فعلي الخدام إعادة المضمون للكلمة بالتعليم الجاد والعميق وليس باللعب علي مشاعر الناس ووجدالهم. كذلك صار علي الخدام تحدي كبير أن يقدموا نموذجاً للمحبة متحقق في حياهم وعلاقاهم وخاصة مع بعضهم البعض، وهذا التحدي تحديدا قد وضعه السيد المسيح لتلاميذه حينما قال لهم " بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضاً لِبَعْضٍ». (يوحنا ١٣ : ٣٥) فإن كنا تلاميذ للرب ونريد إظهاره للعالم فلابد أن ننجح في محبة بعضنا البعض، كذلك المحبة المتحققة بين أعضاء الكنيسة الواحدة سوف تكون الشرارة التي تشعل المحبة مرة أخري في حياة الأزواج، والأسر، والوطن، والعالم كله، فالعالم منتظر من الخدام أن يري فيهم كيف تتحقق المحبة، ومنتظر نار محبتهم لتقوي كل محبة ضعيفة في حياهم.

كثيرا ما ندعو في تعليمنا لنبذ الكره وتمكين المحبة لكل الناس، ولكن الناس محتارة.. تريد تحقيق المحبة ولكنها تجد مشاعر الكره والبغض تملئ قلوبهم، وتجد حولها من يكرهم ويبغضهم ويضمر لهم العداوة، ونزداد حيرة أكثر عندما تجد نصوص كتابية تتحدث عن بغض الله وكراهيته للأشرار ولبعض ممارساتنا، فكيف لله المحبة أن يبغض ؟! لذلك نحتاج أن نفهم كيف تتولد الكراهية في قلوبنا، وكيف نتحلص من الكره ولا نسجن في ظلمة الكراهية.

لقد ازداد التدين في العصر الحالي، ولكن هل ازدادت محبة الناس لله؟! لقد ازداد تدين الناس لأن الناس تحتاج للتدين لأسباب عديدة، ولكن هل محبة الله هي أقوى الأسباب وأولها؟!

ليس كل تدين معناه محبة لله، وليس كل تدين يمكن أن يقود إلي شركة محبة الله، من السهل أن يصير الإنسان متدينا، ولكن ليس من السهل الدخول في خبرة محبة الله، ويسقط كثيرون في أوهام الحب ويحاولون أن يسقطوها علي علاقتهم بالله، ويتساءل الصادقون من المتدينين، لماذا لا نشعر بمحبة الله؟ كيف استطيع أن أحب الله؟

إننا لا نستطيع أن نحب الله بحسب مفاهيمنا عن الحب، فالحب مشوه في أذهاننا، ومعقد في علاقاتنا، وضعيف في أخلاقنا، وإن كانت الوصية تدعونا "تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ

كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. (متى ٢٢ : ٣٧)، فهل من اللائق أن نحب الرب بقلب معقد من كثرة تجاربه المحبطة عن الحب، وبذهن فيه الحب مشوشر، وبإرادة لم تقو علي الحب؟!

إننا لا نستطيع الدخول في شركة محبة الله ونحن لا نعرف كيف يحب الله؟ وكيف يعبر الله عن حبه؟ وما معني أنه محبة؟ وبالتالي كيف أعرف أني محبوب من الله؟! وكيف أتلمس محبة الله الشخصية لي في حياتي؟! الم يحن الأوان لنتخلص من أوهامنا التي جعلتنا نضع تصورات نفسية لمحبة الله لنا ونتوهم حب الله لنا، الم يحن الوقت لندخل في شركة حقيقية مع الله ونتعرف علي الروعة الحقيقية لمحبة الله لنا.

وإن كنا لا نعرف محبة الله، فكيف لنا أن نعرف ثمار دخولنا في شركة محبة الله، المحبة لابد أن تكون مثمرة، فما هي الثمار التي نجنيها من شركة محبة الله؟ وما هي التغيرات التي تحدث فينا وفي حياتنا من شركة محبة الله لنا؟

هذا الكتاب

يناقش الكتاب **حقيقة الحب** ويبحث كيف يتطور الحب فينا ليثمر ويحدث تغيرا حقيقيا في شخصيتنا وفي حياتنا. الحب ليس مشاعر وعواطف وليس مجاله الوجدان فقط ولكنه أخلاق ووصال وعطاء باذل، ونحن نحتاج أن نفهم كيف يتحرك الحب في وجداننا لنضبط إيقاعه ونفهم مشاعرنا ونحسن من أدائها، وكذلك نحتاج أن نتعلم كيف ندعم حبنا بأخلاقنا، ونحتاج أن نتعلم مهارات الوصال ليسري الحب بيننا، ونتعلم كيف نعطي ليتحقق الحب فينا ويشبعنا ويفرحنا. الحب الحقيقي هو حب مثمر فما هي ثمار الحب وكيف نرعاه ليثمر.

يناقش الكتاب غموض قضية تلازم الكراهية والحب، ويبحث لماذا توجد فينا مشاعر الكراهية؟ وكيف نتعامل معها لئلا نسجن في شرها وتقتل الحب فينا. ويناقش ما معني أن الله محبة ويبغض في نفس الوقت.

يناقش الكتاب معني الإعلان الكتابي " الله محبة " ويحاول أن يستوضح سر الوحدانية ومنه نفهم كيف يتحقق الحب، وسر شخص الله المحب ومنه نعرف كيف نعبر عن الحب ونسلك بالحب، وعمل الله في محبته، ونتعلم منه كيف يكون الحب خلاقا، وكيف لا يسقط الحب ولا يهزم، فالحب

مخلّص وهو سر الخلاص، ومعني محبته للبشر وكيف يحبنا حبا حقيقيا ويدخل معنا في علاقة حقيقية فيها تجاذب ووصال وكيف يخلصنا ويمجدنا معه.

يناقش الكتاب في الباب الثاني تحقيق المحبة عمليا وواقعيا، فكيف نحب الله عمليا ويتحقق ذلك، وكيف نقدر علي محبة الآخر بطريقة عملية.

يناقش الكتاب قضية هل نحن نحب الله أم نحن أحباء الله؟ وما معني أننا نحب الله، كيف نتحقق من محبتنا لله؟ ويقول الكتاب "نحن نحبه لأنه أحبنا أولا "، فالأمر يحتاج إلي حس روحي وانفتاح قلبي علي محبة الله، ويحتاج لجهاد للثبات في محبته فهكذا هي وصية الرب لأحبائه " أثبتوا في محبتي ". فيناقش كيف نثبت في محبة الله؟

يناقش الكتاب كيف نحب الآخر ويبحث أسباب صعوبة تحقيق محبة الآخر، وكيف يمكن أن تتحقق المحبة عمليا وما هي شكل محبة القريب، فالمحبة لها أشكال عديدة في التطبيق والتعامل مع الآخر، فيناقش كيف بالمحبة يكون الآخر أخ مساو لنا.. ويناقش كيف نحقق تلك المساواة عمليا، وكيف نتسامح مع أخطاء المقربين ونتعايش مع الغرباء وكيف نواجه عداوة الأعداء. كما يناقش التعايش والمشاركة كفعل محبة، وكيف نحققه وكيف نتعامل مع الصعوبات العملية في تنفيذ ذلك.


الباب الأول
أبواب المحبة
الحب
الكره
المحبة الإلهية


أيُّهَا الأحِبَّاء،
لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً،
لأنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللّهِ،
وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللّهِ
وَيَعْرِفُ اللّهَ.
١ يوحنا ٤ : ٧

الفصل الأول



حقيقة الحب

التجاذب في الحب

الترابـــط في الحب

الإثمـــــار في الحب

حقيقة الحب

صَادقِينَ فِي الْمَحَبَّة...

(افسس٤ : ١٥)

الحب اختبار لا يُعرف

الحب ليس له تعريف فهو "أمر" يختبره كل إنسان، وبالرغم من أن كل واحد منا يستطيع أن يصف تجربته الخاصة في الحب ولكن ولا واحد منا يستطيع أحد أن يصف ما هو "الحب"!!

المحبة ليست فضيلة يمكن وصفها مثل الوداعة واللطف والتواضع..الخ ويمكن تصور سلوك الشخص الذي يمتاز بتلك الفضيلة ولكن الشخص المحب لا يمكن تصور شكل محدد لسلوكه ولا لردود أفعاله.

المحبة غير الفضائل وهي أكبر من الفضائل والمواهب حتى الروحية منها، وهذا ما جعل بولس الرسول يقول "إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نُحَاساً يَطِنُّ أَوْ صَنْجاً يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلَسْتُ شَيْئاً. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئاً." (١كو ١٣: ١-٣).

المحبة خبرة إنسانية وظاهرة روحية في حياتنا، ويحاول المفكرين والفلاسفة والأدباء والشعراء رصد هذه الظاهرة وتحليلها من زوايا مختلفة، ولقد أثروا الإنسانية عبر التاريخ بالكثير من الإبداعات الفلسفية، والقصصية، والشعرية، والفنية، عن الحب وعن تجاربه وخبراته، كذلك حاولت الأديان الإنسانية المختلفة البحث في أصل المحبة وغايتها ونسجت حولها الكثير من المعتقدات والأساطير،

وكثرت الأساطير عن آلهة الحب، وعن حب الآلهة وكثرت معها الإشكاليات الدينية والتساؤلات اللاهوتية عن الآلهة وعن الحب، مثل هل يجوز للإله أن يحب؟! وما هي طبيعة هذا الحب الإلهي؟! وكيف تنشأ علاقة الحب بين الإلهة والبشر؟! وكيف يكون الإله إلها متساميا وهو يحب وفي الحب تنازل وارتباط.. أليس هذا ضد السمو الإلهي وضد الحرية الإلهية...

برغم أن الحب خبرة أصيلة في حياتنا إلا أنه معضلة عقلية حينما نحاول أن نفهمه ونحلله ونخضعه للمنطق العقلي، ولا أظن أن مثل هذا الكتاب وطرحه للمسألة سوف ينجح فيما فشلت فيه البشرية قبلا بكل مفكريها وأدبائها وأدبائها، ولكنه محاولة من أجل التعمق في تفهم هذه الخبرة بهدف إثرائها في حياتنا وتفعيل طاقتها لتكون وقودا روحية يثري جوانب عديدة في حياتنا الروحية والعملية.

وإن كان الحب هو خبرة خاصة ولا يصح التعميم فيها، فأن هذا الطرح يحاول مساعدة كل شخص علي مراجعة تجربته الخاصة ويستكشف أبعادها ويتعمق في فهمها لتزيد من قبوله لنفسه، وارتباطه بالله، وتنجح معاملاته مع الآخر.

المحبة قوة روحية ونعمة إلهية:

المحبة قوة روحية للترابط وليست فكرة للتأمل ولا نزعة عاطفية، المحبة قوة مولدة لكل معرفة والموصلة للمعرفة الكلية ومعرفة المعني والقيمة، وهي القوة المولدة للفضائل والقيم ومؤسسة الشخصية، وهي القوة المنظمة لكل قواعد الخير والسعادة وأصل كل أخلاق جيدة.



المحبة قوة الترابط والوحدانية الخلاقة.. فحينما تحب نفسك أي تربط جسدك مع نفسك تظهر ذاتك، وحينما تربط ذاتك بالآخر تظهر شخصينك، وحينما تربط شخصك بالله يظهر المسيح فيك...

ما معني هذا؟

لكي نفهم الأمر لابد أن نرجع للكيفية التي خلق بها الله العالم والحياة، فالله من محبته خلق الكون وجعل الحب أساس تكوينه، فجعل كل ما في الكون من خلائق ومخلوقات يتكون نتيجة ترابط وتفاعل.. وجعله قائم ومستمر بالتفاعل والترابط، فنجد الذرات التي هي أصغر العناصر المادية تتفاعل مع بعضها وتترابط وتكون المركبات، والمركبات تتفاعل مع بعضها وتترابط فتكون جسيمات، الجسيمات تتفاعل فتكون أشكال الحياة المختلفة، فكل ما في الوجود هو قائم علي التفاعل والترابط.

المحبة الخلاقة هي التي عملت علي ترابط الجزيئات والعناصر وتزاوجها لتظهر أنماط الحياة المختلفة، فبدون الترابط لا توجد حياة لأي مخلوق ولا حياة لأي كائن.

لقد أعطي الله لكل جزيء، ولكل ذرة، ولكل مركب، ولكل جسم مادي قدرة علي التجاذب والتواصل والتزاوج لترتبط بآخر، وتتجمع في تفاعل حيوي مستمر، ينتج حياة ويخلق الموجودات والكائنات. هذه القدرة هي ما نسميه "الحب"، فالمحبة قدرة طبيعية وضعها الله في خليقته وجعلها أساس الحياة، وقد وضعت في شكل **تجاذب فيزيائي وتفاعل كيميائي** بين الدرات والمركبات لتكوين الأجسام، ووضعت في شكل **غريزي** لتتجادب المخلوقات وتتفاعل ويحدث اتصال بينها، فتخصب بعضها البعض وتلد المزيد من الكائنات الحية، ووضعت في شكل **روحي** فتتجاذب الشخصيات وتتلاقي لتعي نفسها ووجودها وتقدر علي الإبداع الخلاق وتطور شحصيتها وحياتها.

فإن كانت المحبة هي القوة التي تحدث الترابط والتفاعل الخلاق، فلنعلم أن هذه القوة هي نعمة إلهية ويصعب فهمها والسيطرة عليها وتوجيهها، ولكننا نحاول تفهم عملها فينا، وفهم تفاعلاتها المختلفة، لنحسن التجاوب معها لنستفيد من نتائجها في إخصاب حياتنا وتطوير شخصيتنا.

ما هي طبيعة المحبة وما هي تفاعلاتها؟

المحبة ليست فورة عاطفية أو هوجة نفسية ولا هي قوة جاهلة تحتاج إلي ترويض وسيطرة مثل قوة النار التي تحرقنا وتدمرنا إن لم نحسن السيطرة عليها واستغلالها، ولكنها قوة هادفة وحركتها منظمة لها قواعدها ولها تفاعلاتها، فالمحبة قوة للترابط الحكيم يحكمه نظام هادف وليست تجمع بالصدفة، وهي تربط من أجل ما هو أكبر بكثير مس الإشباع العاطفي والارتياح النفسي، وأهم من

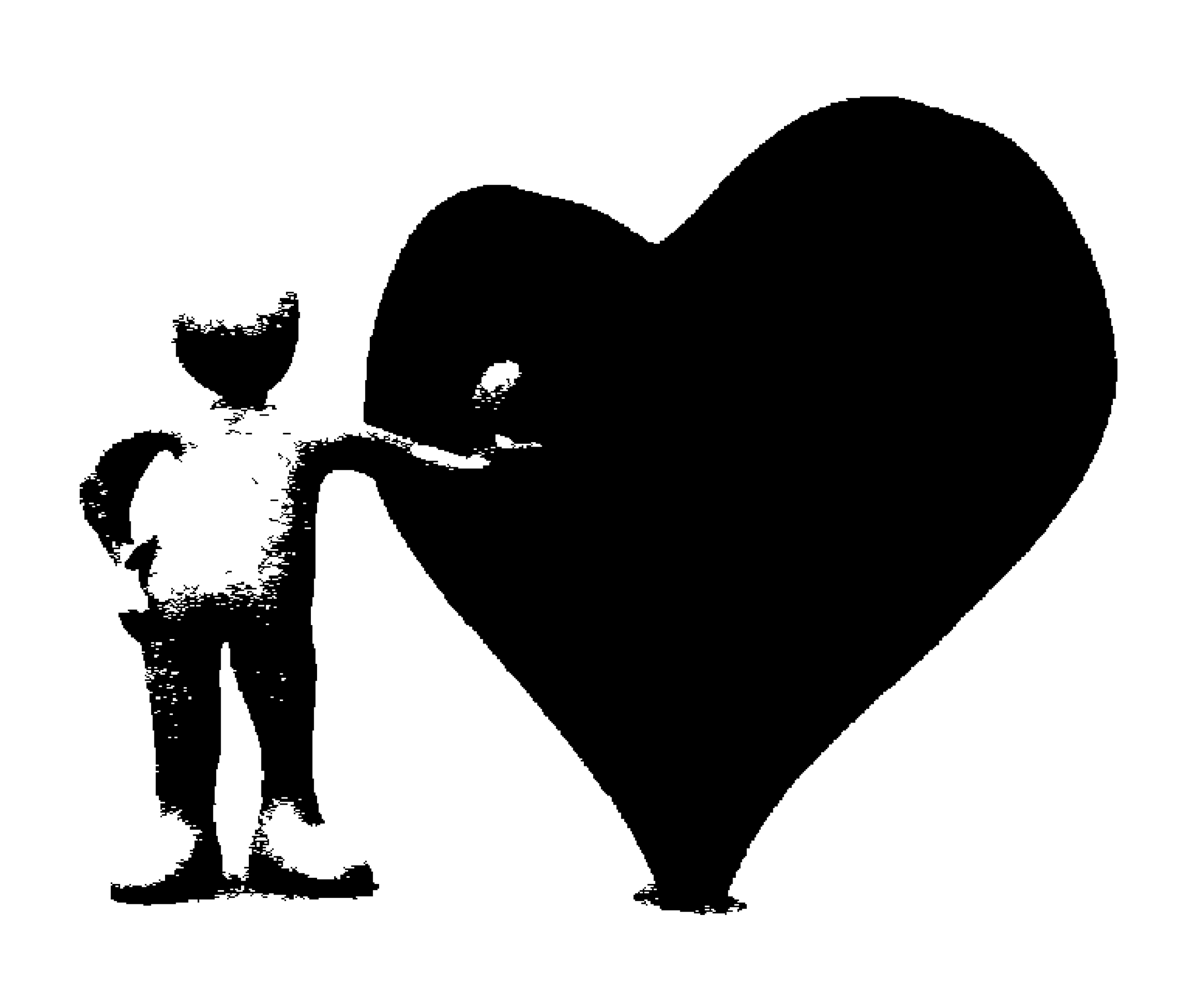
كسر العزلة والخروج من حالة الانغلاق علي الذات، ويتم الارتباط فيها بحسب قواعد وقوانين لا تعرف العشوائية ولا الصدفة.

فإن كان الحب مصدره الله الخالق، فالمحبة وسيلة تحمل في داخلها إرادة الله الخيرة الهادفة لخلق كل ما هو حسن ولكل ما يحقق سعادتنا، وتحمل في تفاعلاتها حكمة الله المنظمة للحياة والتي تحقق الجمال والكمال. **فالحب قوة هادفة وحركة حكيمة**، والحب في حياتنا تظهر قيمته كلما تحرك نحو هدفه.. وكلما كانت حركته متوافقة مع حكمة الله ومشيئته.

الحب بالطبيعة موجود فينا وهو الذي يحركنا نحو الترابط والتفاعل مع الحياة، ومع الآخر، ومع الله، ولكنه يتعثر فينا في بعض الأوقات ويتعقد وقد ينقلب نحو الكره بسبب جهلنا به وبسبب الشر الموجود فينا؛ ولذا كي ما يكون الحب فينا قوة خلاقة ومصدر لسعادتنا فأنه يحتاج منا وعي وتفهم، ونقاء روحي، فتيار المحبة لا يستقيم في حياتنا إلا بالوعي والطهارة.

فلنعي المحبة.. ونجاهد من أجل نقائها.. ولنحترس لئلا يتوقف سريان تيارها فينا فتضيع حياتنا هباء وتفسد شخصيتنا فلا تصلح للحياة الأبدية ولا لعشرة الله.

ومادام الحب قوة هادفة فلابد له من قوانين تحكم عمله، ومادام يحمل حكمة الله فلابد أن يكون طاهر ونقي، فما هي قوانين الحب، وكيف تكون تفاعلاته تفاعلات طاهرة ونقية؟



أولا: قانون التجاذب في الحب

لماذا نجد أنفسنا نعجب ببعض الناس وننجذب لأشخاص معينين، ولماذا ننجذب بشدة في بعض الأحيان لأشخاص بعينهم، ونصير من المعجبين بهم، ونهيم بهم ويصيرون أبطالنا الذين يثيرون خيالنا وأحلامنا؟ ولماذا ينجذب البعض منا بشدة لشخص ما ويقع في حبه من أول نظرة — كما يقولون؟!

إنها المحبة العاملة فينا، والتي تولد الإعجاب والانجذاب والارتياح، فكل حب لابد وأن يبدأ بإعجاب وانجذاب يدفع للدخول في تجربته.

خروج المرء من انغلاقه علي ذاته واكتفائه بذاته يحتاج إلي قوة تشده خارج نفسه وتثير رغبته في التفاعل والمشاركة والترابط، هذه القوة هي الجاذبية التي توجد لدي الآخر.

اقتراب الناس منا وإثارة رغبتهم في الحياة معنا والارتباط بنا يحتاج أن تكون لنا قوة تشدهم نحونا، هذه القوة هي جاذبيتنا.

أن نجد مكاننا بين الناس ونحدد مكانتنا عند بعض الناس فالأمر يحتاج تفعيل التجاذب بيننا وبينهم، ونجاح تجاذبنا مع الناس سوف يضعنا في المكان الصحيح في قلوبهم، ويعرفنا من الذين يمكننا الارتباط بهم.. وينجح ارتباطنا بهم.. ويكون ارتباطاً مثمراً وخلاقاً.

ما هي سمات التجاذب في الحب؟

التجاذب حركة مستمرة من الجذب والانجذاب إلي أن نرتاح للبعض فنبدأ تكوين روابط معهم ونؤسس شركتنا بهم ونكون شبكة علاقاتنا الاجتماعية، وهكذا تستمر وتتعمق حتى نجد شريك العمر ونرتبط به برباط لا ينفصم، ونبدأ في اختبار التجاذب العميق حتى نصل إلي أعماقه وتتحد روحنا بروحه.

التجاذب حركة وجدانية، تعتمد علي المشاعر والأحاسيس، فيها نخرج مشاعرنا التي تعبر عن شخصيتنا، وتدفعنا مشاعرنا لنسلك بما يعبر عن حقيقية شخصيتنا. **فالتجاذب يعتمد علي قدرتنا علي التعبير عن أنفسنا وشخصيتنا**، كما ينمي التحاذب قدراتنا علي التعبير عن أنفسنا في نفس الوقت.

التجاذب حركة قلبية، فكلما كان التجاذب عميقاً ويتجه نحو أعماق الآخر كلما كان قويا وناجحا ويصل بك إلي اكتشاف المحبوب المناسب لك، وكلما كان يعبر عن أعماقك كلما كان ناجحا في جذب المحبوب المناسب لك.

أن التجاذب السطحي ينشئ علاقات سطحية وحب هش، والتجادب المريض ينشئ علاقات معقدة وأشباه حب وليس حبا حقيقيا.

إن كان التجادب حركة قلبية وجدانية، فكل نجاسة في القلب وكل مشكلة وعقدة نفسية سوف تؤثر بشدة علي تجادبنا وتعوق دخولنا في الحب الحقيقي والارتباط السليم، لذلك نصحنا القديس بطرس "أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ" (١بطرس ١ : ٢٢) قال ذلك لأن المحبة الحقيقية والترابط الخلاق لا يتحققان إن كانت هناك نجاسة في القلب، فالنجاسة والهوى تعوج التجادب في مساره وتقلبه نحو الغواية والخداع، وعقدنا النفسية تمرض تجاذبنا فنخطئ في الاختيار والارتباط.

التجاذب فن مثير :

يتميز الحدب بأنه دعوة لطيفة، لا يوجد فيها إكراه بل إغراء، ولا يصلح بالأمر بل باللطف، ولابد أن تثير هذه الدعوة حلم السعادة والانطلاق، وتحمل في طياها وعد بالتكامل والارتياح. التجاذب استعراض مثير يثير الآخر بدون ابتذال، وفضول في الاقتراب بدون اقتحام.

اللطف أهم سمات التجاذب، فلا يوجد حب بالإكراه أو بالإجبار، ولا يمكن أن يستمر حب تحت ضغط أو قهر.

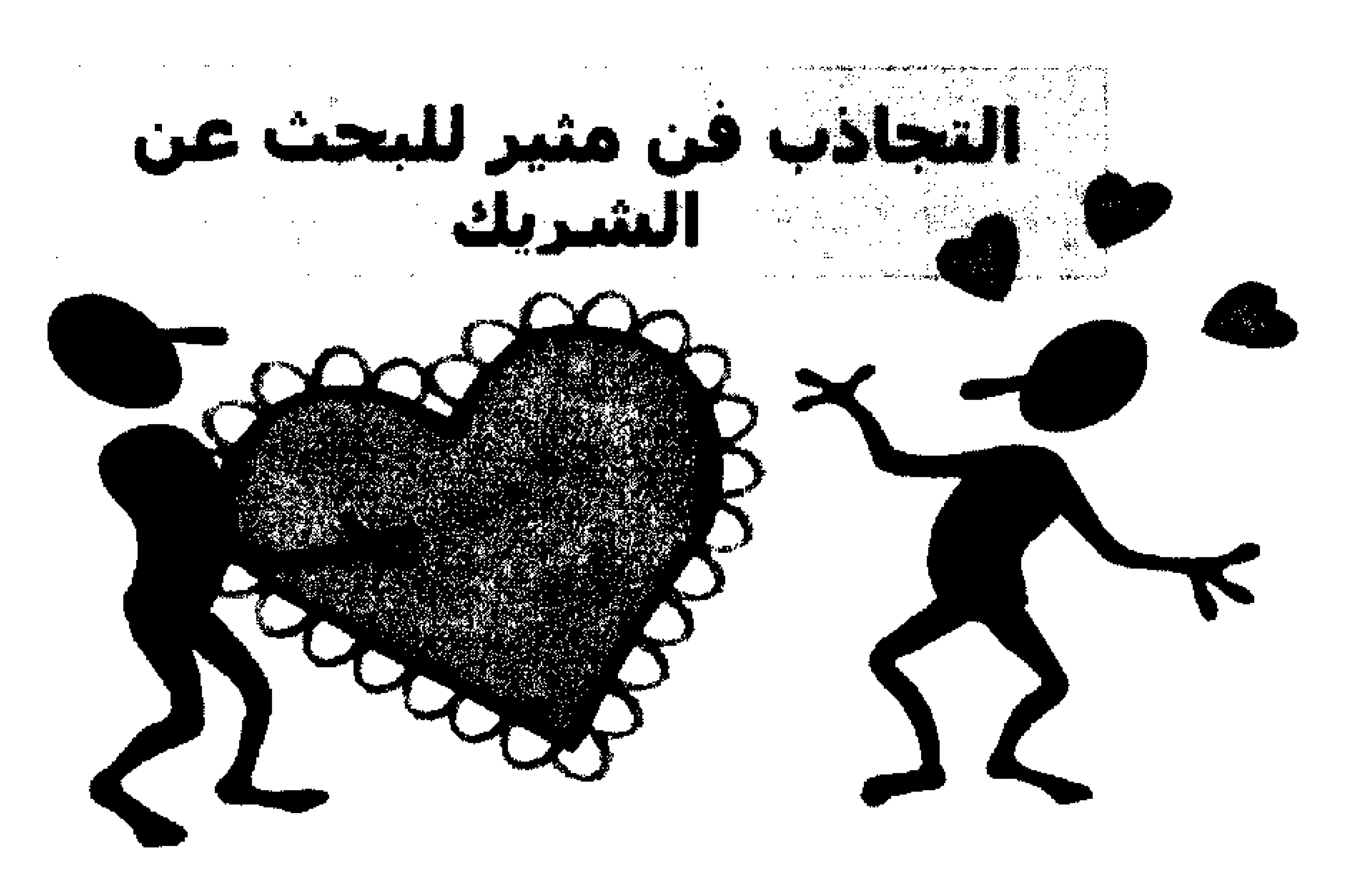
يفضل البعض وصف لحظة دخوله في تجربة حب بأنه "وقوع" في الحب، فالانجذاب في الحب انزلاق وانجراف لذيذ له متعته، ولا يوجد به أي نوع من المشقة أو الألم أو القيد.

أنك تستطيع فرض أي أمر علي أي شخص وإجبار أي شخص علي سلوك معين بالقسر والقهر ولكنك لا تستطيع مهما كانت قوتك وسلطتك وسطوتك أن تفرض حبك علي أحد أو تفرض علي شخص ما أن يحبك.

العنف طارد للحب واللطف جاذب له، **فكلما كنت شخصية قاسية وعنيفة كلما قلت فرص الحب في حياتك.** فإن كان الودعاء يرثون الأرض كما يقول الكتاب فذلك لقدرتهم العالية علي جذب قلوب الناس. حتى المخادعين الأشرار الذين يجذبون الآخرين لمكيدتهم، فإنهم يتفننون في خداعهم، فالخداع يحتاج إلي مكر بطريقة ناعمة حتى ينجح في الوصول لهدفه.

وإن كنا نتساءل عن سبب فشل البعض في حبهم فسوف نجدهم قد استبدلوا التجاذب اللطيف بالعنف المقيت ومالوا للقهر والإرهاب.

التجاذب يحوي في داخله دعوة للسعادة، فلا أحد يعجب بما لا يشعره بالسعادة من أي نوع، ولا ينجذب أحد لأمر لا يري خيره فيه.



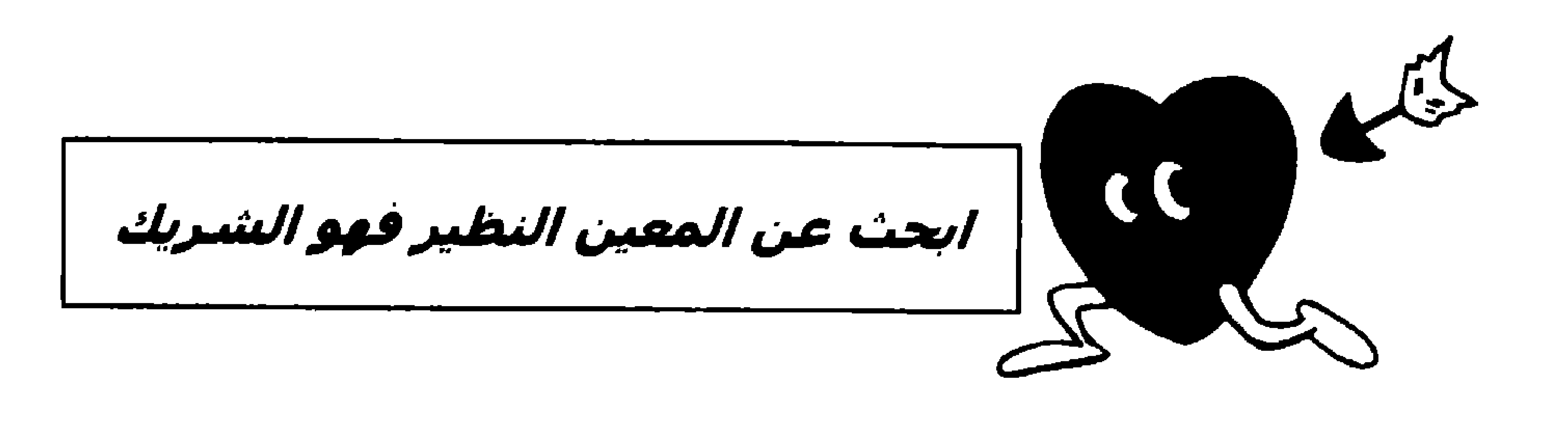
إننا لا ننجذب إلا للأشياء الجميلة والتي نري كمالها، والتي نأمل أن تحقق لنا متعة وسعادة فتثير فضولنا وشهيتنا، وتثير رغباتنا في التقارب والتعارف والمشاركة. فإن لم يري أحد فيك نية لخيره أو قدرة علي إسعاده فلن يقبل عليك.

حتى الشيطان نفسه وقوي الشر يجذبون الناس نحوهم بإغراء يحوي في ظاهره وعد بالسعادة والخير، فالحية القديمة جذبت الإنسان الأول نحو شرها بحلم "التأله" — أن يصيرا مثل الله.

أن قوة جاذبيتك تقاس بقدر قوتك الحقيقية علي صنع البر ونشر الفضيلة إن كنت بارا، وللأسف كذلك بقدرتك علي خداع الناس ووهمهم إن كنت شريرا.

كيف يحدث التجاذب؟

التجاذب له أشكال مختلفة ويتم بطرق عديدة، وهو محصلة عوامل كثيرة، ولكنه في مجملة يحكمه أمران: الانجذاب للمثيل، والانجذاب للمكمل.



فنحن نخاف من الوحدة ونريد أن نجد أحد مثلنا ليخرجنا من شعورنا بالوحدة، كما نحتاج لمن يعيننا ويسدد احتياجاتنا ويشبعنا. وكما يصف الكتاب كيف أن "آدم" في جنة عدن كان يبحث عن "المعين النظير"، وأن الله حلق له حواء "نظير معينا" له. (تكوين٢: ١٨-٢٥).

في انجذابنا للنظير، وفي بحثنا عمن يشبهنا ويكون مثلنا، ومتوافق معنا، ننجذب بدنيا، فالشكل والمظهر يصنعان الانطباعات الأولي.. فالإعجاب بشكل ومظهر الآخر أمر أساسي في بداية الانجذاب للدخول في تجربة الحب والترابط، ولكن لماذا ننجذب لشكل دون الآخر ولمظهر دون الآخر، وما الذي يحكم هذا التجاذب البدني؟

نحن ننجذب إلي من نشعر أنه معادل لنا في جاذبيتنا في الشكل، فالصورة الجسمية للذات (body image) تحكم تجاذبنا البدني، فمن كان مهتما بشكله ومظهره بصورة كبيرة ينجذب لمن يمتاز بالأناقة والجمال، ومن كان مهتما بصحته وسلامته ينجذب للأقوياء والأصحاء في مظهرهم، وهكذا.

ثم بعد التجاذب البدني يحدث تجاذب نفسي اجتماعي، فنحن ننجذب لأنماط معينة من الشخصيات، ونعجب بسلوك الشخص وننجذب للوسط الذي يحيا فيه.

نحن ننجذب لمن يتقارب معنا في الاتجاهات والاهتمامات، فكلما كنا متقاربين في الاهتمامات وفي المبادئ والسلوك كلما انجذبنا لبعضنا البعض وكلما اختلفنا في الاتجاهات والاهتمامات حدث بيننا تباعد وتنافر، فالطيور علي أشكالها تقع كما يقول المثل الشائع. ولقد وُجد أن التقارب في

الاهتمامات السياسية والدينية من أكثر الأمور التي تحقق التقارب بين الناس بل وأكثر من تماثلهم في السمات الشخصية.

نحن ننجذب لمن نشعر معه بالألفة، فالتجاذب يسهل إن كان الشخص الآخر من نفس الوسط الاجتماعي والثقافي والديني، فالتجانس يعزز التجاذب بين الناس.

نحن ننجذب لمن نتقارب معه في سماته الشخصية، فالشخصيات تتقارب من حيث نمطها، وقبولها، وانفتاحها، وأسلوبها في إقامة العلاقات.

*****

في انجذابنا للمعين، نحن ننجذب للشخص المستعد للإنصات لنا، والذي يسعي للاستماع لنا، والذي ينجح في إثارة رغبتنا في الحديث والفضفضة عن أنفسنا وكشف أسرارنا، ويشجعنا أن نبوح له بتفاصيل حياتنا، بل والذي نشعر معه بالسعادة عندما نكشف له عن شخصيتنا وعن حياتنا.

نحن ننجذب لمن نشعر معه بالأمان، وأننا قادرون معه علي إشباع حاجاتنا المادية والنفسية والروحية.

نحن ننجذب لمن يشعرنا بكفاءتنا الذاتية، ويشعرنا بقيمتنا ومدي أهميتنا في حياته وقدرتنا علي إضافة شيئا له.

*****

التجاذب الذي هو أولي خطوات دخولنا في الحب، هو محصلة عوامل عدة وقد نعي جانب منها وقد لا ندرك الجوانب الأخرى ولكن ليس معني ذلك عدم تأثيرها بل هي مؤثرة وتحكم تجاذبنا حتى برغم عدم وعينا لها، ولكننا في العادة نركز علي جانب معين يكون له أهمية وأولوية لدينا أكثر من غيره.

يعتمد التجاذب علي كيفية رؤيتنا لأنفسنا وتقديرنا لأنفسنا، وينعكس ذلك علي رؤيتنا للآخر وتقديرنا له، وكذلك فإن اهتماماتنا وقيمنا وأخلاقنا تقربنا من نوعية معينة من الأشخاص وتبعدنا عن نوعية أخري، كما أن أهدافنا وأحلامنا تجعلنا نبحث عمن يشاركنا هذا الحلم ويقدر أن يتعاون معنا لتحقيقه. وكذلك نحن نبحث وننجذب لمن نقدر علي عمل تفاعل جيد معه، ويكون مصدر آمان لنا، ونلقي عنده التقدير والاحترام.

إن النظرة الدونية للذات وضعف إحساسنا بالكرامة، وكل اهتمام رديء وعادة سيئة لدينا مع ضعف الأحلام أو قلة التطلعات المشروعة، تؤثر بشكل سلبي علي اختيارنا لأصدقائنا وأحبائنا.

يعتمد التجاذب كذلك علي الكيفية التي بها نري الآخر ونقيم شخصيته، وكثيرا ما يتساءل المقلبين علي الزواج كيف أعرف الآخر؟ وكيف أعرف مدي صحة مشاعري وصدقها ؟ أنه سؤال هام ونحتاج أن نجيبه قبل أن نحدد مدي انجذابنا وارتياحنا له.. وهل نري فيه النظير المكمل لنا.

الارتباط يعتمد علي الارتياح، والارتياح يعتمد علي قوة التجاذب، فنحن نحب بقلوبنا، ولكن لكي لا يكون هناك تسرع في قرار الارتباط والحكم علي نجاح التجاذب والارتياح، لابد أن نتدرب علي فهم الآخر بوضوح ولابد أن نحاول معرفة هذه الأمور عنه **بالإنصات العميق له، والتحاور معه، ومن ملاحظة تصرفاته:**

- معرفة معتقداته وقيمة وخاصة الدينية والأخلاقية والسياسية والعائلية والجنسية، وذلك بالاستماع لآرائه حول هده الأمور.
- معرفة خلفياته: نوعية تعليمه وثقافته، خلفيته العائلية وظروفها، وطبيعة مهنته ونوعية المؤسسة التي يعمل فيها.
- معرفة علاقاته السابقة (علاقته بزملائه وأصدقائه وارتباطاته السابقة)، ومنها نعرف أسلوبه في معاملاته (هل هو متسلط، هل هو منقاد، هل هو حازما)، أسلوبه في حل المشكلات، أسلوبه في الحوار، وطريقته في التعاطف والمجاملات، وهل هو مستقل أم شخص اعتمادي، وكذلك أسلوبه في التعبير عن مشاعره، هل هو مازح أم رومانسي، هل هو متحرر أو فج أو سوقي.
- معرفة اهتماماته المهنية وطموحه، وكدلك اهتماماته وهواياته: الموسيقية، الرياضية، التعليمية.
- معرفة سماته الشخصية وعاداته: مثل مدي أمانته، تحمله المسئولية، طموحه، قدرته علي الانجاز، وعلي التفهم، ومدي انفتاحه، تقديره لذاته، مدي استقلاليته، وطهارته واستقراره، وهل هو معامر، وهل يتمتع بروح المرح، والدعابة.

- معرفة مشكلاته الشخصية وعاداته الرديئة: مثل الإدمان- الغش – الكذب – التشكك، وهل هو انسحابي ولا يقوى علي تحمل المسئولية، هل هو عنيف ومدي عنفه، هل عصبي المزاج ومدي تحكمه في عواطفه.

إن كانت المعرفة التي جمعنها عن شخصيته وتقييمنا له يعزز ارتياحنا القلبي، فإننا نصير جاهزين للارتباط، وإن حدث تعارض فإن الأمر يحتاج إلي مزيد من الوقت وإعادة نظر حتى نعيد تقيمنا ونتأكد من صدق ارتياحنا.



ثانيا: قانون الترابط في الحب

الحب اختيار والاختيار حرية. فإن كانت لا توجد حرية بدون اختيار، فهكذا لا اختيار بدون حب.

الحب اختيار لارتباط، وندحل فيه بكامل حريتنا ونستمر فيه بكامل إراداتنا، إن فقدت الحرية فيها في أي لحظة فقد معها الحب.

من المؤسف نسيان البعض لتلك الحقيقية في اختار حبه، ويبدأ يحول أربطة المحبة إلي قيود يقيد بها شريكه محاولا السيطرة عليه وامتلاكه، وصدق أحد الكتاب حينما قال أن بين الحب وغريزة التملك خيط رفيع. أننا نفسد الحب حينما نحوله لقيود نقيد بها من نحبه.

كذلك عندما يستغل البعض الحب في إشباع رغبته في السيطرة والتحكم، فنجد البعض من الآباء والأزواج يحاولون السيطرة علي أبنائهم وأقرانهم تحت مسمي الحب.

المحبة روابط ولكنها ليست بقيود، والارتباط فيها عبارة عن تفاعلات وتعاملات إنسانية، ولا تعتمد علي القوانين والأعراف، ولا مبادئ الحقوق والواجبات، ولا تحتاج لمراقب للتأكد من سلامتها، ولا تحتاج إلي قوة جبرية لفرضها واستمرارها.

المحبة روابط تعتمد علي جهد طرفيها، وكلما زاد جهدهما كلما زاد ترابطهم وقويت محبتهم، وكلما برد تفاعلهم وفتر تعاملهم كلما ضعف ارتباطهم وأصبحت روابطهم سهلة التفكك، وكلما كانت تفاعلاتهم معقدة كلما تعقدت روابطهم ومرض حبهم.

يحتاج الحب إلي روابط تفاعلية جيدة ليستقر وينمو، ومن أهم هذه الروابط: الالتزام الأمين، والتواصل المستمر، والبذل المتبادل. لنتعمق في فهم الأمر :

أ- الالتزام والأمانة في الحب

لا تنمو علاقة حب ما لم يشعر طرفيها باستقرارها، لذلك يحتاج الطرفان إلي تأكيدات بصدق العلاقة وجديتها وسعي طرفيها للحفاظ عليها، ولذلك نجد المحبين تكثر بينهم الوعود والعهود، وتثور الغيرة من وقت للآخر إن شعر أحدهما بوجود أمر يهدد استمرارية علاقتهما.

إن كان الحب موقف نفسي يعتمد علي تركيباتنا النفسية وميولنا القلبية، ولكنه يحتاج أيضا إلي موقف أخلاقي يعتمد علي قيمنا الأخلاقية وإراداتنا الحيرة، ومن هذه المواقف الأخلاقية: الإخلاص والوفاء.

الحب الحقيقي هو موقف أخلاقي، إخلاص ضد الخيانة، ووفاء ضد الغدر.

يحتاج الحب الإخلاص فنقاوم كل ميل نحو الخيانة والتحلل من الالتزام، والاندفاع وراء شهواتنا، ورغباتنا في كسر الملل، وضعفنا واستسلامنا لأي إغراء وغواية.

من المؤسف أن الذين يخونون ويغدرون بأحبائهم يحاولون تبرير خيانتهم دائماً بأخطاء الآخر ويدّعون عليه أنه هو الذي دفعهم لهذا الطريق، ولكن حقيقية الأمر أن الخيانة والغدر استعداد يكمن فيهم، وهو ضعف أخلاقي عندهم لم يحاولوا إصلاحه، وقد يكون متأصل فيهم، وسمة من سمات شخصيتهم.

الخائن لا يعرف الحب بل الهوى والشهوة، ولا ينمو في حياته الحب الخلاق، وكل حب عنده ينقلب سريعا نحو الكره.

الخيانة ضعف يضعف الشخصية ويجعلها شخصية منحلة بلا فضائل ولا سمات تقويها وتظهرها.

الإخلاص حصن نحصن به الحب ضد المغامرات والشهوات وتقلباتنا النفسية والعاطفية. الإخلاص انتباه مستمر لئلا يدخل غريب في علاقاتنا فيفسد فيها. **الإخلاص أن تضع حدود وخطوط حمراء لئلا يتعدي غريب علي حقوق أحبائك.**

إن الشك في الإخلاص من عذابات المحبين، فالشك عذاب يفرغ الحب من فرحته وينتقص من سعادته. لذلك المُخلص في حبه يعمل دائما علي بناء الثقة وتقويتها يوم بعد يوم وموقف فوق موقف ولا يسمح للشك أن يتسرب يوما ليفسد حبه.

الوفاء رعاية مستمرة للحب، فالإهمال يقتل الحب. الحب نار تخمد إن تركت لحالها وتزداد اشتعالا أن غذينها وحرصنا علي استمرار اشتعالها. الحب زرعه يتوقف نموها وتموت إن لم تسقِ وترع.

يحتاج كل حب إلي عناية ورعاية، كما يحتاج إلي ما يغذيه وإلي ما ينقيه من المشاكل والانحرافات.

كل علاقة حب تحتاج لاستمرارها إلي ابتسامة ومجاملة، وإلي مشاركة ومعانقه، والي لقاء وصفاء، وبدون ذلك تترل الأيام بثقلها ومشاكلها علي الحب وتقتله..



ب- التواصل من أجل الآلفة:

التواصل ليس هو الحب ولا هو علامة الحب ولكنه ضروري لنجاح الحب. الحب آلفة والتواصل هو الذي يصنع الآلفة. الألفة أن يصير الآخر أليف لك وتقول له: أَنْتَ إِنْسَانٌ عَدِيلِي إِلْفِي وَصَدِيقِي.. الّذِي مَعَهُ تَحْلُو لَنَا الْعِشْرَةُ، فالآلفة والعشرة تحتاج تواصل مستمر حتى تدرك أن الآخر معادلا لك، وترتاح له، ولا تستغربه يوما ما، ويسهل معه الأخذ والعطاء، وتشعر بحلاوة الحياة من عشرته.

يحتاج تحقيق الآلفة بين المحبين إلي تواصل من نوع خاص، تواصل إنساني عميق، تواصل فيه فهم وتفهم، وفيه راحة وارتياح. تواصل قنواته مفتوحة علي العطاء والأخذ، ويجعل للعشرة لذتها وسعادتها.

تواصل يجعلك **تفهم من هو** وتدرك أنه "آخر" مميز، ومختلف، وله أحلامه الخاصة، وأن له حقوق عليك، وله توقعاته منك. فمن الأمور التي تفسد فهمنا للآخر وخاصة "المحبوب" أننا نستغرق في رؤية أنفسنا فيه وننسي أن نراه "هو" في خصوصيته وتميزه وفرادته، وقلقا أن يكون هو حقا نظيرنا ومعيننا يجعلنا نفتش بلهفة وباستمرار عن نقاط توافقنا معه، وننتظر باستعجال تحقيقه لتوقعاتنا منه وإشباعه لحاجاتنا عنده.

أننا نحتاج أن نتواصل معه حتى نكتشف فرادته وخصوصيته ومن ثم نقدر علي محبته مثل أنفسنا كما يقول الكتاب تحب قريبك مثل نفسك، فلكي يتحقق هذا الأمر لابد أن تكتشف أن قريبك هو مثل نفسك وكما تهتم بنفسك تهتم به، وكما لك خصوصية فهو أيضا له خصوصيته. فالحب أن تألف خصوصية الآخر ولا تفاجئ بها يوما، لأنك سعيت لتعرفها و لم تنتظر لتطل عليك فتصدم بها.

في التواصل من أجل الآلفة نحتاج إلي **التفهم، أن نقبل أنه "آخر"** ونقبل اختلافه ونقدر تميزه ونحترم حقوقه ومشروعية أحلامه وتوقعاته منا.

نتفهم مشاعره ونحترمها ونشاركه فيها برغم استغرابنا لها في بعض الأحيان، نتفهم قدراته ونقبل محدوديته وضعفه البشري، نتفهم أفكاره وآراءه وكيف أنها وجهة نظر لها وجهاتها وواجبة الاحترام. نتفهم أحلامه وتطلعاته وكيف أنها رغباته التي يتطلع إليها. نتفهم أن له احتياجات تحتاج إشباع ونقدر انتظاره لنا لمساعدته علي تحقيق إشباع احتياجاته.

التفهم يوسع القلب لاحتواء الآخر، فالقلب يتسع ويضيق بحسب قدرته علي التفهم.

يحتاج الفهم والتفهم إلي نوعية معينة من الإنصات ومن الانفتاح علي المحبوب، إنصات يبذل فيه جهد كبير لفهم الشخص من وراء كلامه وتعبيراته، ولإدراك أفكاره ومشاعره وقيمه واتجاهاته. إنصات يبذل فيه جهد كبير لتعلم احترام الآخر، وعدم إدانته علي أفكاره ولا نستهين بمشاعره ولا نتصارع مع قيمه ولا نحقر من اتجاهاته، بل نتفهم أفكاره ويكون لنا رأي فيها ونحدد ما نتفق معه فيها وما نختلف معه، ونتفهم مشاعره ونشاركه فيها ونحاول أن نعرف مسبباتها ونتناقش معه في ردود فعله تجاهها، ونستوضح قيمه الروحية والأخلاقية ونقارنها مع قيمنا ونعرف أين نتلاقى وأين نتباعد. ونحترم اتجاهاته وعاداته ونتعلم كيف نتكيف معها بما لا يصطدم مع اتجاهاتنا وعاداتنا.

الفهم والتفهم أمور صعبة، وهو **جهاد الحب**، ونحتاج فيه تعلم مهارات الإنصات الفعال، ونتدرب عليها حتى نجيدها مع الأيام ونتخلص من عيوب الإنصات مثل الاستماع الانتقائي وسوء الفهم وسوء الظن، كما يحتاج الأمر إلي صبر ففهم الآخر أمر صعب بقدر صعوبة فهمنا لأنفسنا، وقبول الآخر أمر صعب في صعوبة قبولنا لأنفسنا ورضانا عن أنفسنا.

في هذا التواصل لابد أن ترتاح حينما تعبر عن نفسك، وتستطيع أن تكشف أعماقك بتلقائية وبدون خوف ولا خجل وكذلك يرتاح معك الآخر، فالراحة في الحب هو أمر نتبادله، فلابد أن تكون مريحا يسهل فهمك لبساطتك ووضوحك، لذا تحتاج أن تعرف كيف تكون مفهوما، أن تكون صادقا، أن تكون واثقا، أن تكون شجاعا.

أن تستخدم لغة يستطيع الآخر أن يفهمها، فتعلم لغة الآخر وأعطه فرصه حتى يتعلم لغتك فتكون لكما لغتكما المشتركة التي لا يفهمها غيركما.

أن تسقط الأقنعة التي تتخفي وراءها خوفا من سوء الظن وسوء الفهم ومن ردود الفعل، أن تكون واثقا من نفسك فيثق الآخر فيك، أن تكون شجاعا تقول بما يعبر عن نفسك لا بما يرضي الآخر... فلا تنافق، ولا تراوغ، ولا تخادع.

في هذا التواصل لابد أن تريح محبوبك الذي يبذل الجهد لينصت إليك ويحاول أن يفهمك ويتفهمك، فلا تكن غامضا ولا مزعجا ولا ثقيلا عليه ولا تصعب المسألة عليه، فهناك فنون للتعبير والحوار، فإن كان الأمر مهارة وفن، فتعلم مهارات التعبير والإقناع والتفاوض والتحاور، وأبدع في اختيار الكلمات.. وأحسن من اختيار الأوقات.. فتكون أليفا مريحا يسهل العيش معك.



ج- البذل عطاء شخصي:

أننا نعطي لأسباب كثيرة، فقد يكون عطاؤنا شفقة وإحسان، وقد يكون سخاء وكرم، وقد يكون مشاركة وتعاون، ولكن العطاء في الحب أمر مختلف فنحن لا نعطي لأن العطاء من سماتنا ويدعم إحساسنا بالبر الشخصي، ولا نعطي لأننا أخذنا وجاء دورنا لنعطي، أو لأننا نعطي منتظرين المقابل، ففي مثل هذه الأحوال يكون العطاء عطاء من أجل الذات ومن أجل المنفعة، ولكننا في الحب الحقيقي **نعطي لنشبع احتياج عند المحبوب**، فالمحبوب هو دافعنا للعطاء، واحتياجه هو الذي يحدد لنا ماذا نعطي. ويجعل عطاءنا بلا حساب وبلا مقابل، ولا نكف عن عطائه مهما كلفنا الأمر حتى تحقق إشباعه، مثل الأم التي تبذل دمها طوعا من أجل إنقاذ ابنها الذي يترف حتى وإن كلفها ذلك حياتها. قد لا يكون الأمر بهذا الشكل الدرامي ولكنه لابد له أن يتم بهذا السيناريو.

فكل عطاء في الحب لا تري فيه نفسك بل الآخر وتركز علي إشباع احتياجه هو بذل محبة، وكل عطاء تكون فيه مستعدا لفتح كل خزائنك المادية والنفسية ووقتك وقدراتك من أجل الآخر هو بذل محبة، وكل عطاء تضحي فيه براحتك وسعادتك وحياتك من أجل آخر هو بذل محبة.

يقول الكتاب: إِنْ أَعْطَى الإِنْسَانُ كُلَّ ثَرْوَةِ بَيْتِهِ بَدَلَ الْمَحَبَّةِ تُحْتَقَرُ احْتِقَاراً. (نشيد الانشاد ٨ : ٧). فليس كل عطاء هو دليل حب، ولكن عطاء الحب أمر مختلف، هو عطاء لمحبوب تعرفه وتعرف احتياجه، هو عطاء مدروس نجتهد فيه أن يكون مناسب ومشبع لاحتياج المحبوب، هو عطاء فيه تعب واجتهاد وتضحية فيه تَسعد عندما تُسعد المحبوب.

العطاء في الحب عطاء واعي وهادف، يعي احتياج المحبوب ويهدف لإشباع احتياجه. يفشل الآباء في محبتهم لأولادهم بالرغم من سخائهم في عطائهم لأنهم يعطون ما يعرفون عطاؤه، وما يظنون أنه يسعد أبنائهم، ولكن في حقيقية الأمر لم يكن هو ما يحتاجه أبناؤهم، فكثير من الآباء يركزون علي الاحتياجات المادية وينسون أن أبنائهم لهم احتياجات نفسية وعاطفية وروحية. الآباء معذورون لأنهم لا يعرفون عن العطاء إلا العطاء المادي والقليل عن العطاء المعنوي، ويجهلون الكثير عن احتياجات الأبناء. يتطور الحب ويتعمق ويتحول نحو الحب الباذل عندما يجتهد الآباء في معرفة احتياجات الأبناء بالدراسة وبالاستماع الجيد لهم وبملاحظتهم، كذلك عندما يجتهدوا في فهم قضية العطاء وكيفية إشباع احتياجاتهم ويطورون طرقهم في عطائهم لإشباع أبنائهم. هكذا يكون الأمر في كل عطاء محبة بين الأزواج وبين الأصدقاء وبين الخدام والمخدومين.

العطاء في الحب بذل مؤلم، تصلب فيه الذات، ويصير المحبوب أولا، كما يقول الكتاب ".. **مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فِي الْكَرَامَةِ**" (رومية ١٢ : ١٠)، ليس المؤلم في عطاء الحب الجهد الذي نبذله من أجل المحبوب فهو اجتهاد له متعته ويحمل فرحته في داخله، ولكن المؤلم في الحب هو مقاومة كل أنانية وميل للتقوقع والانغلاق والعزلة والتركيز علي حقوقنا وحاجاتنا عند الآخر. عطاء المحبة ينجح ويصير بذلا حينما يكون العطاء فيه أكثر من الأخذ.

عطاء الحب هو بذل لا يعرف الحساب، فلا يعطي بمقدار ما يأخذ، ولا يعطي منتظرا مقابل، هو عطاء خالص بلا مقابل، ولا يعطي منتبها لمقدار ما يعطيه، ولا يصلح فيه الجزء بل هو عطاء الكل

عطاء الحب هو عطاء صادق.. بذل للشخصية كما هي، عطاء من صنعك واجتهادك، يحمل بصمتك وتوقيعك فيصير عطاءً أصيلا. عطاء لا يخدع الآخر. عطاء صادق.. يري فيه محبوبك قلبك قبل عملك، وحبك قبل هديتك، وشخصيتك قبل دمك.

البذل من أقوى وأعمق روابط المحبة ولكنه من الروابط التي تحتاج إلي صدق في النية وجهد كبير حتي يتحقق ويقوي، من المؤسف أنها توجد الكثير من العلاقات والزيجات المستقرة والمتكيفة ولكن لم يتحقق فيها هذا البذل، إن الأمر يحتاج قوة روحية وقدرة علي تحمل الألم والصبر حتى الاستشهاد.

حينما يبذل أحد من أجل أحبائه فهو يكون حبا عظيما، وحينما يكون البذل متبادل تكون الحياة رائعة وخصبة وتتحول إلي فردوس....



الحب بذل يسدد احتياج عند المحبوب

ثالثا :قانون الإثمار في الحب

التجاذب في تجربة الحب مثير وله متعته، والترابط مشبع عاطفيا وله لذته، فهل نحن نحب من أجل الإثارة والمتعة فقط؟! لا... فقيمة الحب في ثماره، فالحب وإن كان مثيراً وممتعاً إلا أن ثماره أعظم، فكل حب حقيقي يغيرنا وكل نجاح في الحب يقابله تغيير في حياتنا نحو الأفضل.

إن كان الأبناء ثمرة الحب الزوجي، فما هي ثمار الحب فينا وما الذي يجعلنا نتأكد أن الحب متحقق فينا ونجح وأثمر؟

١- المعرفة ثمرة المحبة:

المعرفة وعي، والحب يجعلك تعي نفسك، وتعي الآخر، وتعي المعني والقيمة للحياة (المعرفة الكلية). **بدون المحبة لا توجد معرفة**، فالمحبة تكسر الغموض، وتكشف الأسرار.

الانغلاق علي الذات لا يجعلك تفهم نفسك، ولا يساعدك علي فهم الناس، الانغلاق علي الذات يجعلك شخصا غامضا ويزيد من غموض الناس بالنسبة لك، كما أن محاولة قراءة الكتب النفسية ودراسة العلوم السلوكية لا يساعدك كثيرا علي فهم نفسك ولا حل لغز الناس، ولكن بالحب وحده تستطيع وعي ذاتك وفهم الناس بعمق.

الانغلاق لا يكشف لك قيمتك ولا قدراتك ولكن بتفاعلك بالمحبة تكتشف قيمتك وقدرتك، فلا قيمة لك في ذاتك المغلقة، الملح لا يعرف من شكله، وقيمته لا تظهر إلا حينما يعمل، وخواصه تبدأ تنكشف عند ذوبانه. الحب وحده يكشف لك قيمتك وقدرتك.

وعي حقيقية الذات

كل شخص يحتاج أن يعي نفسه، يعي أفكاره ومشاعره وأفعاله وعلاقاته، وعي الشخص لنفسه يزيد مس بصيرته للعوامل الخارجية التي تتحكم فيه وكذلك يعي معتقداته الشخصية وقيمة ومبادئه، ومن خلال هذا الوعي يبدأ يتقبل نفسه وحقيقة محدوديته، ويحفز داخله الرغبة في التغيير والتطوير ويستطيع تحديد أهدافه في الحياة.

وعي الذات بالتحليل العقلي عمل صعب، مهما استخدمت فيه من اختبارات نفسية وقياسات علمية، أو استعنت فيه بمحللين نفسيين، وقد ينجح وقد يفشل في النهاية، ولا نرغب فيه كثيراً خوفا من معرفة حقيقة النفس وخاصة محدوديتها، فكثير من الناس تفضل الحياة في أوهامها عن نفسها، علي أن تواجه حقيقة نفسها وتقبلها.

الحب يجعلنا لا نخاف من الدخول في مغامرة وعي الذات ورحلة التغيير، فعندما نحب ونتفاعل مع آخر بصدق، تبدأ أفكارنا ومشاعرنا وقيمنا في التكشف تلقائيا، فنحن نعبر عن أنفسنا بصدق وبدون خوف مع من نحب فقط، وتصرفاتنا معه تكشف لنا حقيقة أنفسنا، وكلما وجدنا من يقبلنا كما نحن، لا نخجل من أنفسنا ونتشجع علي المزيد من كشف الذات، بل ونبدأ نقبل أنفسنا ولا نتحول نحو احتقار الذات أو تدمير الذات، كذلك تنشط فينا الرغبة في التغيير من أجل الأفضل، ونجاهد لنحسن من أنفسنا من أجل من يحبنا ومن يقبلنا كما نحن.

عندما نحب نجد أن عملية كشف النفس ووعي الذات تتم تدريجيا، وبهدوء، وفي إطار آمن، وهذه أمور هامة ولازمة لوعي حقيقة أنفسنا ولتغيرنا.

الحب يغيرنا من هذا المدخل، أن تعرف نفسك، وتقبل نفسك، وتحسن من نفسك في وجود من تحب.. ومن أجل من تحب.

بدون وجود محبوب تطمئن له ويشعرك بقبوله لك، لن تكتشف نفسك ولن تغير من نفسك. كل واحد يحتاج من يحبه ليتغير نحو الأفضل، وإن لم يجد لا يحدث له تغير ولا تطوير ولا تنمو فضائل في شخصيته، لذلك لا يستطيع أي أب تنمية شخصية أبنائه بدون أن يحبهم حبا حقيقيا يؤثر فيهم ويشعروا به، ولا يستطيع خادم مساعدة نفس علي التوبة ما لم يحبها ويتعاطف معها وتشعر هذه النفس بصدق حب خادمها، ولا تتغير شخصية الأزواج وتتطور إلا بقدر تقبل كل واحد

للآخر، وكشف كل واحد عن نفسه بصدق وبدون خوف أمام الآخر، فبقدر مساحة المصارحة والمسامحة بينهما بقدر ما تزداد فرص تطور شخصيتهم ونمو فضائلهم.

وعي اختلاف الآخر وقبوله

الآخر مميز ومختلف، نعرف ذلك نظريا ولكن لا نهتم باستيعاب تلك الحقيقة إلا عندما نحب، أننا نعرف أننا مختلفون ولكن قبول الاختلاف يحتاج إلي الحب، فالاختلاف يسبب الخلافات والمشاجرات ويولد الخوف والعداوة ولا نستطيع تجاوزه إلا عندما نحب ونبدأ في تقبل اختلاف الآخر وتفهمه وتعلم كيف نوجه الاختلاف للتفاعل والتكامل.

كذلك نعرف أن الآخر يتميز عني في بعض الأمور، وإن كان هذا الأمر مزعج في بعض الأحيان ويسبب في عمل مقارنات، ويولد الحسد والغيرة والمنافسة والصراع، ولكن أن تدرك تميز الآخر وتعجب بتميزه وتمدحه فهذا يحتاج منك أن تحبه، فيجعلك تعي أن ما يميز الآخر هو ما يكمل نقصك لا ما يحقر من وضعك.

الحب يزيد من وعي أن الآخر مكمل لي وفيه أجد خلاصي وخروجي من عزلتي، ويحقق إشباعي، ويكشف إنسانيتي.

وعي معني وقيمة الحياة :

أننا نتساءل كثيرا عن معي حياتنا وسبب وجودنا ونحتار ولا نعرف، وفي أعماقنا حقيقة تقول أن الله خلق كل شيء لقصد ومعني، ولكننا لا نعرف قصد الله ولا هدفه، ويقلقنا ألا نحقق قصد الله ولا هدف وجودنا. هذه الحيرة وهذا القلق يتبدد تدريجيا عندما نحب...

عندما نحب وينجح ارتباطنا تتكون لنا أهداف ومقاصد وتظهر لنا قيمة حياتنا ومعناها، عندما نرتبط بعمق مع من نحب، فتبدأ تتكون لنا رسالة يتمحور حولها اهتماماتنا وأفكارنا وتتركز عواطفنا، ونكون مثل أم تكرس حياقما من أجل مشكلة ابنها، وخادم يكرس حياته من أجل الفقراء، وكارز يكرس حياته من أجل خلاص الخطاة، وراهب يكرس حياته من أجل الله، كل هؤلاء عندما أحبوا وركزوا حياقم علي من أحبوا تكونت لهم رسالة تمحورت عليها حياقم فصار لهم هدف وصار لحياقم معني. وكلما نجحوا في تحقيق رسالتهم كان لحياقم معني وقيمة.

وإن كان الله خلق كل شيء له معني وقيمة فكل حب ناجح يكشف عن معني من معاني الحياة التي خلقها الله، فمثلا الوفاء كقيمة جميلة من قيم الحياة لا تكتشف وتعرف إلا من نجاح المحبيين في إخلاصهم لبعضهم ومن وفائهم، العمل شقاء وعبث ولكنه يصير له معني وقيمة حينما نعمل من أجل نمو أحبائنا وسعادهم. أظن أن سليمان الحكيم حينما كان يقول باطل الأباطيل.. الكل باطل.. وما منفعة تحت الشمس، قال ذلك لأنه لم يحب، لقد متع نفسه بالشهوة والنساء ولكنه لم يختبر الحب ففقد المعني و لم يشعر بقيمة ما يعمل.

وإن كانت كل الأشياء في الحياة تشير إلي الله خالقها، وإلي قصد إلهي وحكمة إلهية، فلكي نعرف الله وقصده وحكمته لابد أن نحب، لأن معرفة الله لا تتم إلا عبر الآخر وعبر محبته، فالآخر يعكس صورة الله، فيه استطيع أن أري الله وأري كيف يعمل الله في حياتنا، بدون إبراهيم واسحق ويعقوب إله الآباء ما كنا نعرف الله، هو إلههم ومن خلال معاملاته معهم عرفناه، وعرفنا شخصه وكيف يدخل في علاقة معنا، وكيف يعمل في حياتنا.

الكل باطل عند من لم يحب..
ولا منفعة تحت الشمس لمن لا يحب..

٢- الخير ثمرة الحب :

الخير رؤية وإرادة، فكيف نري الخير ونحدد ما هو الخير الذي نسعى لتحقيقه؟ وما الذي يقوينا علي عمل الخير ويثبت إرادتنا علي فعل الخير؟

أنه الحب.. نعم الحب.. فحينما نحب نري علاقاتنا بطريقة مختلفة، وحينما نحب نقوى لعمل أمور جيدة من أجل سعادتنا، وحينما نحب نقاتل من أجل الصلاح ونقاوم كل فساد ونصارع كل ألم يهاجم المحبوب، وهكذا يظهر الخير في حياتنا.

أ- الحب منشئ القيم

الخير رؤية للقيم الجيدة التي نحتاجها لتدوم المحبة بينا مثل الشفقة، والعدالة، والشجاعة، الإحسان، والرحمة....الخ

الحب هو منشئ الأخلاق الرفيعة...فالقيم التي نتعلمها ونكتسبها بالتربية غير القيم التي تتولد في حياتنا نتيجة حبنا، الأخلاق التي تفرض علينا غير الأخلاق التي تنبع منا، قد نكتسب صفة العدل والإنصاف لأننا تربينا علي ذلك واستخدم مربينا أسلوب الثواب والعقاب ونحن التزمنا بذلك خوفا من الرفض أو خوفا من التعرض للعقاب أو لأننا نضجنا وعرفنا أهمية العدل لاستقرار علاقتنا، ولكن أن تكون عادلا لأنك تحب فهو أمر مختلف، فأنت عادل ليس خوفا من عقاب ولا خوفا من رفض ولكن لأنك لا يمكن أن تظلم من تحب، وإن كان العدل ينحصر في الوفاء بالحقوق والقيام بالواجبات فحينما تحب تتجاوز هذا المستوي إلي مستوي العطاء أكثر من الأخذ والبذل بلا مقابل والحرص علي دوام الحب بالمسامحة والغفران. فإن كانت التربية تجعل أخلاقك جيدة ولكن الحب يجعل أخلاقك نبيلة.

الحب يسرع نمونا الأخلاقي ويجعلنا نتسامى بأخلاقنا، ويحولها من أخلاق منغلقة أغلبها محاذير تحذر من الاعتداء علي الآخر، مثل لا تسرق، لا تقتل، لا تشته ما لقريبك... الخ والقليل منها إيجابي لتهدئ من وحشيتنا في التعامل مع الآخر وتدعو للشفقة والإحسان والرحمة واللطف الخ، وهذه أمور جيدة من أجل الحفاظ علي السلام الاجتماعي، ولكنها لا تبني العلاقات ولا تشدد الروابط بين الناس ليظهر الخير بينهم. أما من يحب فأنه يسعي ليقوى روابطه مع من يحب ويعمق هذه الروابط ولذا يحتاج إلي قيم وقواعد لها أسس مختلفة، ولا تعتمد علي الصواب والخطأ، ولا الحرام والحلال، ولا المكسب والخسارة، ولا القبول والرفض، ولا الموازنة بين الصالح العام والصالح الخاص. فهذه الأسس تصلح لتكوين قيم جيدة تبني المجتمعات العادلة، ولكنها لا تبني علاقات المحبة ولا تبني مجتمع الأخوة، ولا تصنع كنيسة الجسد الواحد. المحبة تصنع أسس أخري لرؤية القيم وفهم الأخلاق، ولأحكامنا الأخلاقية.

الأخلاق عند المحبين هي كل أمر جيد يحقق المحبة، فالرحمة عند غير المحبين هي إشفاق من قوى علي ضعيف، وهذه الرحمة تشعره بقوته وتفوقه وهو يقوم بها ليزيد من بره الشخصي وإحساسه بذاته، ولكن الرحمة عند المحبين هي **تضامن** ويعتبر كل واحد أن ضعف الآخر هو ضعفه وأن قوته هي قوة للآخر.

صنع الخير عند غير المحبين هو عمل تقليدي من باب الوفاء بالواجبات، ولكن المحب يتفنن ويبدع في صنع خير يسعد المحبوب. فغير المحب يصنع الخير المعتاد والذي يقال له عليه!! وقد لا

يعرف لماذا هو خير؟! ولكن المحب يصنع خيرا ينبع من داحله من رؤيته الخاصة للخير، ويصنعه بطريقة غير معتادة ويسعى فيه ليحقق سعادة أحبائه.

القيم الأخلاقية عند المحبين هي قيم خاصة نابعة من شخصيتهم وتعبر عن حبهم، قيم تسعي لتحقيق حبهم، قد تتشابه القيم الأخلاقية بين الناس ولكنها تختلف بقدر الحب المتضمن في هذه القيم، بالحب نري القيم ونقدر أهميتها بطريقة مختلفة وبالحب تتم ممارستها بطريقة أخري.

أخلاقنا تظهر في اختياراتنا وفي طريقتنا في المفاضلة بين الأمور، المفاضلة بدافع الحب تصنع الخير، والمفاضلة الأنانية تصنع الشر. المفاضلة التي تحقق الارتباط تصنع خيرا، والمفاضلة التي تضع اعتباراً للآخر تصنع خيرا، الحب يجعلك تختار ما يسعدك مع الآخر، ولا يجعلك تنسي الآخر، أما الأنانية تجعلك تنسي الآخر ولا تضع اعتبار له بل وتدوس عليه من اجل تحقيق لذتك ومتعتك وحدك. الشر دخل العالم حينما اختار آدم الانفصال عن الله و لم يضع كلام الله في اعتباره وهو يختار أن يأكل وأن يكون له طموح منفصلا عن الله وأن يحدد بإرادته المستقلة ما هو الخير والشر له، هكذا نجد أن كل مفاضلة منفصلة لتنمية الذات تولد الشر، فالذي يهتم بنجاحه وحده سوف يدوس علي الناس ويتجاوز القيم الأخلاقية فيتسبب في تعب الناس وفساد المجتمع بينما الشخص المحب الذي يضع اعتباراً للآخر فعندما يهتم بنجاحه فأنه يسعي لينجح من أجل نفسه والناس، يحقق نفسه ويفيد الناس، يحقق نفسه ويثبت قيم الكفاح والجهاد والنجاح في مجتمعه فيقوي مجتمعه، ولذلك فإن كان الخير والشر يحدده اختيارنا فكل اختيار بدافع الحب ويسعي ليحقق الحب هو اختيار للخير ويحقق الخير، بينما كل اختيار بدافع الذات المنفصلة ولا يضع اعتبارا لآخر هو اختيار لشر بطريقة ما ويعمق الفردية ويزيد الفرقة والانفصال.

ب- الحب تنمية للخير

الحب لكي ينجح ويعم ويقوي فهو يسعي للنضج، نضج الشخصية ونضج العلاقة. الحب يسعي أن تنضج شخصية أطرافه، فكل اضطراب في شخصية طرف من أطرافه سوف ينعكس علي فرص نجاح الحب واستمراره، كذلك أن تنضج العلاقة والعلاقة ما هي إلا تفاعلات عديدة ومتشابكة وتحتاج إلي قواعد جيدة منظمة لها لتضمن سلامتها واستمرارها.

فلا حب بدون نمو ونضج، فحينما نسعى بالحب لنمو الأشخاص والعلاقات البشرية وتنميتها يظهر الخير.

الخير حالة من النضج والصلاح، أن تصير ناضجا فأنت في خير، أن تصير صالحا فأنت خير، بالحب نسعى لنضج كل ما نحب ليكون طيبا وخيرا، وبالحب نسعى أن يكون كل من نحب صالحا، ويصنع الصلاح.

أن قضية الحب لا تنفصل عن قضايا التنمية، الحب لا ينفصل عن التنمية الشخصية، ولا عن التنمية المجتمعية.

الحب يجعلنا نهتم بتنمية الآخر صحيا ونفسيا وتعليما وروحيا، فكل الذين أحبوا يهتمون بقضايا التنمية علي المستوى الخاص أو العام، فالأم التي تحب أبناءها تهتم بصحتهم وأخلاقهم وتعليمهم، والعلماء الذين يهتمون بالإنسانية يهتمون بزيادة العلم والمعرفة، ويهتمون بقضايا الصحة، ويهتمون بالعلوم السلوكية والنفسية، ويهتمون بالنهضة التعليمية أو الروحية. بدون الحب ما كان يوجد اهتمام بهذه الأمور، كذلك بقدر ما يزداد الحب في الحياة بقدر ما تزداد النهضة الإنسانية ويزداد رقي الإنسان حضاريا وروحيا وصحيا.

أنت محب بقدر مساهمتك في تنمية الآخر، ويمكنك أن تقيس نجاح حبك بقدر تأثيرك في شخصية المحبوب ونمو شخصيته، وكلما نما حبك كلما سعيت في تنمية آخرين واتسع اهتمامك بتنمية البشرية وخدمتهم.

الحب يجعلنا نهتم بتقوية روابطنا بالآخر، وبتقوية الروابط البشرية وزيادتها ليزداد الحب بين البشر ويتحقق في حياتنا، ولذلك فكل مساهمة في فهم وتحليل الروابط البشرية هي مساهمة في بناء المحبة بين البشر، وكل مساهمة في زيادة الروابط بين البشر وتنظيم العلاقات هي مساهمة في بناء المحبة بين البشر، لذلك كل محب لابد أن يشارك في تقديم المشورة التي تصحح العلاقات، ويشارك في حل مشكلات الناس، ويشارك في حفظ السلام بينهم. كل محب لابد أن يشارك عمليا بطريقة ما في بناء المؤسسات التي تجمع الناس وتزيد الترابط بينهم، يبني أسرته، يشارك في خدمة تطوعية، ينشئ خدمات وجمعيات لخدمة مجتمعه، يدعم المؤسسات والخدمات التي تزيد الترابط بين الناس والمجتمعات.

كل محب لابد أن يشارك في تنظيم العلاقات وصنع الروابط بين الناس، لذلك لابد أن يتفاعل سياسيا في مجتمعه المحلي أو الدولي من أجل تحقيق ذلك.

قد تكون هذه الأمور صعبه علي الفرد، ولكنها تكون سهلة علي المحبين المجتمعين معا، لذلك كان التحدي علي الكنيسة كبيراً، فإن كانت هي الجماعة التي تحقق فيها الحب باتحادها بالمسيح، فدورها في تنمية البشرية كبير ومتوقع منها الكثير في نشر السلام وسيادة العدل والمحبة بين الناس.

ج- الحب مخلّص الأحباء

كل شر في الحياة يعمل علي الفرقة بين الأحباء، فالشر دائما يهدد الحب، وهو الذي يبعد الإنسان عن الله ويفصله عنه، وينشر البغض بين الناس، وينتقص من سعادة الأحباء، ويسبب ألمهم، لذلك يسعي المحبون لمقاومة كل شر في الحياة ومقاومة كل ما يسبب ألم وينتقص من سعادتهم.

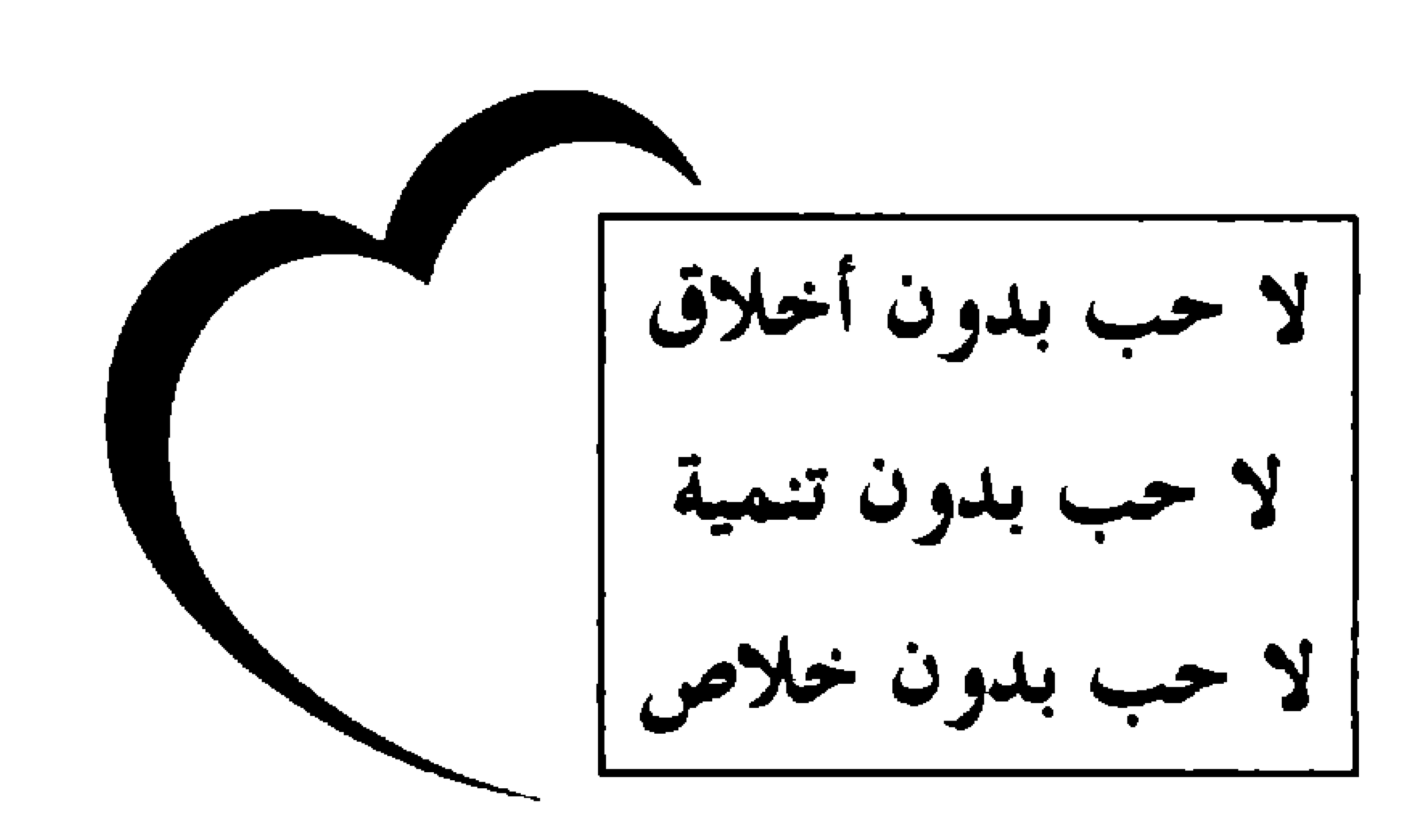
الحب يولد الإرادة التي تقاوم الشر ويثبت الإرادة علي صنع كل ما يزيد السعادة ويقلل الألم في الحياة، الحب يجعلنا نشعر بألم الأحباء، ونقتسم معهم سعادتنا ليسعدوا معنا. وكلما قاومنا الشر ظهر الخير، وكلما قللنا الألم وأكثرنا من سبل السعادة، كلما انتشر الخير في الحياة.

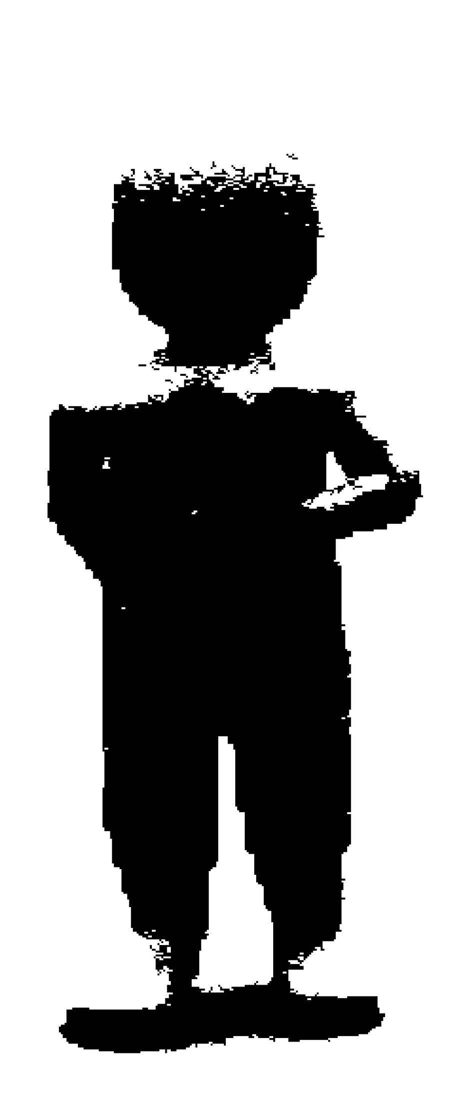
المحب لا يرضي بفساد المحبوب ولا بهلاكه، المحب يهتم بصلاح المحبوب لأن الحب لا يسري ولا يثمر إلا بين الأتقياء، لذلك في خبرة الحب يسعي كل طرف لصلاح الآخر ويبحث كيف يصلح الآخر وكيف يساعده علي تساميه أخلاقيا ويبحث عن خلاصه روحيا. الحب بطبيعته مخلص ويسعي لخلاص المحبوب، وكما يخلصنا الله لأنه محبة ولأنه يحبنا، فهكذا يكون كل محب بصدق يسعي لخلاص محبوبة ويهتم بخلاص الناس. إن لم يحب الخادم بصدق الناس فسوف يقوم بأنشطة خدمية من أجل الناس ولكن لن ينجح في مساعدة أحد علي خلاص نفسه، الزوجة أو الزوج الذي يحب شريكه بصدق سوف يقاتل ويصبر من أجل صلاح وخلاص شريكه. الأم التي تحب أبناءها لا تكف عن السعي لصلاحهم ولخلاصهم..الخ. أن السعي لخلاص الآخر هو الخير الكامن في الحب والذي يظهر كلما كان الحب ناجحا ويسير في مسار سليم.

المحب يشعر بألم المحبوب، وهو حساس لآلام الناس، ولذلك يسعي جاهدا لتخفيف من وجعهم سواء بالمشاركة الوجدانية أو بالمشاركة العملية لتخفيف معاناتهم. الحب الناجح هو الحب الذي ينجح في تخفيف معاناة المحبوب وتقليل الآلام في حياة الناس، فكل مشاركة في رفع معاناة أو ظلم أو

مرض هي دليل محبة أصيلة ناجحة أثمرت في القلب، وتهيئ الطريق لنجاح الحب في الحياة. كل محب حرك الحب قلبه وأثمر لا يمر يوم إلا وهو يخفف ألم ويقلل من معاناة أحد، وكلما كان الحب مشتعلا كلما شارك أكثر ونجح أكثر في تخفيف آلام الناس والأحباء، وكلما كان الحب عظيما كانت مشاركته عظيمة في تخفيف آلام البشرية، يسوع إلهنا المحب رفع آلم البشرية كلها علي صليبه، ومات لأجل خطايانا ليخلصنا من الهلاك الأبدي.

المحب يقتسم سعادته مع المحبوب، والسعادة حينما تقتسم فإنها تكثر وتعم. المحب الحقيقي الذي نجح الحب في حياته لا يقتسم النعم والمواهب التي لديه مع الأحباء والناس فحسب، ولكنه يبحث عن سبل السعادة وما يسعد الأحباء والناس ويحسن نوعية حياتهم. البحث عن السعادة والرقي من سمات المحبين الذين يفتشون عما يسعد الناس ويسعدهم معهم، وهكذا ينتشر الخير ويقل الشقاء ويبدأ الخلاص.





٣- شخصيتك ثمرة حبك

أنت شخص ناضج بقدر ما تحب، وشخصيتك ثرية بالسمات بقدر ما تحب، وشخصيتك واضحة بقدر نجاحك في علاقتك بمن تحب، وشخصيتك قوية بقدر قوة حبك...

أن الإنسان لم يخلق ليكون واحداً وحيداً ولا فرداً في قطيع بشري، بل خلق ليكون في علاقة مع الآخرين ويتفاعل معهم. وكل واحد يتميز عن الآخر في طريقة تفاعله مع الآخرين وهنا تظهر شخصيته، فذاتيه الشخص أو هويته تتكون وتنمو عن طريق التفاعل مع الآخر، فليس الشخص شخصيا إلا بقدر ما هو "كائن في علاقة". وان لفظة شخص باليونانية προσπον مكونه من الحرف προσ أي "نحو" ومن الفعل πον أي "نظر"، فالشخص هو نظره نحو الآخر، وفي اللغة اللاتينية لفظة persona مكونه من الحرف per أي "نحو" ومن الفعل sona أي "اخرج صوتا"، فالشخص يتكلم ويسمع –نحو أي يتحاور مع آخر. فشخصيتنا تتكون وتتميز من خصوصية نظرتنا للآخر، ومن أساليبنا في الحوار مع الآخر.

فإن كنت تنظر للآخر نظرة دونية فأنت شخص متكبر، وإن كنت تري الآخر كمصدر لمتعتك فأنت شخص شهواني، وإن كنت تنظر لهم نظرة ملائكية فأنت شخص حالم، وأن كنت تري الآخر معادلاً لك فأنت شخص عادل، وهكذا. فنظرتنا للآخرين تفصح عن سمات شخصيتنا، وكل نظرة خاطئة أو شريرة للآخر تكثر من سماتنا الرديئة وتفسد شخصيتنا، وكل نظرة واهمة وغير حقيقية للآخر تجعل شخصياتنا شخصية ضعيفة غير متصلة بعمق بالحياة. فسر تكوين الشخصية يكمن في تكوين نظرة نقية وسليمة من نحو الآخر، ولا يتم ذلك إلا عندما نحب بحق.

قبل أن نحب كنا منغلقين علي ذاتنا لا نري الآخر إلا بقدر تحقيقه لرغباتنا واحتياجاتنا ولذا كانت شخصياتنا أنانية وتمتلئ بكل سمات الأنانية البغيضة، ولكن عندما نحب وننجح في التجاذب والتقارب والتواصل والبذل فأننا نري الآخر بوضوح وتتكون له نظرة جيدة تنعكس علي شخصيتنا، فحينما نري الآخر في نديته لنا نتعلم العدل ونفهمه، وحينما نري الآخر في ضعفه نفهم معني الشفقة وأهمية التسامح ونكتسب الرحمة، وحينما نري روعة الآخر في نجاحه نفهم معني الجمال والكمال ونخجل من أنفسنا ونرتقي بمستوانا ونسعى لكمال شخصيتنا، وحينما نري محدودية الآخر نتعلم

الواقعية ونقترب من الحقيقة والحق، وهكذا. نظرتنا للآخر تضيق وتتسع بقدر نمو الحب في قلوبنا، وبالتالي شخصيتنا تهزل وتثري بقدر الحب الذي اختبرناه في حياتنا.

التفاعل يظهر الشخصية ويقوي سماتها، في تفاعلنا مع من نحب نختبر السمات الجيدة، ونمارس الفضائل، مثل العدل والرحمة.... ونحاول أن نكون عادلين ورحماء... وفي كل محاولة نزداد خبرة في العدل والرحمة... ونتمكن من ممارسة العدل والرحمة... وتصير شخصيتنا أقرب للعدل والرحمة...

في شخصيتنا سمات كامنة لا تظهر إلا عندما نتفاعل، وأعماقنا لا تظهر إلا عندما نحب، وصورتنا الذاتية لا تتكون إلا بمساعدة الأحباء. فحينما تريد أن تري نفسك... تري نفسك في عيون الآخرين وخاصة الأحباء في مدحهم لك.. وفي سعادتهم معك.. وفي ضيقهم منك وغضبهم عليك.

الشخصية يطورها التفاعل مع الناس وخاصة الأحباء، فمن يحب يرغب في إسعاد المحبوب، ولذا يكون معه حنوناً شفوقاً متفهماً مسامحاً، رحيماً وعادلاً، فالرغبة في إسعاد المحبوب تُولد فينا كل الصفات الجيدة وتحسن من أخلاقنا.

٤- إبداعاتك ثمار لحبك:

الشخص الأناني يبعد عن المشكلات، وإن صادف مشكلة يحاول إلقاءها علي غيره والتخلص منها، ولكن الشخص المحب عندما يواجه مشكلة يحاول حلها، بل الأكثر من ذلك أنه لا يرضي بالواقع ومشاكله ويحاول بقوة الحب التي في داخله أن يحسن الواقع ويجمله.

الشخص المحب قد يتألم في حبه ومن أجل أحبائه ولكنه لا يرضي بتألم محبوبة ولا بالألم في حياة الناس، فيسعي ليخلصهم من آلمهم ولذلك يبذل جهداً كبيراً في البحث عن حلول لمشاكل أحبائه، يجهد ذهنه في البحث عن حلول، ويستشير ليجد حلولاً، ويطلب العون والمساعدة ليجد حلولاً، ولكنه في كل الأحوال لا يهدأ حتي يجد حلاً يريح أحباءه ويحل مشاكلهم، ويحل المشاكل التي تتحدي حبه وتعوقه.

حل المشكلات عمل إبداعي ولا نقوي عليه إلا بالحب، ولا نجتهد فيه إلا بالحب، ولا ننجح فيه إلا بالحب.

الحياة حلوة في عين المحب ولذا يحاول أن يجملها ويجعلها حلوة حقا... الشخص المحب فنان مبدع. يتصور الجمال ويجعل الجمال واقع بشكل ما.

الحب ينشط الفكر الإبداعي، الحب يكثر الأحلام وينشط الخيال، ويزيد التطلعات، ويتحدي الصعاب، والشخص المحب شخص مرن ومتفهم ومستعد لتقبل الاختلاف، فهذه الأمور هي أساسيات الإبداع والفكر الإبداعي، فالشخص المحب عنده دافع للإبداع وعنده ملكات الإبداع، وكلما زاد الحب وتقوي نشط الإبداع في حياتنا، وكلما برد الحب وفتر قل الإبداع وحل محله الجمود والتعصب.

٥- الحياة ثمرة الحب:

أننا نحيا بقدر ما نحب، فكل تفاعل محبة هو حياة، وكل انغلاق وأنانية هي موت.

أننا نخلق الحياة بالحب ونطور الحياة بالحب والارتباط والمشاركة، وكما يلد الأزواج أبناء للحياة بالحب والارتباط، هكذا بالحب أيضا نخلق أحداث وتاريخ، ونخلق إبداعات ومساهمات تجمل الحياة وتجعلها أكثر سهولة وأكثر متعة.

الحب يجعل كل ما في حياتنا يثمر ويدوم ويمتد نحو الأبدية ، فالأعمال التي نعملها بأنانية تموت سريعا ، ولكن الأعمال التي نعملها بحب تؤثر وتبقي ، وكلما كان الحب كبير كلما كان العمل عظيما ويمتد تأثيره لسنين طويلة. وكل إبداع محبة لخير الناس لا يموت ويدوم عبر العصور .

الحياة الأبدية هي ثمرة للحب، فمن يحب الله ويثبت في محبته يثبت في حياة الله ولذلك لا يموت أبدا، ومن يثبت في الله يثمر وثمرة يدوم وأعماله تبقي وتثبت.

الفصل الثاني



حقيقة الكراهية

يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ..!!

(مزامير ٦٩ : ٤)

كما اختبارنا الحب في حياتنا كذلك اختبارنا الكره، وكما شعرنا بقوة الحب فنحن أيضا شعرنا بقوة سلبية مضادة تعمل فينا ونجد أنفسنا نبغض ونكره ونخاصم ونتشاجر ونعادي. ونتعجب ونتزعج لماذا يوجد كره في قلوبنا.. ولماذا كل هذا البغض والحقد والعداء حولنا..؟! ولماذا يكرهنا البعض إلي هذه الدرجة؟! ونتزعج أكثر وبشدة حينما يعلن لنا الكتاب المقدس أن الله نفسه يبغض ويكره؟! فيصرح "أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ .وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ..(ملاخي١: ٣) ومرة أخري يقول "بَغَضْتُ كَرِهْتُ أَعْيَادَكُمْ..." (عاموس ٥: ٢١) وتزداد دهشتنا عندما يدعونا الرب أن نبغض أنفسنا، وأن نبغض أبانا وأمنا وأخوتنا " إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ **يُبْغِضُ** أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً" (لوقا ١٤: ٢٦).. فما معني ذلك؟!

البغض والكره قد يكون مشاعر تكونت فينا وتعبر عن رفضنا وضيقنا من بعض الأمور والمواقف والأفراد، وقد يكون البغض والكره شراً تجمع فينا ويدفعنا نحو الخصام والعداوة والقتال. هناك فرق بين الكره كمشاعر تثور فينا وبين كونه شر يعمل فينا، لذلك نحتاج أن نعي الفرق بين مشاعر الكره وبين الكراهية كقوة شريرة تحاول السيطرة علينا، والأهم أن نعرف كيف نتعامل مع مشاعر الكره فينا؟ وكيف نقاوم بذور الكراهية كشر يعمل فينا؟

وإن كان الحب اختيار، وكل اختيار فيه قبول ورفض، فالرفض في اختبار الحب أمر حتمي، فلذا علينا أن نعرف كيف نستخدم مشاعرنا الرافضة: الكره والغضب والغيظ في تدعيم حبنا لا في

انقلابنا نحو الكراهية؟! وكذلك علينا أن نتعلم كيف نقاوم بذور الكراهية الشريرة التي تعمل علي تدمير روابط المحبة التي نتعب في بنائها.

إننا قد لا نسيطر علي مشاعرنا التي تولد فينا ولكننا نقدر علي التحكم في ردود فعلنا، فكيف نتصرف بحكمة حينما نكره لكي لا نندفع نحو الشر ونظل سائرين علي درب المحبة. وإن كان الشر بطبيعته يتسلل بالغواية ليملأ قلوبنا ويسيطر علينا مثل الثعالب الصغيرة التي تفسد الكروم كما يقول الكتاب، فكيف ننتبه لدخول ثعالب الكراهية لقلوبنا وكيف نطردها سريعا منه قبل أن تحكم سيطرتها علينا؟

افهم مشاعرك، فالكراهية تنافر نفسي

أن التجاذب في الحب هو عملية بحث نبحث فيها عن نظيرنا ومكملنا، ولذا فإننا في حالة مستمرة من التقارب والتباعد مع الناس، نقترب ممن نظن أنهم نظراء لنا ومكملين لنا ونتباعد عن الذين نظن أنهم مختلفون عنا ولا يكملوننا، ونتودد لمن نرتاح لهم ونتحاشى من يسبب شقاءنا، فإن كان الحب رؤية شخصية وارتياح وجداني، فالكراهية أيضا رؤية شخصية ومعاناة وجدانية.

ولأن الحب في أحدي جوانبه اختيار وجداني يعتمد علي مشاعرنا، فإن أي اضطراب في نفسيتنا سوف يؤثر علي رؤيتنا لمن نرتاح لهم، وقد يجعلنا نبالغ في رفض الآخرين وفي التباعد عنهم.

الكراهية مبالغة في التعبير عن الرفض، فإن تكوّن عدم ارتياح داخلنا من نحو شخص ما وصاحب ذلك ضيق أو غضب أو خوف، فرفضنا له يكون شديدا ونطلق عليه كره، وعادة ما نستخدم مصطلحات الكره (بكره.. بكرهك.. كرهتك) لنعبر عن غضبنا وضيقنا من تصرفات بعض المحيطين بنا ومن بعض الأشياء وبعض المواقف، وللتعبير عن تألمنا من بعض الأشخاص وعن معاناتنا من تصرفاتهم وأساليبهم، أو للتعبير عن خوفنا من البعض لغرابتهم وجهلنا باختلافهم عنا سواء في الجنس أو العرق أو الدين.

وفي بعض الأحيان نغالي في التباعد بإظهار الضجر والملل والسأم والتقزز والاشمئزاز ونصف ذلك بالمقت والكره.

الكراهية مبالغة في التعبير عن جرح مشاعرنا، فنحن نكره ما نتألم منه، ومن المشاعر المؤلمة شعورنا بالرفض، فنحن كما نختار من نرتاح لهم ونتباعد عمن لا نرتاح لهم، فهكذا من حق من

نقترب إليهم ونتودد لهم رفضنا إن لم يشعروا معنا بارتياح، ولكنهم هم أيضا يرفضون بطريقة حادة ومبالغ فيها في بعض الأحيان كما نفعل نحن أحيانا... فماذا يحدث لنا حينئذ؟

إننا نصطدم في مشاعرنا، ولا نعرف كيف نتعامل مع شعورنا بالرفض ببساطة، وننسي حق الآخر في رفضنا، وقد نتشكك في أنفسنا لرفضنا ويسوء تقديرنا لأنفسنا، ولذلك يأخذ البعض منا وضع الهجوم ويهاجم رافضيه.. ويظهر غضبه عليهم.. ويتركهم مغتاظاً منهم.. ويتباعد عنهم وهو يعاني في أعماقه بإحساس مؤلم بجرح كرامته فحينئذ ينشط الكره فيه.

نحن نكره ما نتألم منه، ومن المشاعر المؤلمة الإحساس بالخداع، فحينما نحاول الانفتاح علي الآخر بصدق وصراحة وإخلاص وننتظر أن يبادلنا الآخر بالمثل، فلو حدث وخدعنا بعض الناس وجعلونا نقع في شراكهم لا حبهم، واكتشفنا خداعنا ينتابنا الحزن والغيظ والضيق، وقد يصب بعضنا الغضب علي من خدعه ويسرع في الابتعاد عنه ويشتعل الكره فيه.

نحن نكره ما نتألم منه، ومن المشاعر المزعجة الخوف مما نجهل، فلذلك الفشل في عدم فهم الناس يولد الكره. أننا نفشل في فهم الناس أما بسبب ضعف قدراتنا علي تفهمهم أو ميلنا إلي توهمهم أو بسبب خداع الناس وغموضهم وأي كان السبب فإن إحساسنا بعدم الفهم يزيد من مشاعر الخوف والاستغراب التي تجعلنا نميل إلي التباعد ورفض التعامل معهم، ونبرر ذلك بالكره لنخفي خوفنا وجهلنا.

*****

كما نلاحظ أن كثير من المشاعر السلبية قد تولد فينا أثناء تعاملنا مع الناس، وعدما لا نعي وجودها ولا نعرف كيف نصرفها بطريقة واعية، فإنها تسيطر علينا وتتحكم فينا وتؤثر بشدة علي تقاربنا منهم وتجاذبنا معهم.

أننا لم نولد كارهين والكراهية ليست من طبيعتنا ولكن الخبرات السيئة والمشاعر السلبية المتراكمة هي التي تجعلنا نكره، وتحولنا نحو البغض والكراهية والعداء، وتجعل مواقفنا عدائية في بعض الأحيان.

*****

نحتاج أن نحكم مشاعرنا كي لا تتحكم فينا مشاعرنا وتلقي بنا في سجن الكراهية، نحتاج أن ننتبه لظهور هذه المشاعر فينا ونعي مسيرة تفاعلاتنا مع الناس حتى لا نمر بخبرات سيئة في طريق المحبة ولا تولد فينا مثل هذه المشاعر السلبية، كذلك لابد أن نتعلم كيف نصرف مشاعرنا السلبية بطريقة صحية.

من حقك أن ترفض ولكن حدد لماذا ترفض؟ حتى لا يتحول رفضك نحو الكراهية، حينما تعي أسباب رفضك فأنت تعرف نفسك أفضل وتعرف ميولك الشخصية وتعرف احتياجاتك، وكذلك تفهم الآخر بواقعية تساعدك علي التعامل الجيد معه.

الكره رفض غير مبرر، ولكي لا يقوى الكره علينا لابد أن نحاول تبرير ما نرفض وما لا نرتاح إليه، فأننا نرفض الشر ونكره الخطية لأسباب منطقية، نحن نرفض الشر لأننا نعرف أن الشر مدمر للحياة، ورفض الخطية لأن الخطية تفسد العلاقات وتبعدنا عن الله.

تعامل بهدوء وبدون غضب حينما تكون مرفوضا....

واجه ولا تهاجم، أنت مرفوض لأسباب قد تكون عندك، منها ضعف أساليبك في التجاذب والتحاور، ضعف فهمك وتفهمك للناس، ضعفك الروحي والأخلاقي، وقد تكون نفس الأسباب موجودة عند الآخرين. وقد يكون تسرعك في بناء علاقتك أو شطح أحلامك ومبالغتك في توقعاتك منهم جعلهم يتباعدون عنك.

افهم ثم ضع اقتراحاً للحل وحاول تنفيذه، وجرب مرة وراء أخري حتى تنجح. اقبل أن تكون مرفوضا ولا تحول رفض بعض الناس لك إلي كره الناس لك، لا تعطيهم سببا أضافيا لتبرير رفضهم لك وتعزيز كرههم لك بردود أفعالك الهجومية والانتقامية.

عندما تُرفض أفهم أنك رفضت من الذين لا يمكنك الارتباط بهم، وأنك لم تجد من هم أحباؤك بعد الذين تسعد بارتباطك بهم.

إن واجهت صعوبة في فهم لغز الناس، فلا تهرب منهم، ولكن تعلم كيف تفهم نفسك وتقدر نفسك لتقدر أن تبدأ من جديد في فهم الناس.

الحب أن تختار وتُختار في نفس الوقت،
وباب الكراهية يُفتح عندما تختار من لا يختارك،
وأن يختارك من لم تختره.

حصن روحك: الكراهية شر من زرع الشيطان.

الكراهية شر زرعه الشيطان في حياتنا، ويبدأ بدعوة للانفصال ويزين لنا قيمة الأنا الفردية ويضخم الذات ويؤلهها في انفصالها، ففي قصة السقوط نجد الشيطان بخداعه فصل الإنسان عن الله ودعاه للتأله ومعرفة الخير والشر بعيدا عن الله.. بتفكير منفرد ومنفصل عن الله، بينما كان الإنسان الأول متصل بالله ويأخذ من حكمته ما يساعده أن يحيا معه حياة سعيدة ومتكاملة، ويتكامل مع امرأته.

الكراهية شر يبدأ عندما تنظر لما عند الآخر وليس عندك وتشتهيه، ويتطور الأمر فتتمني زوال الآخر والحصول علي ما عنده، وإن خرج ذلك لحيز التنفيذ العملي تبدأ في مخاصمة الآخر ومشاجرته ويتطور الأمر حتى يصل إلي القتل. أن الكراهية هي شر يبدأ بالحسد ثم البغض وينتهي بالقتل، الكراهية شر يبدأ برغبة أنانية لأن تصير الأول والمسيطر ولأن تمتلك وتستمتع لوحدك، وتبدأ بحلم متسلط بزوال الآخر ورؤيته في أبشع صورة وإنكار لحقه في الوجود والسعادة، ثم ينتهي بالعداوة والخصام والقتال والقتل.

إن الكراهية هي شر زرعه الشيطان في الحياة ليفك ارتباط الناس بعضهم البعض، وارتباط الإنسان بالله، وارتباط الإنسان بالخليقة، بل والأكثر أن يدمر كل واحد الآخر، ويشوه صورة الله، ويفسد الطبيعة ويدمرها، وهكذا ينجح في تدمير الحياة وسيادة الموت علي الحياة.

إن الكراهية هي شر زرعه الشيطان ليفسد شخصية الإنسان ويدمره، فحيما نكره نفقد كل الصفات الجيدة فينا، نفقد العدل ونتحول نحو الظلم، ونفقد الرحمة ونتحول نحو القسوة، ونفقد التسامح ونتحول نحو الانتقام، هكذا نفسد أخلاقيا ونصير شخصيات شريرة عنيفة ومدمرة، هذه هي خطة الشيطان وهذه هي خطورة الكراهية كشر يتولد فينا.

الكراهية كشر لا يولد فينا فجأة، ولكنه شر يتجمع قليلا.. قليلا، ونار تشتعل وتقوى تدريجيا. لذلك نحتاج أن ننتبه لميلاد شر الكراهية فينا، فهو يبدأ بشهوة وحسد، وإن لم نسيطر علي شهوتنا فتحنا باب الحسد، ومنه يدخل الكره ويبدأ يعمل فينا ويسيطر علي تفكيرنا ويتسلط علي أذهاننا ثم يتطور نحو الخصام والعداوة والقتال.

الحسد كره شهواني، فإن كانت الشهوة تقود إلي الحسد وتجعلنا نكره الآخر لما عنده وليس عندنا، فلابد أن ننتبه لوصية الكتاب "لا تشته ما لقريبك"، فمقاومة الشهوة أسهل من مقاومة الحسد وأسهل من التخلص من الكراهية. كلما مكنت الحب لقريبك كلما قلت شهوتك لما لقريبك، الشهوة تقاوم بالحب العملي وبالعطاء وبالسعي لنجاح الحب.

البغض كره ذهني، فإن لاحظت إن كلامك عن الآخرين أصبح سلبيا فأعرف أن البغض دخلك وأن هناك خطية رابضة عند الباب، وإن لاحظت أنك لم تعد تتمني الخير للآخر بل تتمني له الشر فأعرف أنك بدأت في قتل الآخر في قلبك.

الخصام كره فعلي، إن كثرت مخاصمتك وكثر شجارك مع الآخرين لأتفه الأسباب فاعلم أن الشيطان بدأ يستخدمك في خطته للتدمير. وإن تحولت للصراع فاعلم أنه نجح في السيطرة عليك وسوف يستخدمك لقتل الناس أدبيا أو فعليا وأنك أصبحت من أعوان الشيطان ومن قواته.

الكراهية: شهوة، فحسد، فخصام، فقتال.

هل يبغض الله؟ !

كيف يبغض الله وهو محبة؟ كيف نفهم معني بغض الله وكراهيته للأشرار، ومحبته ليعقوب وبغضه لعيسو.

البغض عند الله، بغض في المحبة ولا ينفصل عن حبه، لنتعلم من الله كيف نتعامل بإيجابية ووعي مع مشاعر البغض وكيف نكره في المحبة...

البغض عند الله رفض للشر لأنه قدوس، فهو يرفض الشر الذي لا يتفق مع طبيعته، كذلك لأن الخطية مدمرة للحب وكل علاقة محبة.

الرفض عن الله رفض مبرر وبغض الله هو بحكمة وبلا انفعال فالله لا يخاف ما يرفضه ولا يقلق مما يرفضه، ولا يرفض لأنه يخاف ولا يرفض لأنه قلق، فحاشا لله أن يخاف أو يقلق.

رفض الله رفض مبرر، وله سبب، ولذلك فكل ما يرفضه الله ويبغضه هو خطية، وهو خطأ وخطية لأنه يفسد المحبة والترابط بينه وبين أحبائه وبين الناس مع بعضهم البعض.

حيسما قال الله "بَغَضْتُ كَرِهْتُ أَعْيَادَكُمْ وَلَسْتُ أَلْتَذُّ بِاعْتِكَافَاتِكُمْ. (عاموس ٥ : ٢١) أوضح في اشعيا السبب : "**لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاعْتِكَافَ**...رُؤُوسُ شُهُورِكُمْ وَأَعْيَادُكُمْ بَغَضَتْهَا نَفْسِي. صَارَتْ عَلَيَّ ثِقْلاً. مَلِلْتُ حِمْلَهَا.(أشعياء١: ١٣-١٤)، فالله حينما يعلن بغضه لسلوك ما لنا يعلن سبب رفضه ويوضح ما هو الشر فيه.

ونحن كي نقلل من حدة الكراهية فينا لابد أن نتعلم أن نحدد سبب رفضنا، ويكون رفضنا هو رفض للشر وكراهيتنا هي كراهية للخطية. وإن لم تجد سببا فلا تقل أني أكره بل قل أني لا ارتاح لهذا الأمر أو لهذا الشخص ولا أعرف السبب لكي لا تضخم الكراهية فيك.

كراهية الله للأشرار تعني أن هناك تباعد بين الله والأشرار بسبب خطاياهم،فحينما يقول لهم: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ.. (متى ٢٥ : ٤١)، فهو يوضح سبب ذلك الرفض ويقول " آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهِكُمْ وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ. (اشعياء ٥٩ : ٢). فكراهية الله للأشرار هي إقرار لواقع، أكثر منها اتخاذ الله موقف عدائي منهم. ولو لاحظنا في

التاريخ المقدس فهناك أعداء كثيرين لله ولكن لم نري أن الله يعادي أحداً، وان الله إن كان له موقف من أعدائه ولكنه لا يبادر بعداء أحد و لم يرفض من يقبل إليه مهما كان حاله ومهما كانت خطيئته أو عداوته له قبل توبته.

عداوة الناس لنا ليس مبرراً لكراهيتهم، فلا ينبغي أن نصاب بعدوى الكراهية من الكارهين، بل علي العكس نحب كارهينا وأعداءنا بأن لا نكرههم ولا نتخذ منهم موقفاً عدائياً، وإن كنا نتخذ منهم مواقف نحمي بها أنفسنا من شرهم وقد نتباعد عنهم في بعض الأحوال ولكننا لا نواجه الشر بشر ولا الكراهية بكراهية.

حينما يفصح الله عن مشاعره ويقول:" أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ .وأَبْغَضْتُ عِيسُوَ..(ملاخي١: ٣)، فهذا يعني تفضيل الله ليعقوب لأنه يوجد في دائرة محبته ويتمتع بحبه، أما عيسو فهو أيضا ابن له وإن كان لا يتمتع بحبه ولكنه لا يزال في دائرة رحمته واهتمامه، فهو يؤدبه لخلاصه إن كان في زمن التوبة، ويهلك إن كان في زمن الدينونة.

البغض في الله خالي من الحقد والرغبة في التدمير، الله لا يحقد علي الخاطئ ولا يريد موته بل أن يتوب ويحيا.....

نتحير حيثما نجد الله يدعونا أن نبغض المقربين منا ونبغض أنفسنا ويقول : " إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ **يُبْغِضُ** أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضاً فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً" (لوقا ١٤: ٢٦) دعوة الله أن نبغض هي دعوة للحب، وإن كان في الحب تقارب وتباعد وتجاذب وتنافر واختيار ورفض، فالله يدعونا للرفض الواعي، والرفض لأسباب منطقية وروحية. فإن كنا نختار أن نكون تلاميذ له وهو معلمنا فنحن نرفض في الوقت نفسه أنفسنا والآخرين أن يكونوا مرجعا لنا. ونعرف أن التلمذة تكريس، والإخلاص في التكريس ينجح التلمذة، ولا نقدر أبدا علي الجمع بين أثنين في وقت واحد، أليس هذا هو الحب: تكريس وإخلاص للواحد. كذلك هذه الدعوة ليست دعوة لاتخاذ موقف عدائي من أنفسنا أو من المقربين لنا بل هي دعوة للاختيار الحاسم والتكريس القلبي التام لينجح الحب بيننا وبين الرب ونصير له تلاميذ مكرسين.

من الأمور التي تضعف الحب في حياتنا عدم وجود الحسم في اختيارنا لأحبائنا، وخاصة في اختيار شريك الحياة، فإن لم نرفض أن يكون مثل أبائنا وأخوتنا وأنفسنا ونقبله كما هو ولا نقارنه بأحد فلن تكون شركة حبه شركة قوية، كذلك كلما كانت هناك مقارنات بين الشريك والآخرين كلما كان الحب لم يصل بعد لمرحلة التكريس، وكلما كان مهددا بالانهيار وكلما صادف متاعب كثيرة.



اخرج الكراهية من قلبك لئلا تسجن فيها..

الفصل الثالث



المحبة الإلهية

المحبة سر وحدانية الله

المحبة سر شخصية الله

المحبة سر أعمال الله

المحبة أساس علاقته بنا

حقيقة المحبة الإلهية

اللهَ مَحَبَّةٌ..

(١يوحنا٤: ٨)

آلهة الحب في الأساطير والديانات الإنسانية

حاول البشر في طفولتهم الروحية فهم الحب الذي يملأ قلبهم ويحرك مشاعرهم ويقربهم من بعضهم البعض ويجعلهم يقومون بتضحيات عظيمة من أجل أحبائهم، فنسجوا الأساطير وأبدعوا آلهة حاولوا بها تفسير سر هذه القوة التي تفوقهم وتؤثر فيهم وتتحكم فيهم، فادعوا أن الحب إله يسيطر عليهم وبدءوا يعطون أوصافا لهذه الإلهة محاولين تفسير خبراقم عن الحب، فما من ديانة إلا وكان فيها آلهة للحب، فنجد افروديت عند الإغريق، وفينوس عند الرومان، وعشتاروت عند الفينيقيين والكلدانيين، وإيزيس عند الفراعنة، وفشنو وكرشانا عند الهنود وهكذا، فلم يكن هناك في وقت من الأوقات حضارة أو دين لا يوجد به إله للحب.

في هذه الأساطير، ربطوا الحب بالجمال والخصوبة، فكانت افروديت إله للحب والجمال والخصوبة وصوروها علي شكل امرأة، وكانت فينوس إله للحب والجمال أيضا علي شكل امرأة، وكذلك كانت عشتاروت إله الحب والخصوبة علي شكل امرأة، وكذلك فشنو إله الحب في الثالوث الهندوسي يصور علي شكل امرأة. ففي تصورهم أن الجمال وخاصة الجمال الأنثوي هو سر الانجذاب للحب، وأن الحب هدفه الخصوبة واستمرار الحياة.

كما حاولوا تفسير غرابة خبرات الوقوع في الحب وعذاباته بالإله كيوبيد فصوروه علي شكل طفل يطلق سهامه عشوائيا فيقع الناس في الحب، وكان هو نفسه معذبا في حبه ولا يستطيع أن يحققه.

كما نلاحظ أن أساطير الحضارات الشرقية كانت تركز علي أعمال الحب وأهميته أكثر من متعة الحب، فكانت ايزيس في الحضارة المصرية رمز للحب الذي يخلص من الموت والشر، وكان كرشانا عند الهندوس رمزا للحب الذي ينشر الخير بين الناس ويموت من أجله. بينما الأساطير الغربية منها كانت تركز علي عذابات الحب ومتعته.

إنها أساطير وحكايات آلهة تعكس وعي الإنسان قديما لخبرات الحب ومشكلاته مع الحب وحاولت الإجابة علي بعض تساؤلاته التي حيرته عن الحب، كما كانت تعمل علي توجيه طاقة الحب عنده نحو اتجاهات معينة إن كانت خصوبة وتناسل، أو تضحية وفداء، أو توجه اهتمامه نحو الجمال والخير والمتعة والفرح.

إن كانت البشرية ألهت الحب قديما لإحساسهم بقوة الحب وسيطرته عليهم وتحكمه في مصيرهم، فهل نحن نصنع هكذا الآن حينما نعتقد أن إلهنا هو إله المحبة.. ونعلن أن الله محبة؟!

الله محبة

حينما نؤمن أن الله محبة فليس معني ذلك أننا نعادل بين الله وبين المحبة، فالله ليس هو الحب ولا الحب هو الله، فنحن لا نؤله الحب كما فعلت الأديان الإنسانية، ولكننا نقر أن المحبة هي طبيعة الله الواحد، وأن المحبة متحققة في الله، فهي سر وحدانيته، وسر شخصه الإلهي، وسر أعماله، وسر علاقته بنا.

وعندما يعلن الكتاب المقدس أن الله محبة، فأنه يعلن عن محبة إلهية وليست المحبة البشرية، محبة من طبيعة الله، محبة فوق الإدراك، لا توصف ولا تقاس، كما يعلن إن كل حب في الحياة مصدره هذا الحب الإلهي، وإن كل حب نعرفه هو ظل لهذا الحب الإلهي ولا ينبغي مقارنته بهذا الحب الإلهي.

هل رأيت يوما طفلا ينظر إلي السماء ويمد يده عاليا محاولا أن يمسك بالنجوم؟ هذا ما نصنعه الآن حينما نحاول أن نتطلع لنفهم معني محبة الله !!

حينما نتطلع للنجوم فإننا ننجذب إليها ونري ضوءها ونتأثر بها ولكننا لن نستطيع الوصول إليها، ومع ذلك جيد أن نكون مثل هذا الطفل الذي يحاول أن يمسك بالنجوم، فإن تعلقه بهذه النجوم يجعل عينيه مثبتتين عليها ويديه مرفوعة وممدودة نحوها، فليتنا نكون مثله نحو محبة الله.. قلوبنا تتوق إليها وعقولنا مشغولة بها وإرادتنا مثبته نحوها.

لنحاول النظر قليلا والتأمل طويلا في محبة الله المعلنة لنا والتي تحوى سر وجودنا وخلاصنا، ونتعلم منها معني المحبة الحقيقية وروعتها، ونعرف كيف تتحقق المحبة وتثبت.

١ - المحبة سر وحدانية الله

إن كانت المحبة سر الترابط وهدفها **الوحدة** وأن يصير الكل واحد، فحينما يعلن لنا الوحي المقدس أن الله محبة فهو يعلن أن الله متحققة فيه الوحدة، وهو واحد، وأن المحبة سر وحدانيته.

إن البشرية عبر العصور كانت تشعر بهذه الحقيقة في أعماقها ولكن لما أرادت أن تتفهمها والتعبير عنها ووضع تصورها البشري لهذا الإله المحب، فوجدت نفسها أمام مشكلات لاهوتية أوقعتها في هرطقات وتصورات غير ناضجة عن الألوهة، فمن ضمن التساؤلات المحيرة لفهم حب الله : من الذي يحبه الله؟ ومن الذي يرتبط به ويتوحد معه؟! ففي تفكير البعض الذين أرادوا أن يسموا بالله عن عالم البشر، أقروا أن الإله لابد أن يحب إله مثله، وأن الحب الإلهي ما هو إلا محبة بين إلهة.

وهكذا نشأت العديد من الديانات القديمة التي تعدد الآلهة وتنسج القصص حول مجمع الآلهة وتحاول أن تصف علاقة هذه الآلهة بعضها البعض، ولما فشلت في فهم هذه العلاقة وتصورها، أسقطت عليها كل تعقيدات العلاقات البشرية وحولت العلاقة بين الآلهة إلي صراعات إلهية وكثرت الأساطير حول صراع الآلهة وكيف تؤثر هذه الصراعات علي حياة البشر.

أما بعض الديانات القديمة الأخرى فوجدت مع كثرة الآلهة أن هناك صعوبة في وجود علاقة محبة بينهم، فحاولت بعضها أن تستبدل مجمع الآلهة بعائلات إلهية تتكون من زوج وزوجه وابن،

كما في أسطورة ايزيس وأوزوريس وحورس في الديانة المصرية القديمة، وكما انتشرت أساطير عن ثالوث من الإلهة في الديانة الهندوسية، براهما وفيشنو وشيفا.

لقد اندثرت معظم هذه الأساطير الدينية و لم يبقي منها إلا الأساطير الهندوسية، وكلها تشهد علي عجز الإنسان عن فهم طبيعة الله ومحبته.

حاول الإنسان في مرة أخري فهم علاقة الله بالإنسان وبخليقته، وكيف يرتبط الله بخليقته ويحبها، فمنهم من تصور أن الله يرتبط بخليقته ويتوحد معها، والبعض الآخر تصور أن الله يتخذ من الملوك أبناء له أو أن الملوك هم من ولدهم الله كما كان يعتقد في فرعون ملك مصر وفي الأباطرة الرومان، وآله الناس الملوك والأباطرة وعبدوهم كأبناء ولدهم الإلهة.

قاومت ديانات أخري هذه التعددية في الله، ونادت بالتوحيد البسيط وأن الله واحد - لا يوجد مثله ولا يوجد أحد معه أي لا توجد آلهة أخري معه، ورفضت كل محاولات وصف طبيعة شخصيته الإلهية، وتجاهلت فكرة الحب الإلهي وخاصة فكرة أن الله يحب، ورفضت ارتباط الله بخليقته أو بالإنسان بالحب، وحصرت العلاقة به في إطار أخلاقي، وأقرت أن الأخلاق الجيدة هي التي تربطنا به من خلال عبادة ندقق في ممارستها، ومن خلال أخلاق وضع هو قواعدها وهو يجازى كل واحد بحسب التزامه بهذه القواعد، ولكن المتدينين في هذه الديانات لم يشبعهم ذلك روحيا و لم يكتفوا بذلك الالتزام التعبدي وهذا التزمت الأخلاقي ونشأت داخلهم مذاهب وحركات صوفية تتحدث عن الحب الإلهي والعشق الإلهي والفناء عشقا في الإله ونشأ عنها هرطقات منها هرطقة وحدة الوجود التي توحد بين الله والخليقة وفيها يقول أحدهم "أن لنا مع الله حالات هو نحن ونحن هو وهو هو ونحن نحن.."[1]

هكذا نجد أن البشرية في محاولة فهمها للحب الإلهي احتارت من الذي يحبه الله ومن الذي يرتبط به ويتوحد معه.. هل هو إله مثله؟! فوقعوا في تعدد الإلهة ومشكلاتها التي معها انهارت هذه الديانات واختفت، أم أن الله يحب نوعية مميزة من البشر مثل عظمائهم من الملوك والأباطرة، فوقعوا في عبادة الناس، والبعض أقر أن الله يحب كل خليقته وهو متوحد معها وأنها تعلن عن وجوده وهو قائم فيها، فوقعوا في هرطقة وحدة الوجود والهوا المخلوقات وألهوا الإنسان.

---

[1] http://www.khomainy.com/arkho/?ID=٧٤

مما سبق نلاحظ أن التوحيد المبني علي المحبة هو حقيقة مزروعة في قلب البشر ولكن بسبب ظلمة الفكر ورغبة التأله المسيطرة علي الإنسان جعلت البشرية تخرج الكثير من الأساطير والهرطقات حول مفهوم الوحدانية الإلهية وحول الوحدانية كحقيقة إلهية متحققة في الله. فما هو المفهوم المسيحي للحب الإلهي وللوحدانية الإلهية؟

لابد أولا أن نقر إن فهم الإلهيات لا يتم بالتصور العقلي ولكن بالإعلان الإلهي، فحينما أقر بطرس وقال للسيد المسيح: أنت هو المسيح ابن الله الحي، قال له الرب: أن دم ولحما لم يعلن لك بل أبي الذي في السموات، فالإيمان المسيحي "**إعلان**" ونحن نؤمن بما أعلن لنا وليس بما نتصوره ونفهمه عن الله، والوحي المقدس أعلن لنا: أن الله واحد، وأنه محبة، وأنه مثلث الأقانيم، فهي حقائق معلنة لنا للإيمان... ولكن السؤال ما معني هذه الإعلانات؟ ولماذا أعلنت لنا؟

أن العقيدة المسيحية في الوحدانية بحسب الإعلان الإلهي لا تؤمن بتعدد الإلهة، ولا تؤمن بمجمع الإلهة، ولا وحدة الوجود، ولكنها تؤمن بإله واحد مثلث الأقانيم — آب وابن وروح قدس، وأن الأقنوم ليس إلها منفصلا بل هو "شخص" قائم في آخر بالمحبة وهذا هو سر الوحدانية.

لقد كشف لنا السيد المسيح عن بعض أسرار هذا الحب الإلهي وعن طبيعة ومعني الوحدانية بين أقانيم الثالوث الأقدس. ونحن نحتاج أن نتأمل قليلا في الوحدانية الإلهية كما أعلنت لنا والتي تكشف لنا أعماق سر المحبة...

*****

من الأمور العجيبة في إعلان الثالوث المقدس، أنه لم يعلن عن أي أقنوم إلا في علاقته بأقنوم أخر، الآب يعلن عن ذاته حينما يعلن عن أبنه " هذا هو ابني الحبيب " فلم نعرف الآب إلا حينما أعلن عن ابنه، والابن أعلن عن ذاته حينما أعلن عن أبيه "كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ." (متى١١: ٢٧) وأكد مرة أخري "اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ." (يوحنا ١ : ١٨)، فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمْ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهَذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذَلِكَ. (يوحنا ٥ : ١٩). والروح القدس أعلن عنه أنه المنبثق من الآب، «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ

الّذي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. (يوحنا ١٥ : ٢٦) وأعلنه لنا يسوع الابن أنه الذي "..
يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ (يوحنا ١٦ : ١٤).

فلا يوجد انفصال مطلقا بين الأقانيم الإلهية الثلاث ولا ينبغي أن نفصل في أذهاننا بين الأقانيم الثلاث، ولا أن تغيب هذه الحقيقة عن أذهاننا عندما نتأمل في شخصية كل أقنوم علي حده، الآب هو أب بالابن في الروح القدس، والابن هو كلمة الآب في الروح، الروح هو المنبثق من الآب في الابن...

*****

وإن كانت الأقانيم الإلهية في الثالوث المسيحي متميزة إلا أنها متكاملة في ذات الوقت، ففي الثالوث الأقدس لا تمايز بدون شركة ولا شركة بدون تمايز، لذلك لخص الرب الأمر حينما أعلن: "أنا في الآب والآب فيّ"، فهناك تمايز بين الآب والابن ولكن سر الوحدة هو دائما في كلمة " **في** " التي يشرحها القديس يوحنا الدمشقي والقديس اغريغوريوس النيزنزي وآباء آخرون بتعبير Perichoresis[٢] أي يحتوي ويخترق كل للآخر، فالأقنومية لا تنفصل عن الوحدانية، وأن الوحدة تبدأ من الجوهر الواحد وتظهر في الإرادة الواحدة والعمل المتميز والمتكامل في نفس الوقت، وان سر التمايز يكمن في الكيفية التي يعبر بها كل أقنوم عن وجوده الشخصي وعمله المتميز، وأن التكامل هو تعبير عن جوهر المحبة الإلهية وتحقيقا لها.

ونحن كلما ثبتنا أذهاننا علي هذه الحقيقة في عبادتنا وفي صلواتنا وفي تأملاتنا كلما تثبتت قلوبنا علي عتبة محبة الله ومحبة الآخر، لذلك:

نحتاج في صلواتنا أن نتعلم كيف نخاطب الثالوث الأقدس كما تعلمنا الكنيسة الملهمة بالروح وندقق في كلمات صلواتنا لنجيد الحوار مع الثالوت الأقدس، ففي صلوات الكنيسة نمجد الثالوث ونسجد للأب والابن والروح القدس، ونبدأ صلاتنا باسم الآب والابن والروح القدس، ونصلي للأب في القداس الباسيلي، ونصلي للابن في القداس الإغريغوري، ونخاطب الروح القدس في صلاة الساعة الثالثة، وينبغي أن ننتبه أننا في صلاتنا الربانية نصلي للأب في المسيح. ففي صلواتنا الطقسية إن كنا نميز بين الأقانيم ونطلب عمل كل واحد فينا لخلاصنا ولكننا ندرك وحدانيتها ونمجد الثالوث كإله واحد متحقق فيه الحب وكإله محب للبشر.

*****

[٢] http://en.wikipedia.org/wiki/Perichoresis

إن سر وحدانية المحبة بين أقانيم الثالوث الأقدس يكمن في الحوار الداخلي بين الأقانيم الإلهية، فهو حوار دائم لا يتوقف، حوار أزلي أبدي. كشف لنا الرب عن بعض من أسراره وعرفنا بعض من أبعاد حوار المحبة في الثالوث الأقدس؛ فنجد في هذا الحوار المعرفة تتبادل، ليست معرفة معلومات ولا معرفة عقلية ولكن معرفة الشخص ومعرفة مشيئته.

المعرفة الشخصية في الثالوث الأقدس **معرفة احتواء** أي أن كل أقنوم يعرف خصائص وسمات الأقنوم الآخر معرفة تامة.. يرتاح لها ويسعد بها، فيقول الرب: "أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ." (يوحنا ١٠ : ١٥)، فكلمة يعرفني في اليونانية γινωσκω وتعني المعرفة المبنية علي الخبرة الشخصية لا المعرفة الحسية ولا المعرفة العقلية، فهناك معرفة نقتنيها عن طريق حواسنا الخمس مثل البصر والسمع، وهناك معرفة تنتج عن فهمنا، وهناك معرفة نكونها نتيجة اختبارها وتجربتها، والمعرفة الحسية والعقلية لا يمكن أن تقيم علاقة محبة، بينما كل ما اختبرناه يعني أننا دخلنا في علاقة ما معه.

في الثالوث الأقدس، المعرفة بين الأقانيم الثلاثة معرفة مختبره، وفي اختبارها تتحقق السعادة والارتياح، فنجد الابن يعرف كل أمر عن الآب ويسعد بمعرفتها، فمثلا هو يعرف ما يسر الآب ويتهلل في الوقت نفسه بما يسر الآب "وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ.. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ» (لوقا ١٠ : ٢١).

وكذلك المعرفة الشخصية في الثالوث الأقدس **معرفة الكشف** أي أن يكشف كل أقنوم شخصه ومشيئته بالتمام للآخر، فنجد الآب يعلن مشيئته للابن "لأَنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ وَيُرِيهِ جَمِيعَ مَا هُوَ يَعْمَلُهُ وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ. (يوحنا ٥ : ٢٠) والابن يسعد بمشيئة الآب وبالحب يطيع الآب طاعة تامة.. طاعة معها تتوافق مشيئته مع مشيئة أبيه، فيقول عن طاعته للآب "لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي.(يوحنا ٦ : ٣٨) وكذلك يقول للآب: "لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ" (لوقا ٢٢ : ٤٢).

ولذلك المعرفة واحدة في الله بسبب الكشف والاحتواء المستمر والذي هو وجه من أوجه الحب الإلهي وسر من أسراره.

*****

كذلك في الثالوث الأقدس نجد حوار **المجد المتبادل** بين الآب والابن " «**أَيُّهَا الآبُ... مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضاً** (يوحنا ١٧ : ١) والآب يجيب مجدت وامجد أيضا، والابن يقول للآب "أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ." (يوحنا ١٧ : ٤)، فمن روعة حوار الحب الإلهي هذا المجد المتبادل بين أقانيم الثالوث.

التمجيد في الثالوث الأقدس لا يكون بالتكريم ومدح كل للآخر فقط، ولكن بكشف كل أقنوم للآخر وإظهار شخصه وإبراز عمله. فالرب يقول: أَبِي.. هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ.. (يوحنا ١٠ : ٢٩) ويؤكد في مرة أخري "لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. (يوحنا ١٤ : ٢٨).. ويقول له: «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ.. (يوحنا ١٧ : ٦)، ويقول: أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ.، ويؤكد أن كل ما يصنعه هو لمجد الآب.. ولكي يمجد الناس الآب.. "وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ **لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالاِبْنِ**. (يوحنا ١٤ : ١٣)،

وكذلك يفعل الآب، فيمجد الآب الابن ويعلن حبه لابنه ويقول : هذا ابني الحبيب..، ويدعونا لطاعته ويقول: له اسمعوا.. (متى ١٧ : ٥).

ويكشف لنا الرب بعض من أسرار تمجيد الآب له فيقول: إِنْ كَانَ اللَّهُ قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ **سَيُمَجِّدُهُ فِي ذَاتِهِ** وَيُمَجِّدُهُ سَرِيعاً. (يوحنا ١٣ : ٣٢) ليس ذلك فحسب بل أعطي الابن ما يجعل الناس يكرموه كما يكرموا الآبَ نفسه " لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَداً بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلاِبْنِ. لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الاِبْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الاِبْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ.(يوحنا ٥: ٢٢- ٢٣)

وكذلك يكشف كيف يعمل الروح القدس علي تمجيده" ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. (يوحنا ١٦ : ١٤) كما يكرم الابن الروح القدس ويصفه لتلاميذه أنه المعزي وفيه خيرهم " إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي.. (يوحنا ١٦ : ٧)

*****

الوحدانية في الثالوث الأقدس ليست وحدانية تقوم علي الحوار الداخلي فحسب ولكنها كذلك وحدانية في العمل، فالأب يعمل والابن يعمل والروح يعمل، فلكل واحد عمله ودوره المميز ومع دلك يظل العمل واحد، فإن كان الخلق والخلاص هما مشيئة الله الواحد، فكذلك الخلق والخلاص هو عمل الثالوث، ففي الخلق: الآب أراد، والابن صمم، والروح أحيا. وفي الخلاص: الآب بذل

الابن وسكب الروح، والابن تجسد ومات وقام، والروح أعطانا الحياة الجديدة في المسيح. ففي عمل الثالوث الأقدس تظهر وحدة المشيئة ووحدة العمل الإلهي برغم تميز عمل كل واحد عن الآخر، وهكذا نجد كل أعمال الثالوث الأقدس هي أعمال شركة تظهر المحبة القائمة في الثالوث الأقدس.

فإن كانت كل أعمال الله هي أعمال محبة-تصنع بدافع الحب الإلهي، فهكذا تتم بالحب الإلهي المتبادل بين أقانيم الثالوث الأقدس.. الحب الذي يجعل المشيئة واحدة ويجعل العمل مشاركة.

*****

إن ما أفصح عنه الوحي المقدس عن **وحدانية المحبة** بين أقانيم الثالوث المقدس هو القليل جدا، ولا يكشف سر وحدانية الله الفائقة لكل معرفة، ولا يكشف حياة الله القدوس الفائقة لكل إدراك، ولكنه كشف لنا القليل من أسرار محبته ليعرفنا ماذا كان يعني عندما أخبرنا أنه يحبنا "الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ. (يوحنا ١٦ : ٢٧) وعرفنا كيف يحبنا "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ..(يوحنا ٣ : ١٦) ومعني حبه المنسكب فينا "لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا. (رومية ٥ : ٥). وكذلك ليعرفنا بعضا من أبعاد الحب الإلهي لنتشبه به عندما نحب، ونتعلم كيف نعمق خبرات الحب في حياتنا.

لماذا ينبغي أن نفهم وحدانية الله؟

وحدانية الله ليست قضية لاهوتية من أجل إثبات التوحيد ونفي الشرك بالله ولكنها قضية حياتية بدونها لا نستطيع أن نفهم معني وصية تحب الله، وتحب قريبك. فإن لم نفهم كيف يحب الله لن نستطيع أن نفهم كيف ينبغي أن نحب الله ولا معني الدخول في شركة محبته، فكل حب بشري وكل اجتهاد في الحب مهما تسامي لن ينجح في إقامة علاقة صحيحة بالله، فالله لا يُحب بطريقة بشرية، ولنا في تاريخ البشرية درس، فكل محاولات الإنسان للوصول لله وإقامة علاقة بالله انتهت بهرطقات دمرت الإنسان روحيا وإنسانيا، وشوهت روحه، وأفسدت علاقاته، فمشكلة الهرطقة أنها تقدم حب مشوه وتنشئ علاقة مشوه بالله وبالآخر، ولذا يمرض الإنسان روحيا وأخلاقيا وتدمر حضاراته، وكم من حضارات اندثرت بسبب تلك الأساطير والمعتقدات الفاسدة.

إعلان الله عن محبته ووحدانيته، وضع لنا أسس علاقتنا به وعرفنا كيفية دخولنا في شركة محبته، فمحبة الله علاقة تقوم علي أسس محددة وواضحة، أهمها: التمايز الواضح، والمعرفة الشخصية، وتوافق المشيئة، والتمجيد المتبادل.

في شركة محبة الله يظل الإنسان إنسانا والإله إلها، لا يفني الإنسان في الإله، ولا يتأله الإنسان ويصير من جوهره، شركة محبة الله شركة إلهية إنسانية، أسسها الله بتجسد الابن الذي فيه اتحدت الطبيعة الإلهية مع الطبيعة البشرية بغير افتراق ولا امتزاج ولا اختلاط ولا تغير، وفي المسيح ندخل في شركة محبة الله، ففيه نولد ميلادا جديدا بالروح القدس ونصير أبناء لله بالتبني وندعو الله أبانا.

إن الدخول في شركة محبة الله هو عمل خلاصي من أعمال الثالوث الأقدس، الآب يتبنانا في المسيح ويسكب محبته فينا بالروح القدس، والابن يلدنا للآب ويعطينا طبيعة جديدة بالروح القدس، والروح القدس يقدسنا ويسكن بالحب فينا ويتشفع فينا لدي الآب ويعطينا كل ما للابن.

أن إعلانات الوحدانية والمحبة والثالوث الأقدس، هي إعلانات لنعي حقيقة أن التمايز لا يمنع الوحدة وتحقيق الوحدانية، وهي إعلان عن إمكانية دخولنا في علاقة محبة حقيقية مع الله، وإعلان عن إمكانية دخولنا في شركة محبته والاتحاد به. وبدون هذا الإعلان الفريد ما كنا نعرف كيف يمكننا أن ندخل في علاقة محبة مع الله، ولكانت البشرية تزال حائرة وممزقة بين اشتياقها لمحبة الله وبين هرطقات حب الإلهة!!.

ولا ينبغي أن ننسي أن دخولنا في شركة محبة الله والاتحاد به هو عمل خلاصي في المقام الأول وليس عملا إنسانيا، يرفعنا الله إليه ولا نقدر مهما اشتقنا أن نرفع أنفسنا إليه. إنه عمل إلهي، الذي فيه يعطينا الله طبيعة جديدة قابلة للدخول في شركة محبته، ونحن نتجاوب فقط مع محبته: أي نتجاوب مع معرفته، ومع مشيئته، ومع مجده.

لقد أعلن لنا أن سر المحبة التي تكمن في المعرفة، الآب يعرف الابن والابن يعرف الآب، فالمعرفة الشخصية هي التي تثبتنا في الله وفي محبته، أن تحب الله يعني أن تعرف الله بل بالأحرى أن يعرفك الله... وهذا ما سوف نناقشه بالتفصيل في الفصل التالي.

لقد أعلن لنا أن سر المحبة يكمن في الطاعة التامة، طاعة الحب التي تجعل المشيئة واحدة.. وأن نقول لله: لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك، فيصير الله الكل في الكل.

لقد أعلن لنا أن سر المحبة يكمن في التمجيد المتبادل، تمجيد الآب للابن وتمجيد الابن للأب، ونحن في شركة محبته ينبغي أن نمجده أي نظهره للعالم.. ونعمل كل عمل بحسب مشيئته ونعمل أعمالنا لكي يمجده الناس.. وحينما يتمجد فينا فأنه يمجدنا معه..



هكذا بدون فهم الوحدانية ما كنا نقدر أن نعي كيف نحب الله.. وما هي طبيعة هذه المحبة وكيف تكون... وكيف تتحقق...

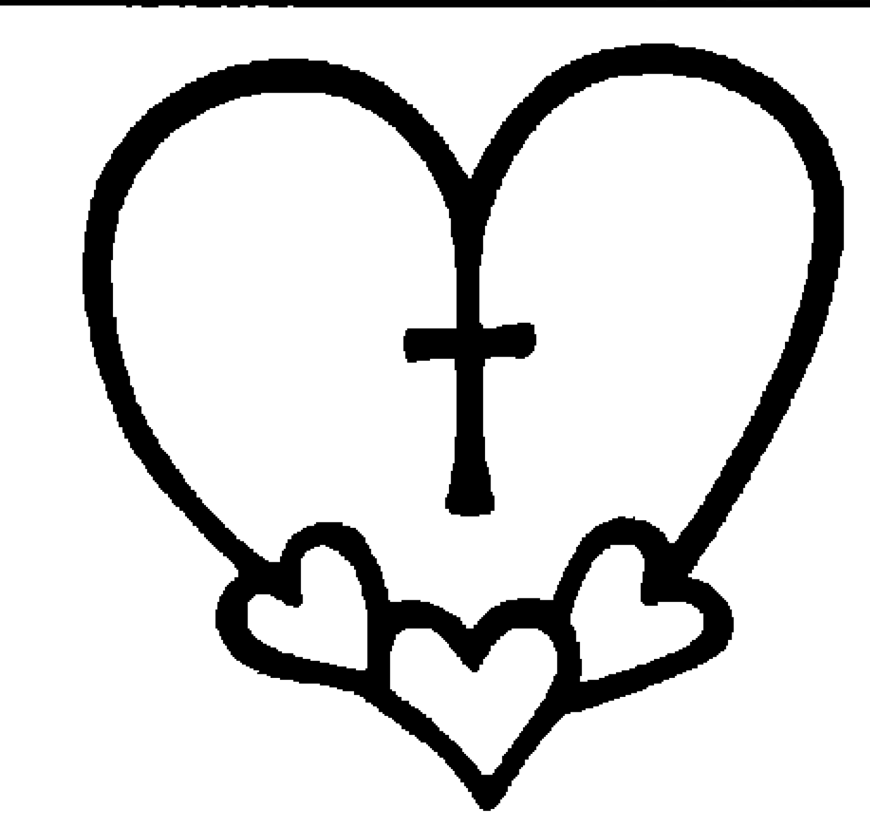
كذلك عرفنا إعلان الثالوث أن الحب علاقة ارتباط يقوم علي: التمايز الشخصي، والمعرفة الشخصية، وتوافق المشيئة، والتمجيد المتبادل، والمشاركة في العمل. وأن كل علاقة في حياتنا لا ترتكز علي هذه الأسس ليست بعلاقة محبة حقيقية، وكل حب لا يتحقق فيه هذه الأمور هو حب ناقص ولا يدوم وتكون محبة مختلة ولا تستقيم.

كل علاقة حب في حياتنا نحاول فيها أن نطمس فيها شخصية الآخر وأن نطبع شخصيتنا عليه ونجعله مثلنا وصورة لنا، ليست بعلاقة حب بل هي أنانية شديدة لا نري فيها إلا أنفسنا. ونفرض فيها أنفسنا علي الآخر، وهذا سبب مشاكل كثيرة في العلاقات الإنسانية وخاصة الزوجية ويحولها إلي صراع زوجي، وفي العلاقات الأسرية ويحولها إلي صراع أسري، وعلاقات العمل بين الرؤساء والمرؤوسين ويحولها إلي علاقة قهر تقتل الإبداع....

كل علاقة حب لا تنمو فيها معرفة الآخر، ونتبادل فيها المعرفة الشخصية تتحول إلي علاقة غرباء تتصارع فيها مشيئتهم وأحلامهم.. فلا تثبت طويلا.. ولابد أن يفترقا مع الأيام.

كل علاقة حب لا يسعى كل طرف لمساعدة الآخر علي النجاح وتحقيق شخصيته، تصير علاقة تتجه نحو الانغلاق، يسعي فيها كل طرف لينجح علي حساب الآخر ويهتم بنجاحه بدون وضع اعتبار للآخر، فلا يشتعل الحب فيهم.. بل يخمد سريعا وينطفئ.

كل علاقة حب لا تقوم علي المشاركة، أي أدوار مميزة ومتكاملة ومشيئة واحده، ولا يكون فيها أعمال مشتركة تعبر عن حبهم، تصير أعمالهم أثقال يحاول كل واحد أن يلقيها علي الآخر.. فيجهدا بعضهما البعض.. ويموت الحب بينهم.



المحبة علاقة ارتباط تقوم علي:

التمايز الواضح،

والمعرفة الشخصية،

وتوافق المشيئة،

والتمجيد المتبادل،

والمشاركة في العمل.

٢ـ المحبة سر شخص الله

لكل شخص سمات وخصائص تعبر عن وجوده وعن قدراته وعمله، وأيضا الله "شخص" إلهي له سمات وخصائص تجعلنا ندرك وجوده وقدرته ونميز عمله.

وكما أن الشخصيات تتوافق من خلال معرفة السمات المشتركة بينهم والسمات المتبادلة بينهم، ولذا نحتاج أن نعرف السمات التي يمكن أن تجعلنا متوافقين مع شخصه الإلهي، العدل والرحمة والشفقة والإحسان.. الخ، فبدون هذه الصفات لن نكون متوافقين معه ولا مرضين له، فالله يريدنا أن نتشبه به ويطلب منا القداسة والكمال التي هي من صفاته ويقول "كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ." (١بطرس ١ : ١٦) "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ. (متى ٥ : ٤٨) فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ. (لوقا ٦ : ٣٦). هذه الصفات لابد نتعلمها منه ونأخذها مه لنتوافق معه... وكيف لنا أن نعرفها إن لم نميزها فيه ونلمسها من تعاملاته معنا.

إننا لن نستطيع فهم شخصية الله ولا معرفة صفاته إلا من خلال فهم محبته، ولن نستطيع الدخول في شركة شخصية معه ونتلامس معه ونفهم صفاته، ولا أن نكتسب شيء من سماته إلا من خلال محبته فقط.

عندما يعلن الكتاب أن الله محبة، فأنه يعلن عن الله كشخص إلهي محب، محبته تحوى كل صفاته الإلهية، وأن صفاته الإلهية ما هي إلا أبعاد لهذه المحبة الإلهية، وأن حبه يجمع كل صفاته الإلهية ويظهرها مجتمعه معا.. في كل عمل له.. وفي آن واحد.

المحبة ليست صفة من صفات الله ولكنها طبيعة الله وطبيعة صفاته، فإن كان الله قدوس فهو قدوس في حبه وأن محبته هي محبة مقدسة، وإن كان الله عادلا فهو عادل في حبه وأن محبته عادلة، وإن كان الله رحيما فهو رحيم في حبه وأن محبته رحيمة، وأن كان الله سرمدي فهو أزلي أبدي في حبه وأن محبته لا بداية لها ولا نهاية، وإن كان الله لا يحد فهو لا يحد في حبه وأن محبته لا تحد.

إن إعلان **الله محبه** هو إعلان عن أن المحبة هي أساس كل الخصائص والصفات الإلهية.. وأننا لا نستطيع أن نفهم صفات الله بدون محبته، فالحديث عن صفات الله بدون حبة هو حديث فلسفي عن قيم أدبية مطلقة أكثر منها وصف لصفات شخصه الإلهي، فإن كنا نتكلم عن عدل الله بدون حبه، فأننا غالبا نتكلم عن العدل في المطلق، وعن فلسفة العدل، وأهميته وفضله وليس عن صفة إلهية تصف شخص الله العادل.

أنت شخص بقدر ارتباطك بآخر وسماتك الشخصية هي طرقك وأساليبك في الارتباط بهذا الآخر، إن كان الحب هو الذي يجعل الله يهتم بنا فإنه حينما يتعامل معنا مظهرا رعايته واهتمامه فأنه يتعامل بالعدل وبالرحمة وبالإشفاق وبالإحسان وبالرأفة وبالحق، فهذه سمات معاملات الله معنا، أي سمات محبته لنا وهذه ما نسميها صفات شخصية الله.

قد يرتبك فهمنا لصفات الله وقد يتعقد وحينئذ تتعقد معها علاقتنا بالله. وهذا ما يحدث حينما نحاول أن نصنف المحبة كسمة شخصية لشخص الله مثل القداسة والصلاح والحق، ونبدأ نحاول ترتيب هذه الصفات ونعطي بعضها أولوية علي الصفات الأخرى سواء في التعليم أو في العبادة أو في العلاقة الشخصية، فلو تعاملنا مع الله من مدخل القداسة سوف نجد أنفسنا نتعامل مع إله من المستحيل فهمه ومن الصعب إرضاؤه.. وتصير روحياتنا روحيات صعبة ومتزمتة، وإن جعلنا المحبة مدخلنا للتعامل معه سوف نجد الدلال يوقعنا في طريق الاستهانة (رومية٢: ٤) والتباسط يوقعنا في طريق التطاول والتجاوز (متى ١٦ : ٢٢).

إن الفهم الخاطئ لصفات الله ينشئ حياة روحية مريضة ومشوهة؛ تفسد معه شخصياتنا ولا تجعلنا نكتسب صفات جيدة ولا فضائل حقيقية من علاقتنا بالله.

المحبة هي أساس وسر كل صفات الله، فالله قدوس لأنه المحب، وهو صالح لأنه محب، وهو محق لأنه يحب.

لا يوجد عند الله تعارض بين حبه وصفاته، فهو قدوس في حبه ومحب في قداسته، صالح في حبه ومحب في صلاحه، محق في حبه ومحب في حقه.

قد يجد كثيرون صعوبة في الربط بين محبته وقداسته، فكيف لله المحب أن يدين ويهلك وكيف لله القدوس أن يقبل الخطاة ويموت من أجلهم؟! وكذلك في الربط بين محبته وصلاحه، فكيف يجازي الله المحب كل واحد بحسب أعماله وكيف الإله الصالح يتأني علي الضعف البشري ويسامح من كسر وصاياه ولم يصنع الصلاح بل والأصعب أنه يبرر مجانا !!... وكذلك عندما يربط بين حبه وحقه، فكيف لله المطلق في حبه وحبه غير مشروط أن يكون حقه حداً لحبه!! وأن يكون الحق وحفظ وصاياه شرط الثبات في حبه!! وكيف لله الحق يكون حبه بلا شروط والحق يعني قواعد وأسس ثابتة لا تتغير.

إن جهلنا بمحبة الله وعدم فهمها علي النحو الصحيح هو الذي يوقعنا في هذه المتناقضات ويجعل من حياتنا الروحية حياة متناقضات وصراعات ونتأرجح في علاقتنا بالله بين حبه وبين تقديسه، وبين عمل صلاحه وطلب غفرانه، وبين قبول مشيئته وبين طلب مشيئتنا منه، وتكثر تساؤلاتنا الجدلية والاستنكارية هل الخلاص يتم بالأعمال أم بالنعمة، وكيف اعرف مشيئة الله لحياتي؟ ولماذا لا يستجيب الله لطلباتي؟ إن ظهور هذه النوعية من التساؤلات وأمثالها في أذهاننا إنما يدل علي أننا لم نفهم محبة الله ولم نختبرها بعد!! كما ينعكس كل ذلك علي علاقاتنا بالآخرين وعلي خبرة محبتهم فنجد أنفسنا نعاني في حبهم من صراع المتناقضات بين الحب والكرامة، والحب والتهاون، والحب والحقوق، ونجد محبتنا لهم محبة مؤلمة ومتعسرة ولا نجني منها ثمرا.

الله قدوس في حبه، ومحب في قداسته

محبة الله محبة فريدة، فريدة في نوعيتها فهي محبة ليس لها مثيل في عالم البشر. محبة تعبر عن شخصه الفريد، ولأنه قدوس ومتفرد في القداسة فهي محبة مقدسة لا يشوبها شائبة. كذلك هي محبة فريدة في نقائها وطهرها فلا تتغاضي عن خطية ولا ضعف ولا فتور. محبة فريدة في الكيفية التي يعبر بها الله القدوس عن حبه والذي يظهر قداسته في حبه.

فكلما اقتربنا منه واختبرنا محبته نكتشف قداسته، ونتواضع أمام عظم محبته، وننحني ونجثو أمام طهر محبته، واكتشفنا كيف يحب في قداسه، وتعلمنا منه أنه لا حب بدون قداسة وكيف يصير الحب مقدسا...

الله قدوس في حبه، فحبه لنا حب سامي فوق الإدراك، فمهما حاولنا لن نصل إلي فهمه ومعرفته، وإن كنا نحاول أن نتلمس القليل من أبعاد محبته بحسب ما أعلن لنا، ولكننا سوف نظل علي هذا الحال إلي ما لا نهاية، ولذلك يصفها بولس الرسول بالمحبة **فائقة المعرفة** وينصحنا أن نتأصل فيها ونتذوقها فتعرف تدريجيا علي أبعادها كلما امتلأنا منها فيقول: "وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ.(أفسس٣: ١٨-١٩)، فمحبة الله لها أبعاد كثيرة وجوانب متعددة يصعب علي أحد إدراكها أو الإلمام بها، ولا يختبرها إلا القديسون والدين يعيشون في حياة القداسة.

الله يحب كل شخص بطريقة فريدة ومختلفة، فحبه متسع جدا ولا يمكن حصر محبته في شكل محدد، أو طريقة محددة، أو قصرها علي فئة معينة من الناس.

*****

الله قدوس في حبه، فمحبته لنا محبة تامة، وكاملة، ودائمة، ولا تتغير إلي الأبد، فيعلن لأرميا النبي قائلا: "**وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ** مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ. (ارميا ٣١ : ٣)

فمحبته لا يشك فيها، ولا ينبغي أن نتساءل يوما: هل الله مهتم بنا؟! وهل يحبنا؟! وما هو مقدار حبه؟! وهل نحن من خاصته؟! هذه أسئلة لا معني لها في ضوء محبة الله المقدسة... التامة والكاملة والدائمة.

كذلك محبته لا خوف فيها، فهي محبة لا تتبدل ولا تنقص ولا تتوقف مهما كان حالنا ومهما تغيرت ظروفنا أو نفسيتنا أو روحانيتنا، فالله لا يتوقف حبه إن رفضنا محبته!! أو حتى رفضنا شخصه!! أو أنكر البعض وجوده!! فهو يظل علي حبه وفي حبه يهتم بالكل وينعم علي الكل الأبرار والأشرار، ولا يشأ موت الخاطئ، ويسعى لخلاص كل أحد.

ثبات محبة الله وديمومتها لا تعني أن الله أحب مرة وعبر عن حبه وأنتهي الأمر، أو أنه لا يضع اعتبار لمحبتنا له أو لتجاوبنا مع أعمال محبته. الله يتفاعل معنا لأنه محبة.. والمحبة من طبيعتها التفاعل المستمر، فالله في حبه يفرح، ويحزن، ويغضب، ويعاقب، ويؤدب، وينتقم، ويجازي، ويعزي، ويكافئ، ويكلل.

مشاعر الله يحكمها حبه، فهي ليست مشاعر خارج السيطرة، الله لا يخرج عن شعوره وعن التحكم في مشاعره.. حاشا، فالله قدوس وليس إنسان.

معظم الناس تحكمهم مشاعرهم، وكثيرون لا يعرفون كيف يسيطرون علي انفعالاتهم ويخرجون عن شعورهم، والقليل من الناضجين نفسيا الذين يتميزون بالتوازن والثبات الانفعالي يتحكمون إلي حد ما في مشاعرهم وفي ردود أفعالهم، وهذا التحكم يأتي من سيطرة ذهنهم علي انفعالاتهم ومن خبراتهم الطويلة في الحياة.. كل هذا ليس عند الله ولا ينبغي أن نتصوره عن الله حينما يفصح الله عن مشاعره في مواقف عديدة في الكتاب المقدس، أو حينما نتصور مشاعر الله حيال تصرفاتنا وخاصة أخطائنا وخطايانا.

كل ردود فعل الله لمشاعره تجاهنا هي أفعال محبة، ففي فرحه بنا يقدم محبة، وفي حزنه منا يقدم محبة، وفي غضبه يقدم محبه، وفي انتقامه يقدم محبه، ففي كل الأحوال يظهر حبه، ففي فرحه يعلن عن حبه وتكثر وعوده وما أعده لنا من نعم سماوية، وفي حزنه يعد لنا خطط خلاص، وفي غضبه يضيق علينا لخلاصنا وفي تأديبه يصنع خلاص، وهكذا. فكل أفعال الله تجاوبا معنا هي أفعال محبة لخلاصنا وإن كانت تتم بطرق مختلفة ووسائل متعددة، قد يكون بعضها مشجع ومعزي وبعضها ضاغط وقاس ولكن الكل هو لخلاصنا.. وكل طرقه فيها محبة وكل عمله يعبر عن حبه، فمهما عمل الله

فهو المحب.. المحب الفرحان والمحب المؤدب والمحب المنتقم.. وكما يصفه البابا شنودة الثالث في قصيدة همسة حب: يا قويا ممسكا بالسوط في كفه.. والحب يدمي مدمعك..

*****

الله قدوس في حبه، حبه نابع منه.. وهو نبع الحب الوحيد..

الله قدوس في حبه، فلا يوجد حب خارج عنه، ولا يفرض الحب عليه ولا يغلب منه، وحبه هو اختياره الحر المطلق.

يحتاج الإنسان أن يُحب ليستطيع أن يحب، ويحتاج لمن ينجذب إليه لتشتعل نار الحب فيه، هذا الأمر ليس عند الله، فلأن الله قدوس فهو لا يحتاج لأحد.. والحب عنده مشتعل لا يُشعله أحد، ولا يوجد حب خارج عنه يشعل الحب فيه بل هو نفسه مصدر الحب ومشعله في قلب كل أحد.

الإنسان يدخل في الحب، ويقع في الحب، ويغلب من حبه ولا يعرف لماذا أحب ولماذا يُحب، ولكن الله لأنه قدوس وسلطانه سلطان مطلق، فهو له سلطان علي حبه.

فهو يبادر بالحب وبإرادة حرة مطلقة، فالله لا يحب لأنه هناك من أحبه ولكنه يحب من يختاره هو، وهو اختار من يحبه فيقول ".. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. لَقَّبْتُكَ وَأَنْتَ لَسْتَ تَعْرِفُنِي. (اشعياء ٤٥ : ٤).. نَطَّقْتُكَ وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي. (اشعياء ٤٥ : ٥). ويدخل في علاقة حب مع من اختارهم حتى قبل خلقهم وولدهم " قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ" (ارميا ١ : ٥).

واختياره لأحبائه لا يبرر ولا يعلل ولا يسأل عن سببه. ويشرح ذلك بولس الرسول في رسالة رومية٩: ١٣- ١٦ "كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ». فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْماً؟ حَاشَا! لأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى: «إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ». فَإِذاً لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ."، فالدخول في اختبار محبة الله ليس له علاقة بإرادة الإنسان ولا بجهاده ولا بره، بينما الثبات في محبة الله يحتاج إرادة الإنسان وجهاده وبره.

محبة الله هي **محبة مبادرة** ولا تتم كرد فعل ولا كاستجابة لمحبة المخلوق له؛ علي عكس الإنسان الذي حبه يشتعل استجابة لمحبة الله، ولابد له أن يجاهد ليثبت في هذه المحبة. فلا ينبغي أن نسأل لماذا

أحبنا الله، ولماذا نحن من أحبائه؟ فالله أحبنا لأن هذا اختياره وهذه هي إرادته..وكل ذلك تم وحدث لأنه محبة.

لأن الله قدوس في حبه فلذا حبه يتم بإرادته المطلقة، وحبه حب حر تماما، وحبه حب مبادر، وحبه هو اختياره... فلا ينبغي أن ننسي أبدا حقيقة أن **الله هو نبع الحب الوحيد** ولا يوجد حب خارج عنه.

نحن نحبه لأنه أحبنا أولا، ولكنه هو أحبنا فضلا، أحبنا قبل أن يخلقنا.. أحبنا ونحن بعد خطاة.. فلا عجب أن نجده يطلب منا أن نكون مثله مبادرين بالحب.. ونحب فضلا.. ونحب الكل حتى أعداءنا.. ويوصي:

"وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ. وَإِذَا أَحْسَنْتُمْ إِلَى الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَيْكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يَفْعَلُونَ هَكَذَا. وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يُقْرِضُونَ الْخُطَاةَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمُ الْمِثْلَ. بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ. (لوقا٦: ٣٢- ٣٥)

*****

الله محب في قداسته. الله في قداسته لا يطيق الخطية ويؤدب الخطاة، ويرفض الخطية ويدين الخطاة.. لماذا والخطية لا يمكن أن تمس الله في قداسته، وإن كانت تفسد الحياة وتدمر الخاطئ جسديا ونفسيا وروحيا وتسبب موته وهلاكه.

هل لا يطيق الله الخطية لأنها ضد إرادته، ولأن الخطاة عصاه لا يطيعون وصاياه، فيعتبر الله ذلك أهانه لقداسته وتحدي لسلطته المطلقة؟!!

الله ليس إنسان يثور لكرامته، الله هو القدوس المحب، وهو لا يطيق الخطية لأن كل خطية في أصلها هي رفض لمحبته، فهو حلق الإنسان ليكون في علاقة معه ومع الآخر، وكل خطية تتسبب في فساد هذه العلاقة أو كسرها مهما كان تصنيف هذه الخطية، فالكذب مثلا يقلل من المصداقية التي

تقوي علاقتنا بالآخر وتزرع الشك بدلا من الثقة فيفسد الحب وينهار، ومهما حاولنا تبرير كذبنا أمام الله لا نكون صادقين معه وهو الذي يعلم كل شيء..

الخطية مفسدة للمحبة من زوايا عديدة وتكسر روابط المحبة، ومن هذا المنطق فالخطية عند الله خاطئة جدا.

وإن كان البعض يعتبر الخطية هي كسر للوصية، فالله القدوس لا يقبل أن تكسر وصاياه، فأن عدم طاعتنا له هي خطية أيضا موجهة لمحبته، فالمحبة طاعة "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ "(يوحنا ١٤ : ١٥) والطاعة هي دليل الحب ولازمة لاستمرار الحب ونموه وتطويره " اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي». (يوحنا ١٤ : ٢١)، فعندما نكسر وصاياه فكيف لنا أن تتوافق مشيئتنا مع مشيئته؛ وتوافق المشيئة هو جوهر الحب.

كذلك لا يقبل الله أن نكسر وصاياه لأن وصيته هي عمل من أعمال محبته لنا، فهو يقدم لنا في وصاياه نصائحه لنا لنحيا حياتنا علي أفضل وجه، ويوصينا كيف ندخل في علاقة محبة معه، فكل كسر للوصية هو إهدار لمحبته ورفض لها.

*****

الله محب في قداسته، ولأن الله قدوس محب فهو إله غيور" **الرَّبَّ اسْمُهُ غَيُورٌ**. اَلَهٌ غَيُورٌ هُوَ. خروج ٣٤ : ١٤ (خروج ٢٠: ٥، ٣٤: ١٤، تثنية ٦: ١٤- ١٥). ويدعي الغيور، وفي غيرته يكون كنار آكلة ويقول الوحي المقدس "لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ إِلهٌ غَيُورٌ" (تثنية ٤: ٢٤).

الله قدوس وحبه مشتعل، واشتعال حبه يجعله غيوراً، يغير علي حبه، ولا يسمح بإهانة حبة، أو الاستهتار بحبه، أو رفض حبه.

الله غيور وغيرته هي حمية حبه التي تجعله في حالة عمل، ولا ينبغي أبدا أن نظن أن غيرة الله تسعي لامتلاك المحبوب أو حصاره كما يغير البشر.

لأن الله قدوس فهو يغير علي اسمه ولا يسمح بإهانة اسمه كما قال يشوع لشعب إسرائيل: «لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ لأَنَّهُ **إِلَهٌ قُدُّوسٌ وَإِلَهٌ غَيُورٌ هُوَ**. لاَ يَغْفِرُ ذُنُوبَكُمْ وَخَطَايَاكُمْ. وَإِذَا تَرَكْتُمُ

الرَّبَّ وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً غَرِيبَةً يَرْجِعُ فَيُسِيءُ إِلَيْكُمْ وَيُفْنِيكُمْ بَعْدَ أَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكُمْ» (يشوع٢٤: ١٩-٢٠).

الله المحب لا يغير من أحد، فلا يوجد ند له، ولكنه يغير ويغضب إن تصورنا أحد غيره.. وصنعنا لنا أصناما أطلقنا اسمه عليها.. فهو كان يستاء جدا من شعبه الذي يحاول أن يعيظه بأصنامه " وَعَمِلَ أَخْآبُ سَوَارِيَ، وَزَادَ فِي الْعَمَلِ لإِغَاظَةِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُ. (١ ملوك ١٦ : ٣٣)، وكما أفصح عن استياءه لأشعياء النبي قائلا: "بسطت يدي طول النهار الى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء افكاره. شعب يغيظني بوجهي دائما يذبح في الجنات ويبخر على الآجر (أشعياء ٦٥: ٢-٣)

كما يغير ويغضب إن وضعنا أحد في حياتنا في مترله أعلي منه. ويقول: "مَنْ أَحَبَّ أَباً أَوْ أُمّاً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي وَمَنْ أَحَبَّ ابْناً أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي" (متى ١٠ : ٣٧)

الله يغير علي أحبائه، وكل من دعي اسمه عليه " هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: غِرْتُ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَعَلَى صِهْيَوْنَ غَيْرَةً عَظِيمَةً. (زكريا١: ١٤)، فشعبه الذي أحبه ودعي اسمه عليه وارتبط اسمه بالله، عندما أهين من أعدائه وامتدت الإهانة لأسمه القدوس، ظهر لهم الله كمنتقم منهم ومخلص لشعبه. «اشْفِقْ يَا رَبُّ عَلَى شَعْبِكَ وَلاَ تُسَلِّمْ مِيرَاثَكَ لِلْعَارِ حَتَّى تَجْعَلَهُمُ الأُمَمُ مَثَلاً. لِمَاذَا يَقُولُونَ بَيْنَ الشُّعُوبِ: أَيْنَ إِلَهُهُمْ؟».. فَيَغَارُ الرَّبُّ لأَرْضِهِ وَيَرِقُّ لِشَعْبِهِ. (يؤئيل٢: ١٧-١٨) وكما يقول أشعياء : "الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ. (اشعياء ٤٢ : ١٣)

الله غيور يحمي حبه ويؤكده ويُفعله، فغيرته هي حمية حب؛ في غيرته يعضب ليخلص، وحينما يغضب يضيق علينا حتي نتوب، وإن لم نتب فالضيق يصير لنا هلاكا.

الله القدوس المحب في غضبه لا يدمر ويهلك، بل يظل المحب في غضبه، ويحول غضبه إلي أعمال محبة قوية للخلاص، تصلح الحب المكسور والمهان، وتنقد الذين سقطوا من محبته، ويبدأ يؤدب ليخلص ويظهر حبه المؤدب"لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ». (عبرانيين١٢: ٦)، ويستخدم كل طرق التأديب ليقودنا إلي التوبة تارة بلطف وطول أناة كما يقول بولس الرسول " أَمْ

تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟ (رومية٢: ٤)، وتارة أخري بالضيق لمن لا يستجيب للطف ويسمح أن تكثر الضيقات حوله حتى يرجع إليه ويتوب كما يوضح "وَأُضَيِّقُ عَلَيْهِمْ لِكَيْ يَشْعُرُوا. (ارميا ١٠ : ١٨)،

والعجيب في محبة الله أنه لا يسمح أن نلقي في الضيق إلا ويكون معنا يشاركنا الضيق ويكون معنا حاضرا، ولا يتركنا كي لا يهلكنا الضيق، بل ويكون مستعدا لأنقاذنا في اللحظة التي نعود فيها إليه "يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ. مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ. أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ.(مزامير ٩١ : ١٥)

والعجيب في محبة الله أنه يتضايق لضيقنا ويعمل في ضيقنا لخلاصنا "فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ **تَضَايَقَ** وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ. (اشعياء ٦٣ : ٩)، فكل ضيق يضايقنا ويضغط علينا هو في يد الله موجه بحكمة فائقة ليحولنا نحو التوبة والرجوع إليه وإلي أحضانه وأفراحه.

ولكن من يرفض التأديب والضيق، يصير له الضيق هلاكا أبديا. فالجحيم ضيق سمح به الله لأجل التوبة ولكنه تحول إلي عذاب للدين رفضوا التوبة. ففي الجحيم يوجد كل إنسان رفض محبة الله، وتحجر قلبه وصار لا يعرف كيف يحب[٣]، وأصبح يري محبة الله معلنة ومكشوفة ولا يستطيع الوصول إليها.

إن وجود الجحيم دليل وإعلان عن حب الله، الذي أحب إلي المنتهي، **أحب وعمل من أجل حبه**، واحتمل رفضه، وتألم منه، وجاهد معنا من أجل توبتنا ورجوعنا إليه، ولكنه في كل ذلك لم يمس حريتنا ليظل ارتباطنا به ارتباط محبة.. ارتباط باختيارنا وبكامل حريتنا.

إن كان الحب موقف، فالله في حبه له موقف، فهو لا يسمح بفشل الحب ولا بتفكك الروابط..... والله موقفه من انكسار الحب إيجابي وخلاصي لا استسلامي، وله موقف مقاوم لكل خطية تفسد الحب، فالغيرة الإلهية هي سر كل أعمال الله الخلاصية.

---

[٣] يقول ديستوفسكي (كاتب روسي شهير) "أن جهنم هي الألم المبرّح الناتج عن العجز عن الحب "

الله صالح في حبه، ومحب في صلاحه :

إن كان الله محبة والمحبة متحققة فيه، فهو يسعي أن تتحقق المحبة في الكون وخليقته وفينا، ويعمل كل الأعمال التي تجعل المحبة متحققة في حياتنا، كذلك يعمل الله دوما علي إصلاح ما يفسد المحبة في حياتنا ويقطع روابطها ويفك الترابط بينا وبينه وبين بعضنا البعض، فالمحبة عند الله لا تفشل ولا تسقط بل لابد لها أن تنجح وتستمر وتدوم، ودليل نجاحها ظهور الخير في حياتنا وتحقيق سعادتنا بنعمته ونمو وتطور شخصيتنا بارتباطنا به.

الله صالح في حبه:

المحبة ليست شعور وتفاعل وترابط فقط ولكنها إرادة حيره، بالحب نريد الخير للمحبوب، ونسعى لسعادة المحبوب، وكمال المحبوب.

الله الصالح في حبه يصلح أحباءه. فنحن موضوع صلاح الله، وهو يهتم كيف نكون صالحين- شخصيتنا صالحة، وأعمالنا صالحة.

يسعي الله في حبه لنا لنمونا لنكون علي أفضل صوره (شخصية) ونحيا في أفضل ظروف (جنة عدن)، فإن كان خلقنا علي أفضل صورة ممكنة، ولما لم يكن هناك أفضل من صورته فلذا خلقنا علي صورته هو لنتمثل بشخصه، ولا يزال يساعدنا أن نحقق هذه الصورة وتكون شخصيتنا علي أفضل وجه ونكون مشابهين صورة أبنه.. وندخل معه في أقوي علاقة وأحسن ارتباط.. علاقة أبناء بأبيهم ونتمتع بحبه الأبوي، فيقول الوحي المقدس"أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ."(١ يوحنا ٣ : ٢).

وإن كان الله يعمل علي كمال شخصيتنا واكتمال صورته فينا، فإنه يهيئ لنا الظروف التي تساعدنا علي ذلك، فخلق لنا عالم متسع ووفر لنا فيه كل ما يلزمنا لنحيا حياتنا ولا نحتاج لشيء، وكما نقول له في القداس "لم تدعني معوزا إلي شيئا من أعمال كرامتك "، كذلك وفر لنا بيئة آمنة نحيا فيها حتي تنمو فيها قدراتنا ونكون قادرين علي التسلط وعلي عمل الصلاح وإصلاح الأرض وإفلاحها، فوضع الإنسان الأول في جنة عدن التي فيها أشجار وفي وسطها شجرة الحياة، ووضعنا

الآن في كنيسة فيها أسرار ووسطها خبز الحياة، لقد حدد لنا مكان آمن نلتقي فيه معه، ونتعلم منه كيف نصنع الصلاح ونكون مثله، وكيف نفلح الحياة ونتنج خيرا في حياتنا.

كل شخص يدخل معه الله في علاقة شخصية، يطور الله شخصيته ويغير ظروفه ليكون شخصا صالحا ويظهر الصلاح في حياته وحياة من حوله، فمثلا إبراهيم أبو الآباء عندما دخل في علاقة شخصية مع الله وصار خليل الله، أخرجه الله من أرضه وعشيرته، وطور شخصيته بوعوده له، فصار إبراهيم أباً للمؤمنين، وبالإيمان ولد لله شعبا مختارا وأمه مقدسة.

كذلك موسي كليم الله أخرجه الله من البرية وأرجعه لمصر ليواجه فرعون، وطور الله شخصيته فصار حليما جدا، واستطاع أن يخرج شعب الله من العبودية إلي الحرية، ومن حياة القهر والبؤس إلي حياة الراحة وإلي أرض تفيض لبنا وعسلا. وهكذا مع كل القديسين الذين دخلوا في عشرة محبته، طور شخصيتهم وجعلهم صناع صلاحا وخيرا ممتدا لكل من حولهم وممتدا عبر التاريخ لأجيال كثيرة.

الله الصالح في حبه يعمل في قلوبنا وفي ظروفنا لنكون مثله، فإن كان هو صانع الخيرات فهو يعمل فينا بصلاحه لنصنع الخير ونتعلم الصلاح ونصلح الأرض ونفلحها.

ما أروع هذا الحب الإلهي الذي لا يهتم بصلاح أحوالنا ولكن بصلاحنا نحن وأن نصنع الصلاح.. أنه لا يوفر لنا فقط ما يسعدنا ولكنه يعرف كيف يجعلنا سعداء بصلاحنا، وكيف يطورنا ويقوينا لنصنع الصلاح مثله.

إن كان الله محب للبشر، فهو يحب الخطاة والضعفاء، ولأنه يحبهم فهو بصلاحه يصلحهم ويهتم بصلاحهم وخلاصهم، فيقول المرنم: "اَلرَّبُّ صَالِحٌ وَمُسْتَقِيمٌ لِذَلِكَ يُعَلِّمُ الْخُطَاةَ الطَّرِيقَ. يُدَرِّبُ الْوُدَعَاءَ فِي الْحَقِّ وَيُعَلِّمُ الْوُدَعَاءَ طُرُقَهُ" (مزمور ٢٥ :٨ -٩)

الرب يهدي بحبه ويدرب بصلاحه، يهدي أحباءه لطرقه.. ولطريق محبته.. ولطريق شجرة الحياة، ويدرب السائرين في الطريق نحوه علي الحق والاستقامة، أنه حقا محب للبشر..

فإن كان لا حب مع إهمال فهو لا يهمل استقامة أحبائه، **فهو ينصح بقدر ما يحب "أُعَلِّمُكَ** وَأُرْشِدُكَ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسْلُكُهَا. أَنْصَحُكَ. عَيْنِي عَلَيْكَ" (مزامير ٣٢ : ٨)، ولأن حبه صالح، ولا

حب مع اعوجاج أو تراخي أو تهاون، فهو يهتم باستقامة أحبائه ولذا **يستخدم كل طرق التهذيب والتأديب في رعاية أحبائه** حتى تتحقق استقامتهم.

الله محب البشر يسعى وراء كل ضال وينتظر رجوع كل تائب، ويفرحَ بتوبة الخاطئ ورجوعه إليه.

الرب يغفر بحبه ويصلح بصلاحه، فالغفران عنده مصالحه وإصلاح، الغفران عنده ليس عفوا عن الخاطئ ولكنه يصالحه ويصلحه.

الحب مصالحة، الله في حبه يسعي لكي نتصالح معه، فهو يدعونا للتوبة وترك الخطية التي تفصلنا عنه " آثَامُكُمْ صَارَتْ فَاصِلَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِلَهِكُمْ وَخَطَايَاكُمْ سَتَرَتْ وَجْهَهُ عَنْكُمْ.." (اشعياء ٥٩ : ٢) وينادي علي كل خاطئ يختبئ منه كما فعل قديما "فَنَادَى الرَّبُّ الالَهُ ادَمَ: «ايْنَ انْتَ؟»(تكوين٣: ٩) ويعمل علي إزالة الخوف منه والأفكار المشوهة عنه حتى ما يطمئن ذلك الخاطئ أنه معه وليس عليه فيرغب في الرجوع إليه. ولما لم نكن نعرف كيف نتصالح معه، بادر بحبه وتجسد الابن ليصالحنا مع الآب "الَّذِي صَالَحَنَا لِنَفْسِهِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ"(٢ كورنثوس ٥ : ١٨)، كذلك يعمل الله في حياتنا كي ما نتصالح مع أنفسنا، ومع الآخرين، ومع الحياة.

ولأنه لا يوجد مصالحة بدون إصلاح، ولأنه محب صالح، فهو يعمل بصلاحه علي إصلاح كل ما فسد في حياتنا. يصلح ما أفسدناه بجهلنا وبخطايانا، ويصلح طبيعتنا لنصير متصالحين معه وندخل في شركة محبته.

كان المسيح له المجد يجول يصنع خيرا، يصلح كل فساد في حياتنا، فيشفي المرضي، ويشبع الجياع، ويعلم الجهال، ويخرج الشياطين، ويقيم الموتى، وأخيرا يموت ويقوم من الأموات ليقيمنا معه ويقيم فينا طبيعة جديدة.

محب في صلاحه :

لأن الله صالح فكل ما يصنعه هو خير وهو صانع الخيرات، ولكنه لا يصنع الخير لأنه خير فحسب، ولا يصنع الخير لأجل نفسه فهو لا يحتاج ما يخلقه وما يعمله، ولكنه يخلق من أجل أحبائه، يخلق ويبدع، ويعمل ويدبر، ويدير ويرعي من أجل ما هو صالح لأحبائه، فمقياس الصلاح عند الله هو خير أحبائه..

عندما خلق الله العالم ورأي ما خلقه حسنا، وحسنا جدا.. لم يكن يبدي أعجابا بما خلقه ولا يشهد علي كمال وروعة ما خلقه، ولكنه كان يشهد أن ما خلقه أنه حسن للإنسان وانه مناسب له ويضمن وجوده وحياته، ولذلك لما رأي الإنسان وحيدا قال ليس جيد أن يكون الإنسان وحده، فخلق له حواء من أجل اكتماله، وإتمام سعادته، وتحقيق وجوده وضمان استمرارية حياته.

كذلك الله بصلاحه يضبط الكل لأجل أحبائه، أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ. (رومية ٨ : ٢٨).

الله صانع خيرات لمحبيه، فصلاح الله هو لصالح محبيه، وصلاح الله لا ينفصل عن حبه، فكثير من المزامير التي تسبح الله تربط بين صلاحه وحبه، وتقول: أحمدوا الله لأنه صالح ومحب للبشر.

إرادة الله ومقاصده كلها خير لأحبائه ولا يوجد فيها شر مطلقا. إرادة الله مطلقة ولكنها ليست منفصلة عن الإنسان ولا عن خيره وسعادته، الله لا يريد خيرا لإنسان لا يريده الإنسان لنفسه، ولا يصنع للإنسان صلاحا يجبره عليه.

عندما خلق الإنسان الأول صنع له جنة ليعيش فيها، ولكن لما رفض نظامها وكسر قانونها، أخرجه منها وجعله يبحث ويفكر ليعرف ماذا يريد؟! وماذا يمكن أن يفعل بحياته بمشيئته المفردة؟! ويظل يبحث ويبحث.. ويجرب ويفكر.. حتى يدرك قيمة رؤية الله وصلاحها له، ويطلب مشيئته بكل إرادته وبتمام حريته.

ولذلك الإنسان الصالح الذي فهم صلاح الله المحب، يطلب من الله أن يصنع صلاحه بحسب عينية لا بحسب رؤيته البشرية الضيقة.

الله محق في حبه، ومحب في حقه :

الله كامل في حبه ولذا حبه حب "مبادر" وحبه "غير مشروط"، وكذلك الله إرادته مطلقة وشريعته التي هي تعبير عن إرادته هي "حق" وهذا الحق هو حق مطلق وواجب النفاذ والسيادة.

فكيف لله المطلق في حبه وحبه غير مشروط أن يكون حقه حداً لحبه؟! وأن يكون الحق وحفظ وصاياه شرطا للثبات في حبه؟!

وكيف لله الحق أن يكون حبه بلا شروط بينما الحق قواعد وأسس وشروط ثابتة لا تتغير!!

هل هناك تناقض بين الله المحب والله المشرع؟! وهل هناك تعارض بين محبة الله الغير مشروطة وناموسه الواجب الطاعة؟! وبالإجمال هل هناك تعارض أو تناقض بين الناموس والنعمة، وهل الأفضل لنا أن يكون إطار علاقتنا بالله الناموس(الحق) أم النعمة (الحب)؟!

لا يوجد عند الله هذا التناقض فلا محبته تتناقض مع شريعته ونواميسه، ولا فرضه لشريعته وإرادته يتناقض أبدا مع حبه، ولكن هذه التناقضات والتساؤلات إنما سببها خبرة الإنسان الذي لا يعرف كيف يحب حبا حقيقيا، وخبرة محبته مليئة بعيوب كثيرة مما يجعله يصطدم بهذه الإشكاليات، فالبعض يريد أن يحب بدون التزام: وكثيرا ما عاني المحبون من قلة الأمانة والصدق في تجربة حبهم، وكثيرا ما ظن البعض أن الحب تنازل عن الحقوق والكرامة، وأنه لا حقوق ولا حدود بين المحبين !! ونسي كثيرون أن الحب علاقة تقوم علي العهد، وأن العهد هو اتفاق ولكل اتفاق إطار وهدف، فهناك في حياة الناس الكثير من خبرات الحب خارج الأطر وخبرات الحب الغير موجه نحو هدف، وكثير من خبرات الحب الذي فشل في تحقيق أهدافه؛ لقد جعلت كل هذه الخبرات من الحب معاناة وعذاب، وأفسدت ذهنية البعض الذين أسقطوا ذلك علي فهمهم ورؤيتهم لمحبة الله وظن بعضهم أن محبة الله فيها مثل هذه المتناقضات.

الحب عند الله **رؤية وإرادة**، فإن كانت المحبة مشيئته فهو له رؤيته في كيفية تحقيق هذه المحبة، ويري بحكمته كيف يمكن أن تتحقق المحبة..

الله محق في حبه، فحبه ليس باطلا بل هو حق فاعل. محبة الله لنا ليست مشروع محبه يدعونا إليه.. ولا هو رغبة إلهية غير متحققة.. ولا هو مشاعر إلهية من نحونا، بل هو حب حقيقي، علاقة حقيقية، التزام حقيقي، وبذل حقيقي، وعمل محبه حقيقي.

ولأنها علاقة حقيقية، فكان لابد لها من **قواعد** تؤسس عليها، ولابد لها من **وسائل** تضمن نجاحها، ولذا وضع الله لها شريعة تسمي **شريعة المحبة**.. نظام من خلاله تسري محبته لخليقته وللإنسان، فوضع لنا ناموس ووصايا تصنع إطاراً للمحبة وتعرفنا كيف أحبنا.. وكيف نحبه وكيف ندخل في علاقة معه.

لقد أعلن الله عن محبته عمليا في وصايا ونواميس وضعها في النظام الكوني (الناموس الطبيعي) لتضمن لنا الخير واستمرار الحياة ونموها وتطويرها، وكذلك أوحي لنا بوصايا أدبية كي ما تساعدنا علي الثبات في محبته والتمتع بنعمه التي يفيضها علينا لخيرنا وسعادتنا. وقال : إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ. (اشعياء ١ : ١٩)

الله أكد حبه وأسسه من خلال قواعد عملية عبارة عن: وعود وعهود تثبت المحبة وتقويها. فوصايا الله ليست فروضاً يمتحن بها طاعتنا ويجازينا بحسب التزامنا بها، ولكن لو تمعننا فيها وسبرنا أعماقها سوف نجدها عبارة عن عهود لله معنا، عهود محبة، يطلب منا أن نلتزم بأمور معينة ويعلن أنه هو أيضا ملتزم معنا بأمور معينة.

ما أعجب هذا الحب الإلهي الملتزم الذي جعل الله المطلق يضع شريعة تضع عليه التزامات كلما طلب منا التزامنا بها. فنجد هذا المثل الصريح حينما أوصي قائلا: هَاتُوا جَمِيعَ الْعُشُورِ إِلَى الْخَزْنَةِ لِيَكُونَ فِي بَيْتِي طَعَامٌ وَجَرِّبُونِي بِهَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِنْ كُنْتُ لاَ أَفْتَحُ لَكُمْ كُوى السَّمَاوَاتِ وَأُفِيضُ عَلَيْكُمْ بَرَكَةً حَتَّى لاَ تُوسَعَ. (ملاخي ٣ : ١٠).

هكذا نجد أن كل وصايا الله تحمل في داخلها بركة يفيضها علينا لنسعد بحياتنا. ففي التطويبات مثلا يؤكد الرب علي مكاسبنا مں حفظ وصاياه، فالمساكين بالروح لهم ملكوت السماوات، والودعاء يرثون الأرض، وصانعي السلام يدعون أبناء الله، وهكذا.

*****

الله محق في حبه، والحب الحقيقي "أمانة" والله هو "الأمين" في محبته... فيقول: "أَمَّا رَحْمَتِي فَلاَ أَنْزِعُهَا عَنْهُ وَلاَ أَكْذِبُ مِنْ جِهَةِ أَمَانَتِي. لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ.. (مزمور٨٩: ٣٣-٣٦).

إن كان الحق هو كلمته، فكذلك الحق هو أمانته في تنفيذ كلمته وتحقيق مقاصده، وإن كان الله يدخل في عهود ويقدم وعوداً في محبته، فكذلك هو أمين في محبته ويفي بوعوده وعهوده.

الله لا يرجع عن حبه أبدا، فحينما دخل الله في عهد مع شعبه إسرائيل الذي اختاره صار لهم "صَخْرَةِ خَلاصِه"(تثنية ٣٢: ٤) أشارة إلي أمانته التي لا تتزعزع، وصدق كلماته وصلابة مواعيده، وكلماته التي تبقى إلى الأبد (اشعيا ٤٠: ٨)،

الله أمين لا يتغّير (ملاخي ٣: ٦). ولذا فهو يريد أن يتّحد بالعروس التي اختارها بوثاق الأمانة الكاملة " أَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ. (هوشع ٢: ٢٠) وفي سفر هوشع يكشف لنا عن قمة أمانته في حبه، ويصف كيف يردّ إليه شعبه الخائن وكيف يتملقه ويلاطفه حتى يرجع ويدخل في محبته مرة أخري ويمنحه السعادة.

*****

الله محق في حبه فهو الرحيم العادل، يحبنا بطريقته ويطلب منا أن نحبه بما نقدر عليه في الحب، رحيم لا يطلب منا ما لا نقدر عليه، عادل يطلب أن نحبه بما نقدر عليه، وإن كان أعطانا حبا يفوق التصور وحبا عميقا لا ندرك أبعاده، فلم يطلب أن نبادله حبه بحب يعادله ولكنه يطلب منا **حبا كاملا** من كل القلب والنفس والقدرة، وكما قدم لنا حبا إلهيا كاملا وتاما، يطلب منا أن نبادله بحبٍّ بشري كامل.

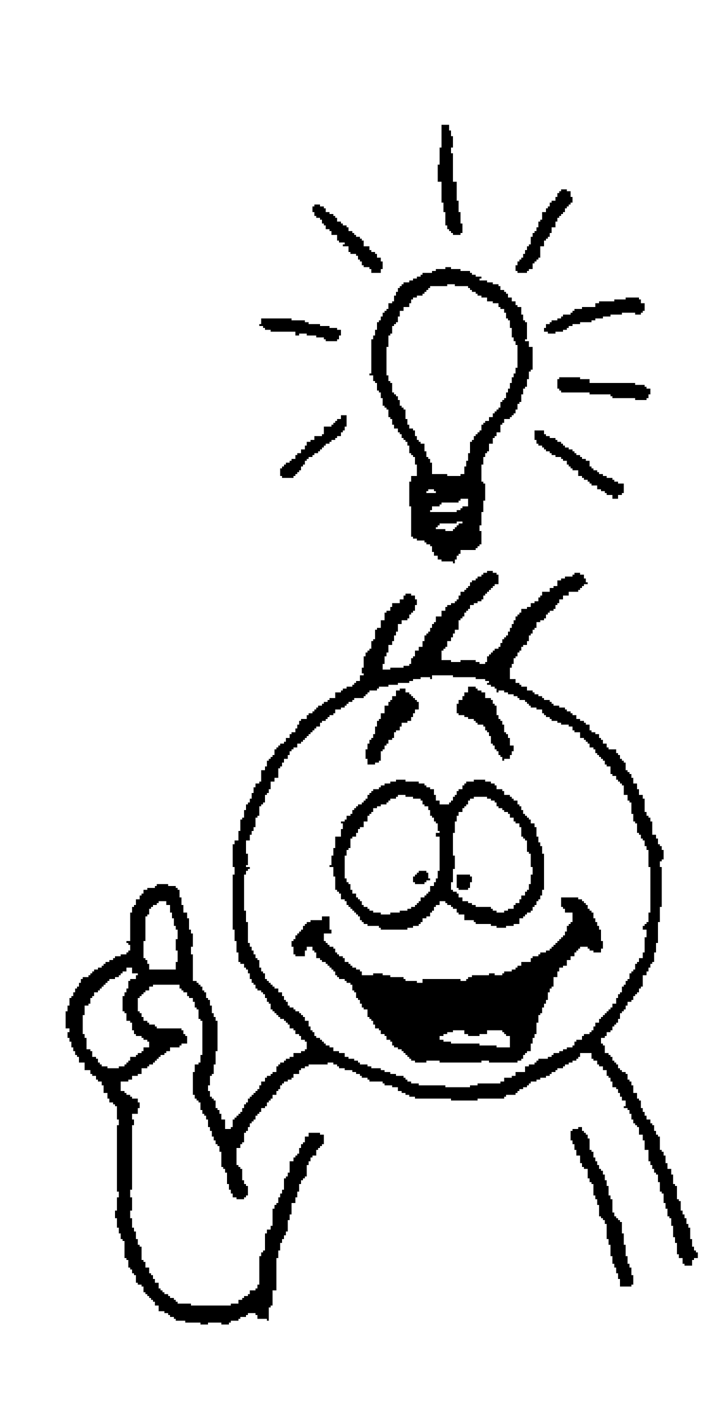
*****

الله محب في حقه، الله هو الحق أي مصدر الحق، فهو مشرع القوانين ومؤسس النظم، ومحدد الحقوق والواجبات، ولكنه لماذا يشرع وينظم؟

لم يشرع ليعبر عن سلطته المطلقة ولكن ليعبر عن حبه، فالتشريع هو حقه وشريعته هي حبه، فحينما يشرع الله فهو يعبر عن إرادته الصالحة من نحو أحبائه. ويكشف عن حبه، ورؤيته للحب، وكيف نحب بحق. فإن كان الحب منطق وقانون فحق الله هو منطق الله وقانونه للحب.

محب في حقه، محبته جعلت وصاياه وعود وعهود، وليست أوامر ونواهي واجبة الطاعة، ووصاياه روابط محبة تجمعنا به... وصايا الله هي هدية محبته التي يقدمها للبشرية وتحمل في داخلها وعوده بالخير وبالحياة الأفضل وهي نور يرشدنا للحياة الأفضل، وفي وصايا الله عهود يعلن بها حبه والتزامه بنا ويدعونا أن نوفي أيضا التزامنا به بطاعاتنا لوصاياه وحفظ عهوده ووصاياه، وهكذا ندخل في علاقة حقيقية معه.

محب في حقه، فإن كان الحق حكمة تتعامل مع الواقع، وإن كانت المحبة حكمة تسديد الاحتياجات وتحديد الاستحقاقات، فالحق الإلهي نظام إلهي حكيم ينظم الواقع، والحب الإلهي تفهم حكيم للواقع. الحق عند الله نظام واقعي وقوانين وأخلاق، وكذلك حبه واقعي له نظام وله قواعد، وله نتائج وتأثير مباشر علي الواقع.



الحق تفهم للواقع،
والمحبة هي التي تصنع هذا التفهم

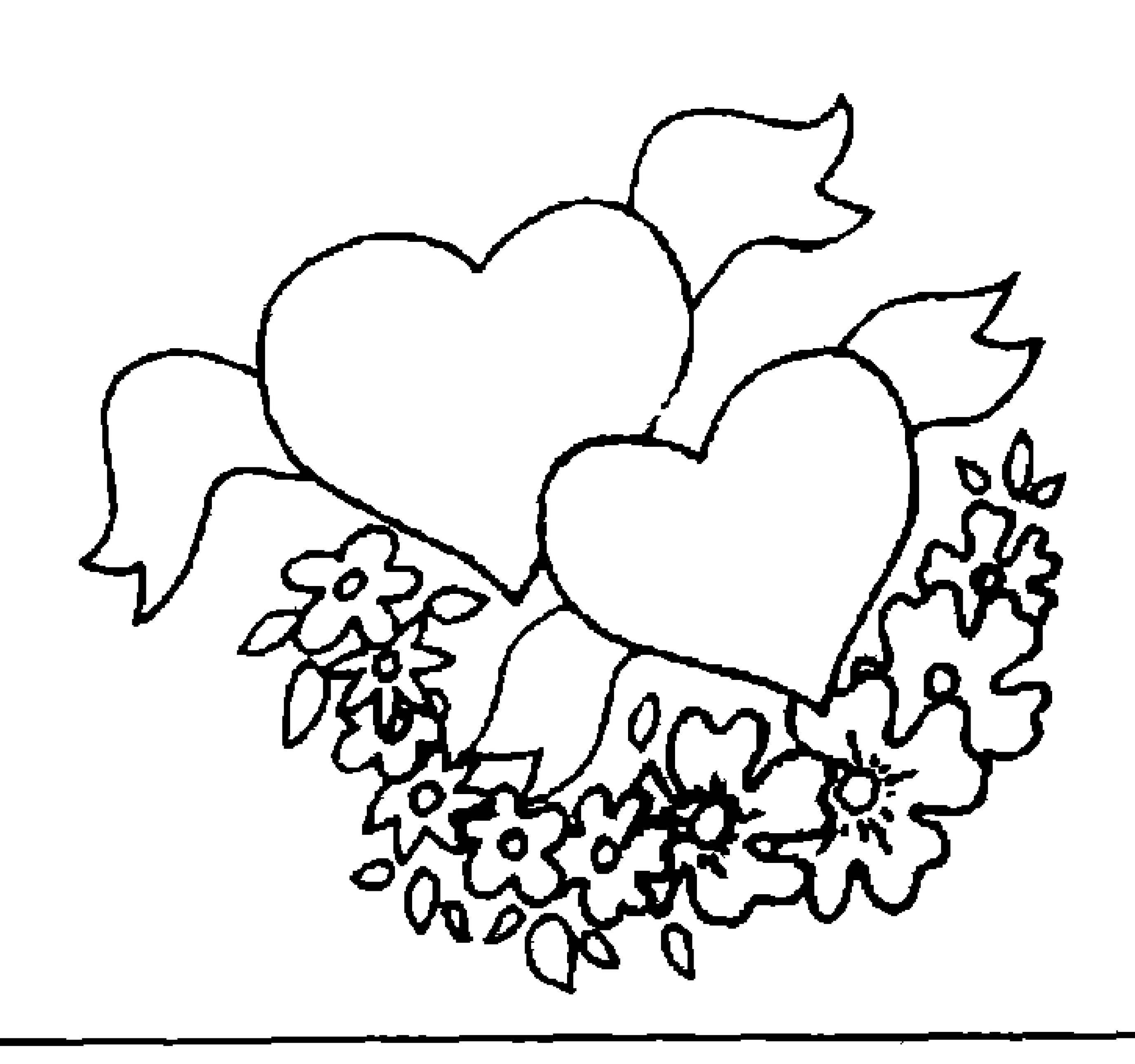
******

أن سر روعة شخصية الله ليس في كون صفاته صفات مطلقة فقط، عدله مطلق، رحمته مطلقه، حنانه مطلق، كلي القدرة، كلي المعرفة، الخ ولكن لأنه متكامل في صفاته تكامل مطلق.

الله محبة تعني أن الله واحد في عمله وتعمل كل صفاته معا.

إن كانت في حياتنا العملية تتصارع القيم داخلنا حينما نشرع في اتخاذ قرار أو الشروع في عمل ونختار كيف نوازن بين الشفقة والصراحة وبين العدل والرحمة وعادة ما تغلب قيمة علي أخري ولا نعرف التوازن في حياتنا، ولكن الله ليس بإنسان حتي يكون فيه مثل هذا الصراع، فإعلان الله محبة يعلن **أن الله في محبته تعمل كل صفاته معا ومحبته تظهر كل صفاته معا**، فإن كان الصليب تعبيرا من تعبيرات محبة الله لنا، ففي الصليب نري بوضوح عدل الله العامل ضد الخطية وكذلك نري بوضوح رحمة الله لإنقاذنا من سلطان الخطية. فالصليب محبة عادلة ورحيمة في ذات الوقت.

الله في عمله لا يغلب من صفاته بالمحبة التي هي طبيعته، فلا يتغلب عدله علي رحمته، ولا تتعارض قداسته مع تواضعه، ولا خلاصه مع قضاءه، فهو بالحب عادل في رحمته ورحيم في عدله، وبالحب يتنازل وهو القدوس وفي تنازله يظل قدوساً في حبه، وفي حبه يخلص ويقضى، ويغفر ويدين، ويخلق ويهلك.



الحب سر تماسك الشخصية، وسر تكاملها وكمالها

٣- المحبة سر أعمال الله

المحبة ليست مواقف واتجاهات وعلاقات ومشاعر وتفاعلات وحسب، ولكنها أعمال وإبداعات... فما هي أعمال محبة الله؟ وكيف يظهر الله حبه؟ وكيف يعلن الله عن حبه؟ وكيف نلتمس أوجه محبته؟

في القداس الإلهي عندما نمنح البركة الإلهية يقول الكاهن : محبة الله الآب ونعمة الابن الوحيد وشركة وعطية الروح القدس فلتكن مع جميعكم.. فالله الذي أعلن حبة لنا بنعمة ابنه خلقنا وخلصنا وبروحه أدخلنا في شركة حبه وسكن فينا.

أننا كبشر لا نعرف عن أعمال الله ونعمه، إلا نعمة الخلق ونعمة الخلاص، فهو خالق ومدبر الحياة التي خلقها، وهو مخلص يخلص من يقبل إليه، ويدين من يرفض خلاصه.

*****

من الصعب أن نفهم أعمال الله بدون حبه، فكل محاولة لفهم أعمال الله بدون محبته سوف تنتهي بنا إلي هرطقة تجعل من الله قوة وعلة للوجود ولا تري فيه الشخص الإلهي الذي يعمل لهدف وقصد، ولا كيف أن عمله يعبر عن شخصه المحب.. الشخص الذي يخلق أحباء ويهتم بهم ويخلصهم ليصيروا محبين يتمتعون بشركة حبه. فهو يعمل ويهتم، يخلق ويضبط الكل لتحقق مقاصده، ويخلص ويقدس ليخلق أحباء.. لنحاول أن نفهم كيف عبر الله عن حبه بالخلق وبالخلاص؟

الله محبة تعني أن كل ما يصدر عن الله هو فيض من نبع حبه ولذا هو نعمة وبركة وعطية مجانية... الله حينما يعمل يفيض بالنعم، وكل أعماله نسميها نعمة، ومن أهمها نعمة الخلق، ونعمة الخلاص.

النعمة بذل محبة أي أن الله يعطي ذاته ومن ذاته، ففي الخلق خلقنا علي صورته، وفي خلاصه بذل أبنه ليموت عنا.

النعمة عطاء محبة يعبر عن لطف الله وحنانه نحو أحبائه، وكلمة "حن" في اللغة العبرية تعني تطلّع وهو ينحني، فالله حنان أي يعطي باهتمام لأحباء، فعطائه عطاء شخصي وليس عطاء عام.

النعمة عطاء محبة مبادر ومجاني يعتمد علي سخاء المحبة الإلهية ولا يتوقف علي استحقاقنا، وهو عطاء بلا شروط ولا ينتظر نظيراً مقابله، كما يقول القديس يعقوب ".. الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ" (يعقوب ١ : ٥).

النعمة بركة تفيض ثمار صالحة في حياتنا، فهي ليست عطايا تدل علي سخاء معطيها ولكنها تحمل محبة خاصة لمستقبلها، وبركة خاصة لمتلقيها، كما يقول بولس "ونعمته لم تكن باطلة[4] بل عاملة وتثمر أثمارا صالحة.

النعمة محبة موجهة لأحباء فلا تعرف العشوائية، فالعذراء وجدت نعمة لدي الرب أي أن الله نظر إليها واختارها وأعطاها نعمة خاصة وشخصية (لوقا١ : ٣٠)، هكذا نعم الله هي نعم شخصية، مناسبة لكل واحد علي حدة، فالله يحب بطريقة شخصية وليس يحبنا حبا عاما، وله معاملات شخصية وليست معاملات عامة، وإن كان يفيض خيراته علي الكل ولكن لكل واحد هدف خاص ورسالة خاصة من هذا الفيض.

النعمة عون إلهي، من إله محب يتضامن معنا ويشددنا، فالنعمة تحمل داخلها قوة الله لمؤازرتنا، كما وضح ذلك بولس الرسول بقوله : "الَّذِي صِرْتُ أَنَا خَادِماً لَهُ حَسَبَ مَوْهِبَةِ نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لِي حَسَبَ فِعْلِ قُوَّتِهِ." (افسس ٣ : ٧)

النعمة رحمة، من محب رحيم...يريد أن يخفف من أتعابنا وأحمالنا ويحول ضيقنا إلي خير لنا، ويخرجنا من الشدة إلي الرحب، ونعمته تحوطنا في الشدة لئلا تدمرنا الضيقات.

*****

الله لأنه يحب فهو خالق، وبذلك كشف سر المحبة الخلاقة، فكيف خلق بالمحبة؟ ولماذا لابد أن تكون المحبة خلاقة؟ الله لأنه أحب فهو مخلص، وبذلك كشف سر المحبة المخلصة؟ فكيف خلصنا بحبه، ولماذا لابد أن تكون المحبة مخلصة؟

---

[4] ١ كورنثوس ١٥ : ١٠

المحب الخالق

من الأسئلة التي تحير البشرية : لماذا خلق الله العالم؟ ما السبب الذي جعل الله يخلق هذا الكون وهذه المخلوقات؟ ولماذا خلقني؟ هل خلق العالم ليحقق ألوهيته ويظهر قدرته؟! هل خلق الإنسان ليشير إليه أنه الله أو ليقول له أنا الله خالقك؟! هل خلقنا لنعبده؟! هل الله محتاج لخليقته؟! وماذا يريد منها؟! أسئلة محيرة وكثيرا ما تدفع الإنسان نحو طريق الهرطقة وتجعله يكون صورة مشوهة وغير حقيقية عن الله...

الله محبة تعني أن حياة الله قائمة في المحبة، محبة بين الأب والابن والروح القدس، المحبة تصف حياة الله الأزلية قبل خلقه للعالم... فلم يكن الله محتاجا أن يحبه أحد ولم يخلق العالم والإنسان ليعبده، ولكنه خلقه حبا لأن محبته خلاقه.

لقد خلق الله خليقته من العدم... لم يكن هناك أمر ما يدفع الله أن يخلق، فلا يوجد احتياج عند الله ليخلق ما يسدد احتياجه، ولا يوجد عند الله فراغ فيه أو حوله يحتاج أن يخلق ما يملأه. أن النظريات والهرطقات القديمة التي تبحث في أصل الكون ونشأته تدور في محورين أما أن الخلق هو نتاج تزاوج الإلهة ونشاط أبنائها وأن الخليقة أصلها إلهي وامتداد للإلهة كما في الديانات الفرعونية، أو أن الخلق هو نتيجة لصراع الإله مع الخواء وإلهة الخواء وأن الخلق هو نتيجة انتصاره عليهم كما في الديانات الفينيقية والبابلية[٥]. وهذه النظريات كونت صور مشوهة عن الله وعن علاقته بالكون والإنسان وما زالت هذه الأفكار في أعماق كثير من الناس وتحكم تفكير الكثير من المتدينين حتى الآن.

الله خلق من العدم، أي من لا سبب يمكن أن نفهمه بالمنطق البشري أو نتصوره بالتصور العقلي، الله حر تماما في خلقه للكون والإنسان فهو عمل حر تماما، ولم يكن مجبرا أو مدفوعا إليه حتى بحبه، فالله ليس مجبرا بسبب حبه، وهو حرا في حبه، لأن حبه متمم ومتحقق في الثالوث الأقدس.

الله خلق كوناً غير لازم له، وخلق إنساناً وهو غير محتاج له، خلقهم تعبيرا عن حب يتحكم هو فيه وليس محكوما منه.

أن خلق الله للكون والإنسان لا يمنطق، ولا يصلح معه أن نبحث عن سببه ولا عن نتيجته، ولكنه يفهم ويعي على ضوء إعلان "الله محبة".

---

[٥] المحيط الجامع – باب: الخلق http://www.albishara.org/dictionary.php

عندما أعلن لنا سر الثالوث عرفنا أن الله خلقنا بالحب لنشاركه الوجود، ونولد منه مثلما يلد الآب الابن - المولد منه قبل كل الدهور والقائم في حضنه منذ الأزل. ونصير موجودين بالحب الإلهي، ونتمتع بمحبة الآب للابن ونعبر عن حبنا له بطاعتنا له.

الله خالق ويخلق مخلوقات تشاركه الوجود، تشاركه أي تستمتع بحبه وتحب فتستمتع بوجودها.

إن كان الخلق هو مشيئة الله الآب وإرادته، فأن الابن يحقق مشيئة الآب فيخلق، وفي خلقه إبداع وحكمة تعكس محبة الآب.. وتقدم أبناء أحباء للأب.

لقد خلق الله الكون يعكس محبه الثالوث، خلق مخلوقات وكائنات مترابطة ولا وجود لأحد وحده، ووجود كل كائن مرتبط بوجود الآخر، فخلق الكون وحدة واحدة متفاعلة ومترابطة. ووضع لها قوانين وقواعد تجعله يحقق مشيئة الله الآب وفي حالة طاعة وخضوع تام ودائم لله الآب كمثال طاعة الابن للآب.

كذلك خلق الإنسان علي صورته ومثاله، خلقه شخصاً يعي ذاته ووجوده وتميزه ويعي وجود الله ومجده، خلقه شخصاً قادر علي الحب وعلي الدخول في علاقة حب وارتباط بإرادته الحرة. خلقه شخص يتطور بالحب، فكلما دخل الإنسان في علاقة حب وارتباط بالله وبالآخر وبالخليقة كلما تطورت شخصيته ونضجت في طريق الكمال.

ولأن الخلق هو عمل الله الذي لا يتوقف، فالله الابن يطور شخصيتنا كلما دخلنا معه في شركته لنصير أبناء لله بالتبني.

خلقنا كأبناء ليدخل معنا في علاقة... علاقة أب بأبنائه... علاقة فيها حنان وعطف واهتمام وتدبير وتأديب، يعطيهم فيها "نعم" لم يطلبوها ولا يتصوروها ولا يتوقف عطاءه لهم لحظة، فنحن به نحيا ونتحرك ونوجد (أعمال ١٧ : ٢٨).

خلقنا كأبناء له.. ولكي نتمتع بانسكاب محبة الآب، فالأمر يحتاج الاستسلام التام والمتواضع لمشيئته، فالله يسكب حبه في المتواضعين الخاضعين تماما لمشيئته. فأعطانا وصايا لنطيعها بإراداتنا ونظهر بطاعتنا محبتنا له واستسلام مشيئتنا له. وفي طاعاتنا لوصاياه تتكشف لنا محبة الله، فكل وصاياه هي لخيرنا وسعادتنا، وفيها يعلن إرادته التي هي محبته لنا.

الخلق هو عمل محبة، ومحبة الله لا تنتهي وليس لها حدود، فلذلك نعمة الخلق بالمحبة هي نعمة دائمة لا تتوقف، فالكون الذي خلقه الله متسع جدا، عجيب جدا، رائع جدا، فوق الاستيعاب والاحتواء، وهو يمتد كل يوم، فكل يوم يخلق الله من نبع حبه أمرا جديدا، وخلقه لا يتوقف، فالله العامل في حبه لا يتوقف عن عمله وعن خلقه " «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». (يوحنا ٥ : ١٧) فكما لا يتوقف الله عن حبه هكذا لا يتوقف عن خلقه.

المحب المخلص

يقول الكتاب "اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَداً" (١كورنثوس١٣: ٨)، فإن كان الله محبة، فمحبته لا تسقط أبدا. ولكن الإنسان في علاقته بالله قد يرفض محبة الله بسبب حريته وبسبب شر إراداته، وقد لا يعرف كيف يحب الله فيفشل في حبه وقد لا يقوي علي الثبات في محبته فيفتر حبه ويموت.

لا يستسلم الله لفشل المحبة ولا يرضي بسقوطها، ويعلن الوحي المقدس أن الله غيور يحمي حبه، والله يخلص كل من يفشل في الدخول في حبه، وكل من لا يعرف كيف يثبت في محبته.

فكل من يرفض حبه، بالحب يضيق عليهم ويظهر غضبه المخلص، فمن استجاب له خلص، ومن لا يستجيب يزداد الضيق عليه فيصير هلاكا أبديا. أما من يطلب الخلاص ويؤمن بخلاص الله فانه يتمتع بخلاص عظيم صنعه الله المحب.

لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. (يوحنا ٣ : ١٦) هكذا كانت مشيئة الله الآب ألا يهلك كل من يؤمن به ويريد أن يدخل في شركة محبته ولا يعرف ولا يقدر علي دلك، فبذل أبنه الوحيد ليخلص ويصلح الحب المكسور ويقوي الحب ويعمق ثباتنا في محبة الآب.

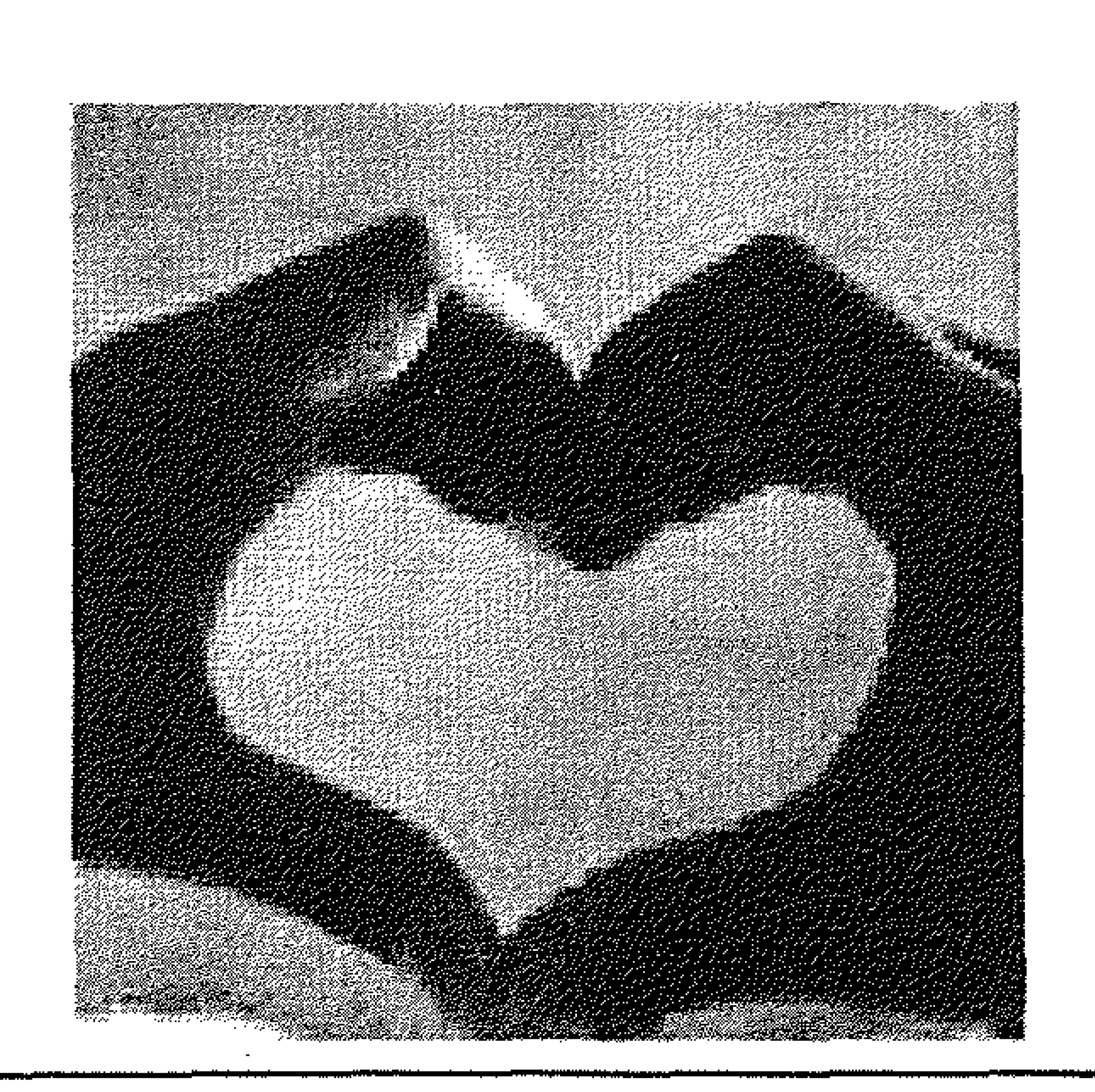
بذل أبنه الوحيد ليتجسد فيتحد بنا ويأخذ طبيعتنا فيه ويصلح كل فساد فينا بطبيعته، فما أعظمه بذل وما أعظمه حب أن يتوحد مع ضعفنا ومع فسادنا ليعطينا قوته وحياته، والأهم أن ينجح الحب فينا ويدخلنا في شركة محبة الآب.

عظمة خلاص الله ومعناه لا يفهم إلا علي ضوء إعلان محبته، وكل تناول لها من زاوية الخطية وعقوبة الموت وفساد الطبيعة بدون فهم عميق لمحبة الله سوف يقدم لنا عقيدة تكثر فيها التساؤلات والاعتراضات التي توقع في الهرطقات.

أن الخلاص بين لنا عمق محبة الله التي تحتمل الضعف، وتتحمله وتصلحه لتقوي المحبة وتشتعل ولا تفشل، كذلك بينت لنا عمق محبة الله التي لا تيأس ولا تستسلم للرفض والضعف والتي تنتصر دائما.

في خلاص الله بين لنا أنه لا خلاص إلا بالحب، بالارتباط.. ارتباط المحب القوي بالمحبوب الضعيف، وقبوله لضعفه واعتبار ضعفه هو ضعفه ويعمل من خلال الحب والارتباط في تغييره، لقد اتحد المسيح بالطبيعة الساقطة ليقيمها طبيعة جديدة منتصرة فيه. لقد اجتاز معنا الضعف حتى الموت الذي هو انفصال عن الله، فحياتنا تكمن في وجودنا في الله والثبات في محبته. وبعد أن أقامنا فيه معطيا لنا طبيعة جديدة؛ أي طبيعته، أي طبيعة البنوة وصيرنا أبناء لله بالتبني. وبعد ذلك أصعدنا ويصعدنا إلي الآب بتعلم الطاعة وخضوع مشيئتنا لمشيئة الآب كمثاله، ويسكب فينا محبة الآب بالروح القدس الذي يعمل علي تقديسنا ويؤهلنا كذلك لسكنى الله فينا.

قصة خلاص عجيبة، تعلن محبة الله المخلصة....



لا خلاص إلا بالحب والارتباط

٤- المحبة سر علاقته بنا

الله لا يحب البشرية حب عاما وجماعيا، ولكنه يحبنا حبا شخصيا، يحب كل واحد باسمة، ويدخل في علاقة محبة حقيقية مع كل واحد، يجذبه إليه ويتواصل معه، ويخلصه، ويمجده معه.

حب الله للبشر ليس لطفا وحنانا علي البشرية ولكنه حب شخصي، وعلاقة حقيقية، يقترب منا الله، ويتفاعل معنا، ويبدل نفسه ويعطينا من ذاته، ويرفعنا ليمجدنا معه.

١- *الله يجذبنا إليه:*

لا يوجد حب بدون تجاذب ولا توجد رابطة في الكون بدون تجاذب، فعندما يحبنا الله فهل ينجذب لنا وننجذب إليه كما في كل حب؟

في الحب البشري، نحن ننجذب لمن هو مثلنا وشبهنا ولمن يكملنا ويعيننا، فهل في محبة الله للبشر مثل هذا التجاذب؟! قد ننجذب لله لأننا علي صورته وليس مثله ولأنه معيننا ومخلصنا، ولكن لماذا ينجذب الله لنا؟! وما الذي فينا يجذبه؟! أسئلة صعبة ومحيرة وإن كان لا يصح أن نسال الله "لماذا" (رومية ٩ : ٢٠) ولكننا نسأله أن يفهمنا فنعرف..

الله لأنه محبة، ولأنه مبادر بالحب فهو الذي يبادر ويجذبنا لندخل في شركة حبه، ولذا فحبه يتميز بأنه **حب جاذب**، وله قوة جذب بدونها لا يمكن لأحد أن يقترب ويدخل في دائرة محبته، فهو يعلن ويقول "كُنْتُ أَجْذِبُهُمْ بِحِبَالِ الْبَشَرِ بِرُبُطِ الْمَحَبَّةِ"(هوشع ١١ : ٤) والعروس في النشيد تقول له " اُجْذُبْنِي وَرَاءَكَ فَنَجْرِيَ .(نشيد الانشاد ١ : ٤) والسيد المسيح أعلن بوضوح أنه "لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ إِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ الآبُ.. "(يوحنا ٦ : ٤٤). فإن كان الله هو الذي يبادر بالحب فهو كذلك الذي يبادر بالجذب، وكما أن الله حبه حب قوي، فإن جذبه كذلك جذب هائل.

الله المحب يجذب القلوب نحوه بقوة خافية وهي سر عظيم لا نستطيع أن نسبر أعماقه فمن الذي يعرف كيف يعمل الله في القلوب ويغيرها...

الله في محبته لنا يجذبنا إليه، أما كيف يجذبنا فلا نعرف، ولكننا نعرف متى نكون تحت تأثير قوة الجذب الإلهي المذهل....

حينما ننبهر بعظمة عمله وجمال عمله، حينما نري الجمال في الطبيعة والمخلوقات.. حينما نري عجائب الكون، وحكمته في عمله، ونجد أنفسنا أمام معجزاته وعجائبه في الخلق، فنجد أنفسنا نرفع عيوننا عن الأرض وننظر نحو السماء لنري شخصه العجيب الذي قدامه كل هذا الجمال والجلال، وكل مرة ندخل في حالة الإعجاب والانبهار، ننطق باسمه ونقول " الله " ونندفع إلي التسبيح، ونقول مع المرنم : مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ. مَلآنَةٌ الأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ. (مزامير ١٠٤ : ٢٤) وحينما نري عمل الله ومعجزاته في حياتنا، ونري خلاصه العظيم، نرفع عيوننا نحو السماء ونشكره ونسبحه. فالله يجذبنا بروعة عمله وعظيم صنعه، ونحن ننجذب مبهورين بشخصه مأخوذين من جماله وعظمته وكماله.

نحن نشعر بجذب الله لنا حينما نجده يقود حياتنا، ويضبط أحوالنا. في بعض الأوقات نشعر أن الله يسهل لنا عملنا وينجح طرقنا ويعطينا مشورة ويفتح أذهاننا علي أمور لم تخطر لنا من قبل، فحينئذ نشعر أن الله معنا ويباركنا فنبدأ في شكره وحمده، ومع تكرار معونة الله نبدأ نشعر أن الله مهتم بنا، فنبدأ في تسبيحه والترتيل له. فالله يجذبنا برعايته المستمرة لنا حتى تنفتح أعيننا ونراه يعمل في حياتنا وكيف أنه مهتم بنا فتذوب نفوسنا خجلا منه ونقول مع يعقوب " «حَقًّا انَّ الرَّبَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ وَانَا لَمْ اعْلَمْ!» (تكوين ٢٨ : ١٦) ونقوم ونصنع له تذكارا كي لا ننسي.

نحن نشعر بجذب الله لنا عندما تكثر تعزيته في قلوبنا، ويفرح قلوبنا بكلامه المفرح، فالله يجذبنا بالفرح، فحينما نسمع كلماته في الإنجيل أو في عظة أو ترنيمة أو تسبحه ونفرح، وحينما نشارك في القداس ونتعزى أو في احتفال وتمجيد فنتهلل، فلنعرف أن الله ينادينا كي نفرح معه، ويدعونا لنسعد معه، يقول داود " تَعْزِيَاتُكَ تُلَذِّذُ نَفْسِي. (مزامير ٩٤ : ١٩). الله يلذ نفوسنا بتعزيته، ويدعونا لنفرح ونسعد معه ويعطينا عربون السعادة بتعزيته.

نحن نشعر بجذب الله لنا عندما نجده يخرجنا من حالنا، من حالة الاكتئاب إلي الفرح، من حالة التعب إلي الراحة. كما أقر المرنم قائلا: الرَّبُّ سَنَدِي.. أَخْرَجَنِي إِلَى الرُّحْبِ. خَلَّصَنِي لأَنَّهُ سُرَّ بِي. (مزمور ١٨: ١٨-١٩) فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي. إِلَى مِيَاهِ الرَّاحَةِ يُورِدُنِي. (مزامير ٢٣ : ٢) فنبدأ نهتف ونقول : اَلرَّبُّ رَاعِيَّ فَلاَ يُعْوِزُنِي شَيْءٌ. ففي أوقات كثيرة يخرجنا الله من حالة الضيق ويخلصنا من متاعبنا، ويريحنا من أتعابنا، ففي هذه الأوقات يقول لنا أنه مهتم وقادر أن يريحنا لأنه يحبنا.

نحن نشعر بجذب الله لنا عندما نجده يغلق أبواب ويفتح أبواب.... عندما نسير في طريقنا ونشعر أن الله يتدخل ويغلق أبواب أمامنا ثم نعرف فيما بعد كم كان ذلك أفضل لنا فنشعر باهتمام الله، وكلما طلبنا منه أن يسهل لنا طريقنا ويستجيب ويفتح لنا أبواب لم تكن في الحسبان أو يفتح أبواب عتيدة نعرف أن الله يسير أمامنا فنفرح ونهلل هاتفين له " الرب أمامي وعن يميني فلا أخشي شيئا " ونجد أنفسنا نسير وراءه مهللين وفرحين.

٢-الله يتواصل معنا:

المحبة حوار، لا محبة بدون حوار ووصال، فهل يتحاور الله معنا ويتواصل معنا؟

الله حبه ليس حبا صامتا.. ولذا هو يتكلم، ولأن الحب الإلهي حب مبادر فالله هو الذي يبادر بالحوار.. الله ينادي علي الإنسان، ويتكلم مع مختاريه الذين اختار الدخول معهم في عشرة وشركة محبة، فنجد الله يكلم شعبه الذي اختاره ويقول: اسمع يا إسرائيل.. وينادي علي كل شخص باسمه فينادي علي آدم باسمه، وينادي إبراهيم باسمه، وصموئيل باسمه ويقول لكل شخص يحبه "دَعَوْتُكَ باسْمِكَ. أَنْتَ لِي" (اشعياء ٤٣ : ١)، فالله حينما يتكلم لا يتكلم ليعلن عن وجوده وعن لاهوته ولكنه يتكلم كي يقيم علاقة.. علاقة محبة، فكلامه دائما موجه لأشخاص مختارين.

لا يتكلم الله في المطلق ولا يخطب في البشرية ولا يعظ العالم بل يوجه حديثه لأحباء، حديث خاص مع شعبه... حديث خاص مع أحبائه.

في العهد القديم كان الرب يتكلم مع الأنبياء وكان الأنبياء يعيدون علي مسامع الشعب ما قاله الرب "هَذَا مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ قَائلا" (لاويين ١٠ : ٣) وحوالي ١٦٨ مرة "هكذا قال الرب" فعن طريق الأنبياء كان الله يكلم شعبه، وكان مع الأنبياء أيضا يرسل رسائل "خاصة" للأمم الأخرى وللملوكهم بأسمائهم، فالله تكلم معهم ليقيم معهم "علاقة" ما فيرسل مع اشعياء النبي رسائل إلي كورش الملك الفارسي "هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَماً وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلُّ. لأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ وَالأَبْوَابُ لاَ تُغْلَقُ: (اشعياء ٤٥ : ١)، ورسائل مع إرميا النبي لنبوخذنصر البابلي" قَدْ دَفَعْتُ كُلَّ هَذِهِ الأَرَاضِي لِيَدِ نَبُوخَذْنَصَّرَ مَلِكِ بَابِلَ عَبْدِي "(ارميا ٢٧ : ٦).

كذلك كان السيد المسيح في العهد الجديد يوجه أحاديثه لخاصته وليس حديثا عاما، فكان يبدأ كلامه بقوله " أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: (لوقا ١٢ : ٤) فهو كلام خاص لأحباء وأصدقاء يخصهم به، وهو حديث لتأسيس المحبة وتوكيد محبته لهم.

الله في محبته ينصت، فالله يسمع، ويناقش، ويشرح ويعلم، ويتكلم بقدر ما نستطيع أن نعي ونفهم، فتعاليمه جاءت متدرجة وكذلك إعلاناته متدرجة، ولا يفصح عن نفسه مرة واحدة، فالحب يحتاج إلي تأني وتدرج في الحوار، حتى يتكون الفهم والتفهم، ويبدأ القبول والارتياح والفرح. الرب يسوع بعد قيامته وحينما تحدث مع المجدلية التي تبحث عنه أخفي نفسه عنها حتى تفرغ مشاعرها وحزنها وقلقها وحينما كانت مستعدة كشف لها عن نفسه، الله يخفي ويكشف نفسه لنا بقدر استعدادنا الروحي والنفسي فلا يقحم نفسه علينا، ويصمت عندما لا نكون مستعدين للاستماع والفهم وتقبل رسالته لنا.

الله في محبته يتفاعل في حواره، حواره حوار الأحباء المملوء بالمشاعر والأحاسيس، فيغضب ويصير حديثه غاضبا " هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا فِي غَيْرَتِي وَفِي غَضَبِي تَكَلَّمْتُ.. (حزقيال ٣٦ : ٦)، فَأَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي.. (مزامير ٩٥ : ١١)، ويحزن ويتكلم في حزنه " فَحَزِنَ الرَّبُّ انَّهُ عَمِلَ الانْسَانَ فِي الارْضِ وَتَاسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: (تكوين٦: ٦) ويتكلم معاتبا: بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ. (اشعياء ٦٥ : ٢)، ويتهلل فيتكلم مبشرا ومطوبا " وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ». (لوقا ١٠ : ٢١).

ماذا يقول؟ كيف يعبر عن حبه بكلمته؟ كلام الله يعبر عن حبه، وليس كلامه أوامر إلهية. الوصايا هي فعل حب – الله يعلن عن حبه ومشاعره تجاه الإنسان، الله يتكلم ماذا يريد في حبه من الإنسان؟ ويقول "يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِي" (أمثال ٢٣ : ٢٦). الله في حبه يعطي وصايا وشريعة لحياة أفضل، ويعطي وعوداً وعهوداً لسعادتنا ومجدنا معه.

٣-الله يلتزم بنا

لا محبة بدون التزام، ولا محبة بدون بذل وعطاء، عجيب الله في محبته لنا فهو وهو الله الذي يلزم ولا يلزمه أحد، نجده يلزم نفسه في حبه لنا ويدخل في عهود ويضع علي نفسه أقساماً ويقدم وعوداً، حينما دعا الله إبراهيم للدخول في علاقة شخصية معه قدم له وعود أن يكون نسله مثل رمل البحر ونجوم السماء وأن يرث الأرض التي يسكنها ويكون بركة وتتبارك به جميع قبائل الأرض، ودخل معه في عهد (تكوين ١٧ : ٤) وصنع معه ميثاق (تكوين ١٥ : ١٨) وأقسم له بذاته (تكوين ٢٢ : ١٦).

إن كان الحب يحتاج إلي تأكيدات وتعهدات كي يعطي مناخ آمان لنمو الحب، فالله يصنع كذلك مع أحبائه ويؤكد علي حبه وعلي التزامه بأحبائه، وإن كان الحب التزام فالله يظهر التزامه بوعوده وعهوده وأقسامه، إبراهيم فرح بوعود الله التي أثارت أحلامه ودعمت علاقته الشخصية بالله، واطمأن إبراهيم في علاقته بالله لوجود عهود بينه وبين الله فهي علاقة مؤسسة علي عهد ثابت وموثق، إبراهيم وثق في الله الذي أحبه وكان دائما يردد: الله الدي أقسم لي..

عجيب هو الله الذي يسعي أن يجعل محبوبة يثق فيه ويتأكد من حبه والتزامه به واهتمامه بسعادته، مبارك هو إبراهيم الذي وثق في محبة الله له و لم يشك فيها لحظة واحدة حتى عندما امتحن الله محبته وأظهر إبراهيم محبته لله و لم يمسك ابنه عنه وأطاع وقدمه ذبيحة له.

العجيب في التزام الله بمحبته لإبراهيم أن الله أظهر بوعوده التزامه بإشباع احتياجات إبراهيم !! وتطوير شخصيته ليكون بركة لجميع قبائل الأرض. الله لم يعد إبراهيم بأمر عجيب وسخي من أمور الله التي تظهر عظمته ولا يعرفها إبراهيم، ولكنه وعده بما يحتاجه، وبما يشبع احتياجه، وبما يقلل من معاناته، وبما هو متعلق به ويحلم به ويتمناه، فإبراهيم كان يعاني من شعور الغربة فوعده بامتلاك الأرض، وكان يعاني من قسوة الحرمان من الأبناء فوعده بنسل لا يحصي. وإن كان إبراهيم يعاني من فراغ حضنه، فوعده ببركة جعلت حضنه مفتوحا يأتي إليه الجميع من المشارق والمغارب يرتاحون فيه.

لقد التزم الله بإبراهيم، وكان إبراهيم محور التزامه وهذا هو الحب. فالله مهتم بإبراهيم بشخصه وباحتياجاته وبتطوره.

إن كان الله في محبته للبشرية التزم بخلاصهم وبذل ذاته من أجلهم إلا أنه ملتزم بكل شخص يدخل معه في علاقة شخصية، الله له وعود خاصة لكل واحد منا، ويدخل في عهد مع كل من يقبل أن يدخل في شركة محبته، ويؤكد وعوده بأقسام علي نفسه كلما تعمقنا في اختبار محبته.

الله يدعونا للدخول لمحبته بوعود وقد لا نكون منتبهين لوعود الله، ولا عرفنا بعد وعد الله الشخصي لنا، نظن أن وعود الله المعلنة في الكتاب هي وعود عامة لكل البشرية وهذا صحيح ولكنها تحمل في طياتها وعداً خاصاً لكل واحد. في لحظات انفتاحنا علي محبة الله نجد وعده الخاص لكل واحد منا، وإن ثبتنا عليه وتمسكنا به وسرنا مع الله وصرنا معه، يقيم عهوده وأقسامه ونثبت أكثر في محبته.

الله ملتزم في حبه، ويريدنا أن نصدق هذا الحب ونطمئن له ونؤمن به، ونحيا معه علي وعده وندخل معه في عهد ونقيم معه ميثاق يربطنا به ويكون مثال عقد القران لنكون نحن أيضا ملتزمين في حبه.

الله ملتزم في حبه، والتزامه التزام شخصي، يلتزم باحتياجاتنا وبأحلامنا، يلتزما بخلاصنا وبمجدنا. فنحن محور اهتمامه.. ولكي ما يؤكد الله ذلك صنع ميثاق معنا وعهد دم ليثبت لنا ذلك، وأقسم ليؤكد... وذلك لأن هذا الأمر هام لقيام علاقة حقيقة مع الله، فنحن وكل البشرية تجد صعوبة في تصور ذلك، نحن نثق أن الله له قصد وله مشيئة لحياتنا، ولكننا نخاف أن لا تكون مشيئة الله هي ما نتمناه وما نريده وما نحلم به، وقد يثق البعض أن مشيئة الله هي خير ولكن قد لا يكون الخير الذي يتمناه ويريده، ويقول المتقدمون في الحياة الروحية أن الخير الذي يريده له الله بالتأكيد هو أفضل من الخير الذي يتمناه لنفسه، وهناك من يحاول أن يخضع مشيئته لمشيئة الله لأنه لا مفر منها وربما خضوعه لها طوعا يجعل الله يرضي عنه ويكافئه فعلي الأقل يستفيد من طاعته. في كل هذه الأحوال نحن نهين محبة الله، فالله في حبه يوجه قصده لخير "أحبائه" كما يحتاج أحبائه، أن خير الله ليس خيرا عاما ولكنه خير لكل واحد، وليس قصده قصدا عاما بل له مقصد لكل واحد، *أننا يمكننا أن نتجرأ ونقول أن الله في محبته يوفق مشيئته مع مشيئة أحبائه ويؤكد علي ذلك بوعوده وعهوده لكل واحد منا.*

٤-الله يمجدنا معه:

فَمَرَرْتُ بِكِ وَرَأَيْتُكِ، وَإِذَا زَمَنُكِ زَمَنُ الْحُبِّ. فَبَسَطْتُ ذَيْلِي عَلَيْكِ وَسَتَرْتُ عَوْرَتَكِ، وَحَلَفْتُ لَكِ وَدَخَلْتُ مَعَكِ فِي عَهْدٍ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَصِرْتِ لِي. فَحَمَّمْتُكِ بِالْمَاءِ وَغَسَلْتُ عَنْكِ دِمَاءَكِ وَمَسَحْتُكِ بِالزَّيْتِ، وَأَلْبَسْتُكِ مُطَرَّزَةً، وَنَعَلْتُكِ بِالتُّخَسِ، وَأَزَّرْتُكِ بِالْكَتَّانِ وَكَسَوْتُكِ بَزًّا، وَحَلَّيْتُكِ بِالْحُلِيِّ، فَوَضَعْتُ أَسْوِرَةً فِي يَدَيْكِ وَطَوْقاً فِي عُنُقِكِ. وَوَضَعْتُ خِزَامَةً فِي أَنْفِكِ وَأَقْرَاطاً فِي أُذُنَيْكِ وَتَاجَ جَمَالٍ عَلَى رَأْسِكِ. فَتَحَلَّيْتِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلِبَاسُكِ الْكَتَّانُ وَالْبَزُّ وَالْمُطَرَّزُ. وَأَكَلْتِ السَّمِيذَ وَالْعَسَلَ وَالزَّيْتَ، وَجَمُلْتِ جِدّاً جِدّاً فَصَلُحْتِ لِمَمْلَكَةٍ. وَخَرَجَ لَكِ اسْمٌ فِي الأُمَمِ لِجَمَالِكِ، لأَنَّهُ كَانَ كَامِلاً بِبَهَائِي الَّذِي جَعَلْتُهُ عَلَيْكِ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.(حزقيال١٦: ٨-١٤). الله في محبته لا يقدسنا ويطهرنا فقط بل يمجدنا أيضا، الله يجملنا ليكون لنا اسم ومكانة وسط الناس وفي ملكوته، الله يجعلنا نصلح للملك ويكون لنا قدرات ومواهب ونعمل أعماله.

عجيب هو الله في محبته فأنه يشركنا في مجده، يمجدنا ببهائه، يشرق بنور وجهه علينا ويقول النبي " قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ. لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى. فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ." (أشعياء٦٠: ١- ٣).

كل مجد يحاول أن يصنعه الإنسان لنفسه، فيكون له مكانة، ويجد المديح من الناس كله ينتهي بموت الإنسان ولا يبقي له ذكر مع مرور الأيام، ولكن المجد الذي يعطيه الله لأحبائه مجدا يدوم، ففي الأرض يلتمس البعض وجه الرب في قديسيه، وذكراهم تدوم وسيرتهم وأعمالهم تؤثر في أجيال وأجيال، وفي الملكوت يكون لهم كراسي أي مكانة مميزة لها كرامتها ودورها، كما قال الرب لتلاميذه "لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ». (لوقا ٢٢ : ٣٠)، وكما قيل أن نجم يمتاز عن نجم في المجد، فكل واحد يمجده الله يكون له بهاؤه وإشراقه ومجده.

الله في محبته يقودنا إلي المجد " وَلَكِنِّي دَائِماً مَعَكَ. أَمْسَكْتَ بِيَدِي الْيُمْنَى. بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي وَبَعْدُ إِلَى مَجْدٍ تَأْخُذُنِي." (مزمور٧٣: ٢٣-٢٤). فكيف يمجدنا الله وإلي أي مجد يأخذنا ؟

الله يمجدنا بشخصه ويشرق بوجهه علينا، أي يعطينا من شخصيته لنكون علي مثاله ونصير أيقونة له، الله في محبته يعطينا من صفاته القداسة والعدل والرحمة... لنكون قديسين وعادلين ورحماء

وكاملين مثله، يعطينا هذه الصفات ليس كما نفهمها ولا كما يشرحها فلاسفة زماننا ولكن يعطينا إياها بالروح القدس الذي يأخذ مما للمسيح ويعطينا ويثبتها في قلوبنا لا في عقولنا. حتى " نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ. (٢ كورنثوس ٣ : ١٨) ونظل نتغير إلي أن يعين لنا الرب اسمنا الجديد " فَتَرَى الأُمَمُ بِرَّكِ وَكُلُّ الْمُلُوكِ مَجْدَكِ وَتُسَمَّيْنَ بِاسْمٍ جَدِيدٍ يُعَيِّنُهُ فَمُ الرَّبِّ. (اشعياء ٦٢ : ٢). الله لا يغير شخصيتنا فقط لتكون علي مثاله ولكنه سوف يغير كذلك أجسادنا ويعطينا أجسادا نورانية ممجده علي شبه جسد المسيح الممجد " الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ. (فيلبي ٣ : ٢١).

الله في محبته يمجدنا معه أي يشركنا في عمله، يجعلنا نعمل أعماله ويعطينا قدرات فائقة، مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضاً وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي. (يوحنا ١٤ : ١٢).. الله عجيب في محبته يعطينا مواهب وقدرات ليكون لنا سلطان، لنسود علي الأرض ونصنع الخير مثله ونخلق ونبدع، فمنذ أن خلق الإنسان طلب منه أن يسود ويتسلط ويخضع الأرض ويفلحها ويصلحها، وهو مع كل واحد من أحبائه يمجده ليكون ملكا أي يكون له قوة وقدرة ليعمل ويسيطر ليكون ملكا في عمله وملاكا وسط الناس، يعمل أعمال الله ويكون سبب خيرا للناس ويحمل بشري الله للناس، يري الناس أعماله فيمجدوا الله. يري الناس أعماله المعمولة بقوة الله فيمجدوا الله، يري الناس أعماله المعمولة بحسب مشيئة الله فيمجدوا الله. الله يمجدنا بظهوره فينا وبعمله فينا وعمله بنا.

وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي لِلَّهِ فِينَا.
اللهُ مَحَبَّةٌ،
وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ
يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ.
١ يوحنا ٤ : ١٦



الباب الثاني

حياة المحبة

الثبات في محبة الله

الجهاد في محبة الآخر


الرَّبُّ يُنْمِيكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ،
١ تسالونيكي ٣ : ١٢

الفصل الأول



الثبات في محبة الله

الثبات في حضرة الله

الثبات في معرفة الله

الثبات في الارتباط الله

الثبات في نار الحب الإلهي

الثبات في محبة الله

اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي.

(يوحنا ١٥ : ٩)

في الفصول السابقة قد ناقشنا كيف أن الحب هو بحث عن الآخر الذي يكون شريك لنا، وبحريتنا نختار من نحبهم ونقيم علاقة معهم، وبحريتنا نرفض من لا نرتاح لهم ونتباعد عنهم، فهل هذا ما يحدث عندما نحب الله؟ هل نحن نبحث عن إله لنحبه؟ هل نحن نختار الله لندخل معه في علاقة حب؟ هل يمكن أن نحب الله مثلما نحب أحباءنا؟

الإجابة : لا !!

إن كنا نبحث عن إله لنحبه فهذا يعني أننا نبحث عن إله مناسب لنا، وهذه هي الصنمية، وإن كنا نختار الله لنحبه فهذا يعني أن هناك أكثر من إله في حياتنا ونحن نفاضل بينهم، وهذا يعود بنا إلي تعدد الإلهة وتصور الله وتكوين صورة ذهنية لله ليست هي حقيقة الله. ونبدأ نحب أنفسنا في تلك الصورة التي نسقطها علي الله، وفي النهاية لا ندخل في شركة حقيقية معه.

الله ليس إنسان ولا يحب بطرق البشر في الحب، فحب الله له شكل مختلف وطبيعة مختلفة وثمار مختلفة، فلا ينبغي أن نخلط بين مشاعر الحب البشري وبين مشاعرنا من نحو الله، ولا بين شركتنا بأحبائنا وبين شركة محبة الله.

نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً[٦]، وهو أحبنا فضلا[٧].. فالحب بين الله والإنسان لا يقوم علي التجاذب المتبادل وبحث كل طرف عن الآخر، ولا البحث عن النظير المعين، فالله أحبنا فضلا وليس

---

[٦] ١ يوحنا ٤ : ١٩

بحثا عن أمر يحتاجه منا، ونحن نحبه لأننا مأثورين بحبه وفضله وليس بحثا عن شريك لنا يكون نظيرا لنا ومكملا لنا.

نحن نحبه لأننا معمورين بحبه، نحن نحبه لأن محبته تحصرنا، نحن نحبه لأن محبته سر وجودنا وخلاصنا، نحن نحبه لأنه اختارنا لنكون أحباءه.



وأنت إذا أحببت فلا تقل الله في قلبي
لكن قل أنا في قلب الله
جبران خليل جبران

أننا الآن نتكلم عن نوعية أخرى من الحب، عن علاقة محبة إلهية إنسانية، علاقة لها خصائص مختلفة وأسلوب مختلف عن الحب الإنساني الذي اختبرناه في علاقاتنا الخاصة.

أن قصة الإنسان مع محبة الله قصة عجيبة، ويحكي لنا الكتاب المقدس مأساة الإنسان في محاولاته لإقامة علاقة مع الله ومحاولاته للدخول في شركة محبته، فالإنسان منذ البداية يهرب من الله ثم يعود ليبحث عنه ويعاتبه قائلا لماذا تختفي[8].. ويقول له أين أنت.. !! والله يقول للإنسان اقتربوا إلي فاقترب إليكم[9]، والإنسان يقول لله لماذا تقف بعيدا..، والله يقول للإنسان بسطت يدي طوال النهار لشعب معاند[10]، والإنسان يقول لله لماذا تحتجب يا إله إسرائيل.. لا تحجب وجهك عني... والله يقول للإنسان هلم نتحاجج.. والإنسان يستذنب الله ليبرر نفسه، والله يدعونا للتوبة ويغفر لنا،

---

[7] هوشع ١٤ : ٤
[8] مزامير ١٠ : ١
[9] يعقوب ٤ : ٨
[10] اشعياء ٦٥ : ٢

ونحن نلوم الله ونحمله مسئولية ذنبنا.. أنها مأساة كل إنسان لا يعرف كيف يقيم علاقة بالله، فهو يريد الله ولكنه يخاف منه ويريد عشرته ولكنه لا يري وجهه.

مسكين ذلك الإنسان الذي يشتاق لمحبة الله فيتوهم أنه قادر علي الوصول لله، ويبدأ في البحث عنه، ويتصور أنه يطرق باب الله منتظراً أن يفتح له، أو يتصور أنه قادر علي إثارة عطف الله وتحننه عليه والفوز برضاه وحمايته.

"هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا.. (١ يوحنا ٤ : ١٠). لا يتم الدخول في محبة الله برغبة بشرية ولا بحسب المفاهيم البشرية للحب، لا يستطيع أحد أن يحب الله إن لم يجتذب من الله أولا، محبة الله هي مبادرة إلهية، ومحبتنا لله ما هي إلا تجاوب مع هذه المبادرة، فالله هو المبادر ونحن الذين نتجاوب، والله هو المحب ونحن المحبوبون.

أننا لا نجذب الله نحونا بل هو الذي يجذبنا إليه، أننا لا نختار الله بل نحن مختارون منه. أننا لا نبحث عن الله بل هو الباحث عنا، أننا لا نطرق باب الله بل هو الذي يقف علي باب قلوبنا ويطرق لنفتح له.

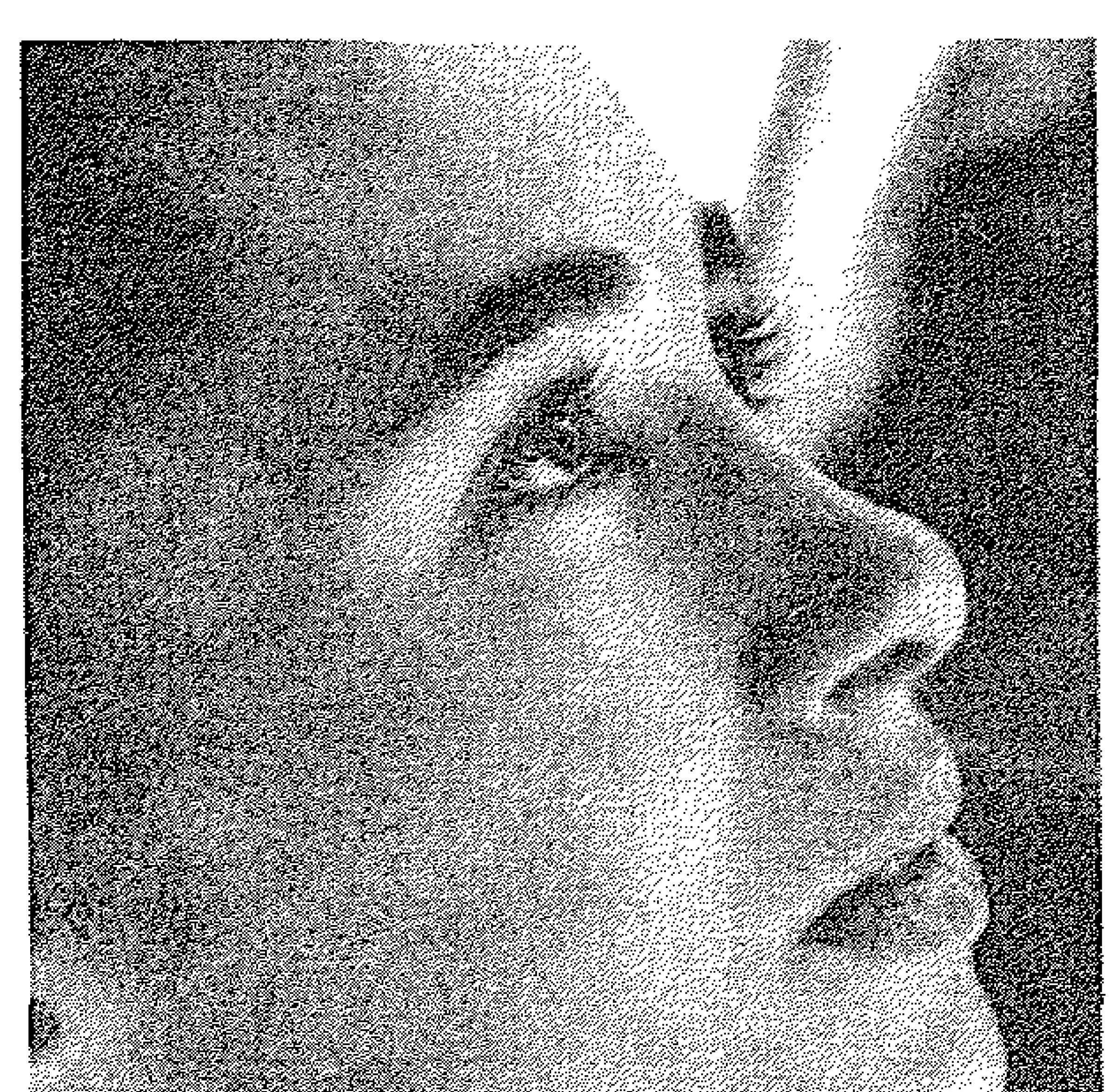
الله يبحث عنك فلا تهرب منه،
الله ينتظرك فلا تتأخر عليه،
الله يطرق بابك فلا تجعله ينتظر طويلا.

حينما نقول أننا نحب الله فأننا في الحقيقة نقر أننا تجاوبنا مع محبة الله، وأننا استجبنا بالإيجاب لمبادرة الله، وأننا وافقنا بكامل إرادتنا وحريتنا علي دعوة الله للدخول في شركة محبته. أننا لا نعرف كيف يحب الله، ولا نعرف كيف نجذب الله، ولا نعرف كيف نتواصل مع الله، ولا نعرف كيف تثمر علاقتنا بالله، ولكننا نعرف أن الله يجذبنا إليه ويتواصل معنا ويمجدنا معه، فالله يعرف كيف ولماذا يحبنا أما نحن فلا نعرف لا الطريق لمحبته ولا هدف محبته. كل تصور بشري لمحبة الله سوف يلقي بنا إلي محبة الذات أو أوهام الحب وسوف نعيد مأساة البشرية في هرطقات حب الإلهة بشكل مختلف.

محبة الله تبدأ بأن تدرك أن الله يحبك، وإنه يدعوك لشركة محبته، قد تسمع عن الله محب البشر ولكن أن تدرك أنه يحبك شخصيا وباسمك فهو بداية الأمر، أن تدرك أن الله مخلص العالم هو مخلصك أنت ويهتم بتوبتك أنت هنا بداية الأمر، أن تدرك أن الله صانع الخيرات هو صانع خير لك وله هدف خاص بك ويقودك إلي المجد وسوف يمجدك معه فهنا بداية الأمر.

المحبة علاقة شخصية، ومحبة الله تبدأ عندما تدرك اهتمام الله الشخصي بك، وتدرك أنك محبوبة، الله أول ما أعلن عن نفسه أعلن أنه إله إبراهيم واسحق ويعقوب. فهو الإله الذي يقيم علاقة مع أشخاص وقد أقام علاقة شخصية معهم، وهو الإله الذي يقيم علاقة شخصية بمختاريه. وينسب نفسه إليهم كما ينسبهم إليه. فهو كما إنه "إله يعقوب" فكذلك صار يعقوب "إسرائيل" (الذي صارع مع الله وغلب) فالله اختار يعقوب ليكون له إلها ولما تجاوب يعقوب مع الله نسب يعقوب لله بما فعله وصار اسمه إسرائيل دلالة علي عمق علاقة يعقوب بالله وعلي الشركة التي تحققت بين الله ويعقوب، ودلالة علي التغيير الذي حدث في شخصية يعقوب نتيجة ارتباطه بالله. محبة الله أن تدرك أن الله هو إلهك أنت شخصيا، إله مجدي.. إله مينا.. إله سارة، ثم تقيم علاقة شخصية مع الله تتطور فيها شخصيتك فيعطيك الله اسما جديدا[١١] وينسبك إليه[١٢].

ليست محبة الله أن تقبل مبادرة الله فقط ولكن أن تثبت في محبته، فالله لا يدعونا أن نحبه فقط ولكنه يؤكد علينا **أُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي**. (يوحنا ١٥ : ٩)... محبة الله ليست حالة روحية نستمتع فيها بشعورنا أننا مختارى الله المحبوبون فقط ولكنها علاقة ارتباط بالله الذي أحبنا، علاقة نحاول الاستمرار فيها ونجاهد لتقوى ويزداد ارتباطنا بالله الذي أحبنا ويدعونا أن نجاهد لنثبت في محبته.. فكيف نثبت في محبة الله؟



.. أَحَبَّنِي.. وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي.
(غلاطية ٢ : ٢٠)

---

[١١] اشعياء ٦٢ : ٢
[١٢] الرؤيا ٣: ١٢

الثبات في حضرة الله

كثير ما نخاف أن ينسانا الله ونقول له أذكرنا.. أذكرني، ففي أعماقنا ندرك أنه إن نسينا الله وسقطنا من عنايته فهذا يعني هلاكنا، ولذلك ندعو الله أن لا ينسنا ولا ينسى أن يهتم بنا. وكثيرا ما يطمئنا الله أنه لا ينسي ويقول لنا بمحبة " هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسَيْنَ وَأَنَا لاَ أَنْسَاكِ. (اشعياء ٤٩ : ١٥)، ولكن السؤال الآن هل نحن نذكر الله؟ أشعر أن الله يقول لنا هل تتذكروني، لماذا تنسوني؟

الحب أن يكون المحبوب حاضرا، أن نحب الله فهذا يعني أن يكون الله حاضرا في أذهاننا كل حين. فلا ننسي الله حينما نخطط لحياتنا، ولا ننسي الله في حل مشاكلنا،ولا ننسي الله في إبداعاتنا. تذكر الله ووضع اعتبار لله في حياتنا وعدم نسيانه في خططنا وخطواتنا هو أول خطوة في توفيق مشيئتنا مع مشيئته، وتوافق المشيئة هام لتحقيق الحب.

فإن كنا نذكر الله بوعوده ونطلب منه أن يحقق لنا ما نريد، فالأمر يحتاج أيضا أن نتذكر طلبات الله منا ولا ننسي أن ننفذ وصاياه.

حضور الله في أذهاننا يبدأ بجهاد ويكتمل بالنعمة التي ترفعنا إلي أعماق الحضور الإلهي الدائم، الشعور بحضور الله يبدأ بجهاد أن نمكث معه فترات وتنتهي أن نترك كل شيء ونتبعه، مثلما فعلا أولاد زبدي حينما أرسلهم يوحنا المعمدان للرب وقالا له أين تمكث.. فَقَالَ لَهُمَا: «تَعَالَيَا وَانْظُرَا». فَأَتَيَا وَنَظَرَا أَيْنَ كَانَ يَمْكُثُ وَمَكَثَا عِنْدَهُ ذلِكَ الْيَوْمَ. (يوحنا١ : ٣٩) وانتهي الأمر بهم أنهما تركا كل شيء وتبعاه. يبدأ الأمر بأن نكرس له وقتاً خاصاً ونقضي فترات في حضرته في صلوات أو تأملات أو قراءات، أو نخصص بعض الوقت لخدمته حتى نتعرف عليه ونقترب منه ونتأمل عمله في حياة الناس، وبالنعمة نستطيع أن نصلي كل حين أي نكون في اتصال به كل حين، ويفتح هو أعيننا فنراه أمامنا وعن يمينا كل حين، وبنعمته تصير كل أعمالنا مكرسة لمجد أسمه.

حضور الله لا يكون بتأمل الله وتصوره ذهنيا بل بالتركيز حتى تنفتح قلوبنا ونري الله يتكلم ويعمل، الله ليس الحاضر الصامت ولكنه الحاضر الحي، الحاضر الذي يتكلم، الحاضر الذي يعمل..

الثبات في حضرة الله تعني أن ندرك أن الله يتكلم ونبدأ نصغي له، أننا لا نسمع الله لأن هناك ضجيج وأصوات عالية حولنا تجعلنا لا نسمع صوت الله، الله يريد أن يتكلم معنا حديثا شخصيا ولكننا لا نسمع لأننا لا نلتفت إلا إلي الضجيج والصراخ والأصوات العالية والنبرات الحادة، فمي

مرة نأدي الله إيليا النبي العظيم ليتكلم معه، وقال له " [اخْرُجْ وَقِفْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ]. وَإِذَا بِالرَّبِّ عَابِرٌ وَرِيحٌ عَظِيمَةٌ وَشَدِيدَةٌ قَدْ شَقَّتِ الْجِبَالَ وَكَسَّرَتِ الصُّخُورَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الرِّيحِ. وَبَعْدَ الرِّيحِ زَلْزَلَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الزَّلْزَلَةِ. وَبَعْدَ الزَّلْزَلَةِ نَارٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي النَّارِ. وَبَعْدَ النَّارِ **صَوْتٌ مُنْخَفِضٌ خَفِيفٌ**. فَلَمَّا سَمِعَ إِيلِيَّا لَفَّ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ وَخَرَجَ وَوَقَفَ فِي بَابِ الْمَغَارَةِ، وَإِذَا بِصَوْتٍ إِلَيْهِ يَقُولُ: [مَا لَكَ هَهُنَا يَا إِيلِيَّا؟] (١ملوك ١٩: ١٠-١٣)، ففي الهدوء والسكون نسمع الله فالإنصات لله يتطلب أن نهدأ النفس ونكف عن الصراخ والانزعاج الداخلي والثورات النفسية، وننتظر الله أن يتكلم حينئذ فقط نسمع الله ونأخذ منه مشورة لحياتنا، ووصية لنمونا، وإعلانا لثباتنا فيه.

ربنا موجـــود

البابا شنودة الثالث

الثبات في حضرة الله تعني أن ندرك أن الله يعمل ونتعلم كيف نعي أعمال الله، الله يعمل في حياة كل واحد ويعمل في حياتنا، فهل ندرك يد الله العاملة في حياتنا؟ هل ندرك أنها يد مجروحة من أجلنا؟ الله حاضر في أفراحنا مبتهجا ومتهللا من أجلنا، الله حاضر في ضيقنا.. متضايق لأجلنا.. ويعمل لخلاصنا، كثيرا ما نجد صعوبة في التيقن أن الله متضايق لضيقنا، وأنه يعمل بحكمته ليخلصنا من الضيقة ويخرجنا منها منتصرين بأمور لا تخطر علي بالنا ولا ندرك نفعها في وقتها. كان الرب يسوع يحضر أفراح الناس يشاركهم فرحهم، ولقد فرح معهم وساعدهم علي استمرار فرحهم وأزال ما يعكر صفو فرحتهم وأعد لهم خمراً من الماء، وكان يقف مع الباكين يبكي معهم ويخلصهم، فقد بكي أولا مع مريم ومرثا لموت لعازر ثم أقامه لهم.

يساعدنا التسبيح علي رؤية الله ورؤية عظيم أعماله، وبالتدريج نفهم أن هذه الأعمال يعملها الله معنا نحن بصفة شخصية، وقليلا قليلا يفتح الله عيوننا لنراه وهو يعمل في حياتنا.

الثبات في محبة الله هو ثبات في إدراك حضور الله وعمله في حياتنا الشخصية، ونحن نقوي في محبة الله كلما تيقننا من حضور الله وعمله، وتضعف محبتنا له كلما غاب عن أذهاننا ونسينا أنه حاضر يعمل من أجلنا، الله لا يكف عن أن يعمل في حياتنا حتى وإن نسيناه فهو أمين لا ينكر نفسه ولكننا نحن نسقط من محبته ولا يثمر حبه فينا إن نسيناه.

الثبات في معرفة الله

لا يكفي الثبات في إدراك حضور الله وعمله للثبات في محبة الله، ولكننا نحتاج أن نقترب إليه أكثر لنتعرف علي شخصه معرفة شخصية، وعلي حقيقته، وأن نعرفه وأن يعرفنا، وأن نقبله ونرتاح له ونطمئن له ونثق فيه.

يقول أيوب الصديق لله " بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي. (ايوب ٤٢ : ٥)، أنها لحظة هامة في حياته، لحظة تحوله في علاقته مع الله من علاقة مبنية علي إيمان نظري وسمعي إلي علاقة مبنية علي إيمان شخصي، من معرفة مبنية علي معرفة كتب إلي معرفة مختبره، من معرفة ذهنية إلي معرفة حياتية، من معرفة مبنية علي خبرات الآخرين إلي معرفة مبنية علي اختباره الشخصي.

إن كانت المحبة علاقة شخصية، فلابد أن نتعرف علي شخص الله ليس من الكتب والعظات ولكن من اختباراتنا الشخصية، فكلما رأينا الله يعمل وتأملنا عمله عرفنا صفة من صفاته، وكلما رأينا عملاً من أعمال الله وسعدنا به وبحدناه عليه كلما عرفنا سمة من سمات الله التي نرتاح إليها وكلما توثقت علاقتنا به أكثر فأكثر، فالمعرفة التي تصنع الحب هي المعرفة التي نرتاح لها، وكلما ارتحنا لصفات لله وقل خوفنا منه واستغرابنا لطرقة ولتدبيره كلما نمت محبته في قلوبنا، فالمحبة تطرد الخوف إلي خارج.

أننا نزداد ثباتا في محبة الله كلما قل توجسنا من إرادته من نحونا وكلما زادت ثقتنا فيه ليس علي أساس نظري تأملي ولكن علي أساس اختباري..من سمعنا لصوته لنا ومن عمله في حياتنا.

معرفة الله الذي اختبرناه لا تكفي للثبات في محبته، نحن نحتاج أن نعمق معرفتنا لله لنتعمق في محبته، نحتاج أن نعرف الله ليس الذي نرتاح له فقط والذي يغطي كل احتياجاتنا ويبذل نفسه من أجل خلاصنا، ولكننا نحتاج أن نبذل الجهد أن نعرف الله كما هو، أن نتعرف علي شخصه الإلهي

في كماله، ونتعامل معه في كماله الإلهي،كشخص إلهي متكامل الصفات. ونبدأ نتعامل مع الله كإله واحد. فمن الأمور التي تفسد علاقتنا بالله، أن نتعامل مع الله من جانب واحد من شخصه، هناك من يتعامل مع الله من جانب قداسته، وهناك من يتعامل مع محبته، كل واحد يتعامل مع الله من الجانب الذي يريحه وحسب اتجاهاته وحسب ما يتوقعه من الله، ولكننا نحتاج أن نتعامل مع الله كما هو، نتعامل مع قداسته كما نتعامل مع محبته، نتعامل مع رحمته كما مع عدله، هذا يصنع علاقة محبة حقيقية ومتزنة روحيا.

فالله واحد في محبته كما سبق توضيحه، ولابد أن نثبت في محبة الله الواحد، نحبه ونقدسه، نسبحه ونهابه، نتوسل إليه ونخضع إليه، نقترب إليه ونسجد له.

يقول الرب يسوع للآب : وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ " (يوحنا ١٧: ٢٦). فعمق علاقة الحب الحقيقي أن ندخل في شركة محبة الآب والابن، ولا يتم ذلك إلا إذا عرفنا اسمه أي عرفنا شخصه، وهذه المعرفة الشخصية تحتاج إلي نمو يساعدنا عليه ابن الله شخصيا، أن نعرفه ليس لاحتياج ولا للتمتع ببركاته ونعم محبته ولكن لمعرفته شخصيا، معرفة شخصه والارتباط بشخصه. وحينئذ ندخل إلي عمق حياة الله ونتمتع بمحبته الأبدية " وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ " (يوحنا ١٧: ٣)، فسر الحياة الأبدية هو سر معرفة الله، الإله الحقيقي، الله الواحد، وندخل في شركة محبته وتتوحد حياتنا بحياته.

أننا نحب إله وليس إنسان وعلاقتنا به علاقة مع إله وليس إنسان...

الثبات في الارتباط بالله

معرفة الله لا تكفي للثبات في محبته والدخول في شركة محبته، فالأهم من معرفة الله أن يعرفك الله !!

الله يعرفك لأنه إلهك.. ولكن هل يعرفك الله لأنك تحبه؟

الأهم من أن تعرف الله أن يعرفك الله، ففي يوم سوف يقول الله للبعض: أذهبوا عني لا أعرفكم!! حينئذ يكون مصيرهم هلاكا أبديا.

«لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا

وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: **إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ!** اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ! (متى٧: ٢١-٢٣). فهناك من يعرفون الرب ويستغلون أسمه لأغراض شخصية، وهناك من يعرفون إرادته ويعملون لمجده.

الله يعرفك من أعمالك من أجله، يعرفك من أعمالك التي تعبر عن حبك له، من أمانتك معه، ومن وصالك معه، ومن بذلك من أجله.

*****

إن كان الحب التزام فكم نحن ملتزمين في محبتنا لله، أن نلتزم به معناها أن نكون أمناء له، أمناء باستمرار وعلي الدوام، وأمناء حتى الموت كما يطلب الرب"كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاة" (رؤيا يوحنا ٢: ١٠).

أمناء في شهادتنا له، فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَلَكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. (متى ١٠ : ٣٢-٣٣)، من يحب أحد يحب الحديث عنه، ونحن الذين نحبه نحب أن نتحدث عن مجده ونشهد لعمله معنا ونشهد لأمانته في حبه لنا.

أمانتنا له تظهر من مدي التزامنا بوصاياه ومقدار طاعتنا لها فهو يقول:" اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي». (يوحنا ١٤ : ٢١). فكل اجتهاد في حفظ وصاياه يقربنا منه أكثر ويثبتنا في محبته وفي معرفته. الجهاد في الأمانة يبدأ بالتزام طقسي نلتزم بتقديم النذور والعشور وتنتهي بتقديم القلب وتكريس الحياة له، تبدأ بالالتزام بالصوم وتنهي بالحياة علي كلمته، وتبدأ بممارسة للأسرار وتنتهي بالحياة فيه.

الأمانة في محبة الله هي إلا نخون الله ؟! فالله يطلب منا في محبته أمانة العروس لعريسها، فإن خانته صارت زانية، فالله يطلب هذه الأمانة الزوجية في علاقتنا به ويحذرنا من الزني الروحي، وهذا يحدث عندما توجد إلهة أخري في حياتنا نسقط في غوايتها ونخضع لها مثل غواية المال وإغراء الشيطان.

*****

المحبة تحتاج إلي وصال مستمر وناجح، هكذا محبة الله تحتاج حديث مستمر مع الله، نتكلم معه وننصت له، ونعرف كيف نحدثه وكيف ننصت له.

في حديث المحبة نتكلم لنكشف له كل ما في قلوبنا ونكشف له حياتنا، نهلل له حينما نراه في مجده ونلمس حبه، ونشكره علي عمله في حياتنا، نكشف له عن كل ألم وقلق وخوف في قلوبنا، ونطلب عونه ومعونته في حياتنا،

مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضَيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟... فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً. وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. (رومية ٨: ٣٥-٣٩)، نحن في وصال مستمر وحالة صلاة دائمة مع الله حينما لا تفصلنا الضيقات والشدائد عن الله، ولا تشغلنا هموم الحياة وتجعلنا ننسي الله، حينما نري الله معنا في الضيق والشدة يساندنا ويعمل معنا، ونري وجه الله في الحاضر والمستقبل وفي كل الأحوال، فحينئذ نكون في وصال محبة دائم معه.

في وصال المحبة نصمت لنسمع، وحينما نسمع نقول له آمين. آمين صلاة صمت المحبة، حينما نصلي آمين فنحن نقول له نصدقك ونؤمن بك، نصدق وعود حبك ونؤمن بمحبتك، آمين صلاه عهد صامتة نعلن قبولنا لمشيئته واستعدادنا لتقبل عمله في حياتنا، وكأننا مع العذراء نقول له "ليكن لي كقولك". آمين صلاة الصمت المذهول والمتعجب من عظيم صنع الرب، و آمين هي صلاة الصمت المذبوح الذي يقبل بمشيئة الرب لا مشيئتنا، ونقول بخضوع مع داود "صَمَتُّ. لاَ أَفْتَحُ فَمِي لأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ" (مزمور ٣٩: ٩).

*****

المحبة عطاء، وعطاء المحبة بذل، والبذل أن نشبع احتياج المحبوب. فماذا نعطي الله في محبتنا له، وماذا نبذل من أجل الله، وماذا يحتاج منا الله ؟ وماذا يريد منا ؟ وما الذي يرضي الله منا ؟

هل عطايانا وذبائحنا تسر قلب الله ؟ وهل هي ما يريده منا ؟ أننا حينما نقدم لله عطايا وذبائح فأننا نقدم مما له، وليس منا فكل الأشياء هي له، وكل تقدماتنا لله هي اعتراف منا بفضله وهي طلب لبركته لنا فيها ليس إلا.

هل طاعتنا لوصاياه هي ما يريده منا ؟ الله يريد طاعتنا لصلاحنا فطاعة وصاياه تعود بالخير علينا في حياتنا، الله يسر بطاعتنا إن كانت دليل حبنا له، ولكن طاعتنا لا تقدم لله شيئا.

الله يريد منا عطية واحدة فقط ويطلبها في حبه " يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ وَلْتُلاَحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِي" (امثال ٢٣ : ٢٦)، الله يريد قلبك لا مالك ولا طاعتك فالكل هو ملك له وأنت عبدا له وجب عليك طاعته، ولكنه يريد أن نعطيه قلبنا الذي هو لنا بكامل حريتنا وإرادتنا. ليكون مسكنا لله، يســكنه روح الله، ويكــون هيكل يعلن اسم الآب، وجسدا للمسيح. هذا ما يريده الله منا ويحتاجه الله !!

البذل في عطاء القلب الذي يرضي الله أن يكون القلب كله لله، فهو يريد كل القلب وليس جزءا منه "فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. (تثنية ٦ : ٥) الله يريد التكريس الكلي، القلب الكامل، لا يصلح الجزء أو البعض في محبة الله، فالقلب المنقسم لا يصلح لإرضاء الله وإرضاء حبه. القلب هو جوهر الشخصية، ومركز الكيان الإنساني، والله يريد أن يكون القلب متعلقاً به روحيا، وإلا ما كان الحب حبا. التعلق الروحي به هو ضمان استمرارية علاقتنا به وثباتنا فيه، فدائما الروح نشيط ولكن الجسد ضعيف ففي مسيرتنا مع الله سوف نجد الضعف والخطية أمامنا ولكن إن كانت الروح متعلقة بالله فسوف تكون نشيطة ومتوهجة بحبه فحتى وإن ضعفنا فسوف نجد قلوبنا النشطة تلومنا والأجمل "لأَنَّهُ إِنْ لاَمَتْنَا قُلُوبُنَا فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْ قُلُوبِنَا، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ. (١ يوحنا ٣ : ٢٠) فالله الذي يستحوذ علي قلوبنا يقدر ضعفنا ويغفر لنا و يساعدنا علي الاستمرار في حبه.

الله يريد أن نحبه من كل النفس، والنفس هي حياتنا، هي نشاطنا الذي يعبر عن قلوبنا وعواطفنا وإرادتنا، والله يريد أن يكون كل تعبير لنا في الحياة يعبر عن حبنا له، فلا ننسي الله في كل نفس لنا ونمجد الله في كل عمل لنا. محبة الله في حياتنا أن تكون كل أعمالنا الرب فيها يوضح بولس الأمر قائلا : الَّذِي يَهْتَمُّ بِالْيَوْمِ فَلِلرَّبِّ يَهْتَمُّ وَالَّذِي لاَ يَهْتَمُّ بِالْيَوْمِ فَلِلرَّبِّ لاَ يَهْتَمُّ. وَالَّذِي يَأْكُلُ فَلِلرَّبِّ يَأْكُلُ لأَنَّهُ يَشْكُرُ اللهَ وَالَّذِي لاَ يَأْكُلُ فَلِلرَّبِّ لاَ يَأْكُلُ وَيَشْكُرُ اللهَ. ٧ لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِه وَلاَ أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِه. لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ.(رومية١٤: ٦-٨). أن نعيش للرب فهذا يعني أن كل أعمالنا اليومية البسيطة والاعتيادية ومهنتنا وعلاقاتنا نمجد فيها الرب، حينما نصنعها بروح الشكر والحمد وحيما نمجد الله فيها وحينما نشارك الله فيها.

الله يريد أن نحبه بكل قدرتنا، أي بكل قوة فينا لعمل الخير، كل ما نقدر علي فعله من أجل وإلا نبخل عليه أو نتكاسل في عمل الخير من أجله " فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَناً وَلاَ يَعْمَلُ، فَذَلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ. (يعقوب ٤ : ١٧). الله لا يريدنا أن نكف عن فعل الخير من أجله مادمنا قادرين علي ذلك. الله يريدنا أن نبدع في عمل الخير أن نحول كل قدرتنا الإبداعية نحو حبه، أن نجتهد ونحل مشكلات الحياة والناس ومشاكلنا لأجله، أن نجتهد ونبدع في عملنا من أجله، أن نكتشف ونبدع أعمالا وفنونا تمجده، ولا نبدع ونخترع مخترعات من أجل الشر والتدمير وإفساد الحياة.

اشتعال القلب بمحبة الله

وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً. (يوحنا ١٣ : ٣٤). أن علامة الثبات في محبة الله هي أننا أصبحنا نحب مثلما يحبنا، وأصبحنا نسلك في المحبة كما أحبنا " وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا" (افسس ٥ : ٢).

فكل ما عرفناه عن المحبة الإلهية وكل ما فهمناه من محبة الله لنا، لابد أن يكون قاعدة لنا في ممارسة المحبة في حياتنا، فإن كنا عرفنا من الله الحب المبادر، فلابد أن نكون مبادرين في محبتنا، نختار أن نحب، نقرر أن نحب، نريد أن نحب، ولا يكون حبنا حبا وجدانيا تحركه المشاعر بل بل حبا إراديا تحركه الإرادة، ولا يكون تجاوبا وجدانيا لمن يحبوننا، وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ .. بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ (لوقا٦: ٣٢-٣٥). حينما يشتعل حب الله في القلب نستطيع أن نتحكم في علاقاتنا بالناس ونكون مبادرين مثله ويكون الحب هو أساس كل علاقتنا مع المقربين والغرباء وحتى الأعداء، وأصبحنا قادرين أن نمارس الحب في كل علاقاتنا، وتعلمنا كيف نحب الخطاة ولا نشاركهم خطاياهم، وتعلمنا كيف نحب ونحن نشهد للحق، وكيف يتقدس حبنا ونحفظه طاهرا ونقيا، ولا يبعدنا حبنا عن صلاحنا.

كذلك كل ما اختبرناه في محبة الله لنا، أصبحنا نمارسه مع الآخرين، فكما غفر لنا الله نغفر للآخرين، وكما صالحنا الله بمحبته الغافرة بتعلم أن نتصالح مع الآخرين وكيف نصنع الصلح، وكما سمحنا الله نسامح ونتسامح مع الناس " وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا

سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ. (افسس ٤ : ٣٢)، وكما فهمنا كيف يتواصل الله معنا نتعلم كيف نتواصل مع الناس بصدق وبتفهم وبسعي حقيقي للارتباط بهم ولخيرهم، وكذلك كما اختبرنا بذل الله من أجلنا وكيف يسدد لنا احتياجنا هكذا ينبغي أن نحب بعضنا البعض، كما ينصح بولس " أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَحِبُّوا نِسَاءَكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ أَيْضاً الْكَنِيسَةَ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا، (افسس ٥ : ٢٥).

كلما قدسنا حبنا بالحب الإلهي كلما ثبتنا في محبة الله، وكلما ثبتنا في اله كلما قدس الله حبنا بمحبته وسكب حبه فينا بالروح القدس وكلما أثمر الروح فينا المزيد من الحب الإلهي المقدس، فالمحبة هي ثمر عمل الروح فينا (غلاطية٥: ٢٢)

******



إلهي..
أنت تحتضن وجودي برعايتك، وكأنك لا تتطلع لآخر سواى..
تسهر عليَ وكأنك نسيت الخليقة كلها..
تهبني عطاياك وكأني أنا وحدي موضوع حبك..
ليتني أحبك يا إلهي كما أحببتني أولاً.

(القديس أغسطينوس)

الفصل الثاني



محبة الآخر

" تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ "

(يوحنا ١٥ : ١٢)

أن تحقيق الحب في أرض الواقع وتثبيته أمر صعب يواجه مشكلات عديدة ينبغي تفهمها ومعالجتها بصبر وحكمة، وإن كانت محبتنا لبعض في العلاقات الخاصة والحميمة أمر يحتاج جهاد وله متطلبات عديدة وفي النهاية قد يثمر وقد لا يثمر، وإن كانت محبتنا لله تحتاج وعي روحي لفهم طبيعة محبة الله وجهاد للثبات فيها، فكم تحتاج محبتنا للأقرباء وللغرباء وللأعداء؟!

إن كنا بحريتنا اخترنا أحبائنا المقربين الذين يتشاركون معنا في حياتنا، وإن كنا تجاوبنا مع الله الذي غمرنا بمحبته وقررنا الثبات في محبته، فماذا عن الذين يحيون معنا في مكان واحد ووطن واحد وفي عالم واحد وفي زمن معين - المختارين لنا من الله لنحيا معهم؟!

وإن كان من المحتم محبتهم وإقامة رابطة ما معهم مادمنا نحيا معهم في نفس المكان وفي نفس الزمن. لذلك لابد أن نفهم **كيف نحب هؤلاء الذين لم نختارهم**، ويعيشون معنا وبقربنا ونتعامل معهم ويتعاملون معنا، فكيف نحب جيراننا وأقربائنا؟ وكيف نحب الغرباء؟ وكذلك أعدائنا الذين يعادوننا و لم نعاديهم والذين يكرهوننا و لم نكرههم؟!

لقد اعتاد المفكرين والإعلاميون والسياسيون في الآونة الأخيرة علي استخدام مصطلح قبول الآخر كمشروع ثقافي وسياسي لمناهضة التمييز ونشر التسامح وضمان الحرية وسيادة التعددية والديمقراطية، وهو أمر جيد وخطوة مهمة في طريق تحقيق المحبة الإنسانية، وخطوة في طريق تحقيق وصية الكتاب **تحب قريبك كنفسك**. محبة الآخر: القريب والغريب والعدو في الفهم المسيحي لها

أبعاد أعمق روحيا وإنسانيا، وتحتاج أن ننتبه إلي الفكر الكتابي نحو محبة الآخر، فهو يساعد ويغزي فكر قبول الآخر ويساعد علي نجاح مشروعه.

تهدف محبة الآخر عمليا تقليل معاناتنا في تعاملاتنا مع الآخرين، وريادة مساحة المشاركة في المنفعة والسعادة مع الآخرين. وإن كانت رسالتنا في المجتمع نشر المحبة بين الناس، فالأمر لا يكون بالكلام والوعظ والأمنيات ولكن بالعمل والحق، أن نعمل أولا علي صنع السلام وتحقيقه، وثانيا علي تحقيق العدالة الاجتماعية علي كل المستويات، فالسلام والعدالة هما الأرضية التي تنمو فيها المحبة وتبدأ في الانتشار بين الناس.

إننا نمارس محبة الآخر في محورين، محور شخصي نحب فيه أفراد الجماعة التي نحن أعضاء فيها سواء كانت الأسرة أو الكنيسة أو المجتمع ونحتاج أن نتعلم كيف نتفاعل بمحبة مع أعضائها لتكون جماعة مترابطة وتتحقق فيها المحبة، وهناك محور مجتمعي، فيه نحب مع الجماعة التي ننتمي إليها الجماعات الأخرى، نحن جزء من هذه الجماعة ونتحرك بفكرها واتجاهاتها ولذا نحن مسئولون عن تنمية فكرها نحو قبول الآخر وتنمية روح المحبة فيها تجاه الجماعات الأخرى. فتكون أسرنا محبة ومنفتحة علي الأسر الأخرى، وكنيستنا علي الكنائس الأخرى، وأسرنا وكنيستنا علي الوطن، ووطننا علي العالم وهكذا. وإن كان الله جعل الذرات المتناهية الصغر تترابط بفاعلية المحبة – التجاذب والتفاعل، فهكذا جعل النجوم الكبيرة والكواكب الضخمة تتجاذب وتترابط، فالمحبة ليست للعلاقات القريبة والضيقة ولكنها أيضا للعلاقات البعيدة والمتسعة، فنحن نحتاج أن نتعلم كيف نوسع دوائر المحبة، ونحب الجماعة كما في العلاقات الشخصية، ونتعلم كيف نساهم في جعل الجماعات مترابطة ومتفاعلة مع الجماعات الأخرى، ونساهم مع الله في تحقيق رسالة المحبة في عالم البشر كما حققها في عالم المادة وأظهرت المحبة من المادة المترابطة كوناً يصلح للحياة، فترابط البشر هي خطته التي يدعونا لننفذها معه " لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً" (يوحنا ١٧ : ٢١) ويسعى الرب نفسه لتحقيق ذلك ليكون الجميع واحد في المسيح، كما قال بولس الرسول "نَحْنُ الْكَثِيرِينَ: جَسَدٌ وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ وَأَعْضَاءٌ بَعْضاً لِبَعْضٍ كُلٌّ وَاحِدٍ لِلآخَرِ." (رومية ١٢ : ٥).

محبة الآخر نوعية أخرى من المحبة في حياتنا، لا يقوى عليها إلا من نجح في تحقيق الحب في علاقاته الخاصة، ومن انفتح علي محبة الله ونجح في الثبات فيها. محبة الآخر محبة مبادرة، تقتحم الانغلاق والغربة والعداوة، وتجعل من الغريب قريب ومن العدو صديق. محبة الآخر محبة مجاهدة، تجاهد من أجل تحقيق المحبة وتحمل صليب الآخر.

محبة الآخر ليست محبة عاطفية أدواتها اللطف واللين والمجاملات والأدب ولكنها محبة عملية أدواتها الاعتراف بحقوق الآخر وتمكينه من حقوقه، والتعايش مع اختلافه والتسامح المرن مع أخطائه، والعيش المشترك معه دون طغيان لأحد علي الآخر.

تتحقق محبة الآخر حينما ننجح في الاعتراف بالمساواة وتحقيقها، ونقبل الاختلاف ونتعايش معه، ونتقاسم المنفعة والسعادة وننجح في تحقيق العدالة بيننا.



مختلفون لكننا متساوون
مختلفون لكننا متسامحون
مختلفون لكننا متشاركون

المساواة في محبة الآخر

يدعونا الرب تحب قريبك كنفسك. فهل استطعنا دلك ونفذنا تلك الوصية؟! هل نحب كل من نتعامل معهم في حياتنا اليومية؟ وهل نحب كل من نتقابل معهم أو نصادفهم في طريقنا؟ وهل نحب زملاءنا وجيراننا وبني وطننا والأحباب والغرباء الذين نراهم عبر الأقمار الصناعية وفي نشرات الأخبار؟ وهل نحب المختلفين القريبين منا ونعيش معهم سواء كانوا من جنس آخر أو أديان أخرى أو ثقافات مختلفة أو أوضاع اجتماعية مختلفة؟

لماذا نجد صعوبة في تنفيذ هذه الوصية المهمة؟

١. صعوبة تنفيد الوصية ناتج عن عدم فهم روح الوصية، وعدم فهم شكل هده النوعية من المحبة. فالوصية تدعونا أن نري القريب كأنفسنا أي مساو لنا وأن نتعامل معه كمساو لنا في الحقوق، وأن محبته عمليا تكون بإظهار الاحترام لكل واحد، وأن لا نستغل أحد، ولا نتسلط علي أحد، ونتعاون ونتشارك مع الجميع.

٢. صعوبة تنفيذ الوصية ناتج عن كم الكراهية المتولد في نفوسنا من كثرة رفضنا الغير مبرر للآخر، والذي يمنعنا من الاعتراف بحقوقه ومساواته لنا.

٣. صعوبة تنفيذ الوصية ناتج عن ضعف قدرتنا علي الحب.. بسبب ضعف تجارب الحب في حياتنا، وأن حبنا لم ينضج ويتطور ولم يتمر في علاقتنا الخاصة مع عائلاتنا وأصدقائنا ومع شريك الحياة. فإن كانت شعلة المحبة خامدة فينا فكيف نقوي علي الانفتاح علي القريب، والغريب، والعدو.

المحبة جهاد، والجهاد في محبة القريب هو جهاد مع النفس لتقبل حقيقة مساواته لنا، وأن ترتفع علاقتنا به إلي مستوى الأخوة، وأن نرتقي بمعاملاتنا وأخلاقنا لنكون متواضعين وعادلين معه، كذلك لن نستطيع محبة القريب كالنفس بسهولة في مجتمع تسوده العداوة والتنافر ولذلك كان علينا المساهمة بشكل إيجابي في تأسيس مجتمع المساواة.

أن تحب قريبك عمليا يعني أنك تحترم الآخر كمساو لك، وتتعامل معه بتواضع وبعدل، وأن تشارك في نشر فكر المساواة وتؤسس مجتمعك علي المساواة سواء داخل أسرتك أو عملك أو كنيستك أو وطنك أو العالم...

فكيف يتحقق ذلك؟

أولا: راجع أفكارك عن المساواة

هل تؤمن بمساواة الناس؟ فلماذا تشعر بأنك أفضل من غيرك في بعض الأحيان؟! ولماذا تشعر أنك دائما علي حق؟ ولماذا تنتقد الرؤساء والمشاهير، وتحقد علي من هم أعظم منك في بعض الأوقات؟

لنحترس ولا ندع الشيطان يكمل خطته... فالشيطان في خطته لتدمير الحياة والناس، يحاول نشر فكر الفرقة بين الناس، ثم يدع الناس تصارع بعضها البعض، فنجد المجتمعات تقسم الناس إلي طبقات اجتماعية: طبقة عليا، وطبقة متوسطة، وطبقات دنيا، ثم يحدث صراع طبقي بينهم فيفقد السلام الاجتماعي ويكون هذا بداية لانهيار المجتمع، وكذلك الثقافات التي تقسم الناس جنسيا ويحدث صراع لسيادة جنس علي أخر ويشتعل صراع المرأة التي تبحث عن حقوقها والرجل الذي يحاول استغلال المرأة والسيطرة عليها، أنه صراع يفقد المجتمع فرصة التكامل والرقي الإنساني، وكذلك الثقافات التي تقسم الناس عرقيا وكل عرق يحاول أن يثبت أنه الأفضل والأحق بالحياة والسيادة ويبدأ الصراع العنصري بين السود والبيض، وبين الأجناس، والدول، والحضارات، وهكذا نجد الإنسان يصارع الآخر ليقسم العالم إلي أسياد وعبيد، ويطول هذا الصراع وتكثر معه الحروب

والثورات التي تنتهي بتدمير أرواح الملايين من البشر، كذلك الثقافات التي تقسم الناس بحسب معتقداهم وأدياهم، وتنشا صراعات دينية ومذهبية تنتهي بتدمير الناس وانهيار معتقداهم معهم. الملايين من البشر بل المليارات منهم يعانون في حياهم اليومية بسبب هذه الصراعات ويموت الملايين كل عام بسبب هذه الصراعات والحروب، كل ذلك يحدث بسبب محاولات التقسيم والتصنيف بين البشر ثم محاولة تحديد من هو الأفضل ومن هو الأجدر بالسيادة والسيطرة، أنها نعرة حيوانية، نعرة من الذي يقود القطيع؟! والتي يحاول الشيطان أن يثيرها باستمرار بغوايته للإنسان بحلم العظمة وأن يصير مثل الله يحكم ويسيطر ويسن القوانين والشرائع ويحدد وما هو صالح للآخرين.

ما يحدث في العالم هو صدي لما يحدث في علاقاتنا مع القريبين منا من الناس، فنحن بدلا من أن نبحث عن تميزنا عنهم نبحث عن أفضليتنا عنهم، وبدلا من أن نبحث كيف نتفوق وسطهم نبحث كيف نسود عليهم، فنجد البعض يتعامل بتعالي علي الآخرين والبعض يحقر من هم أقل منهم علما أو شأنا، والبعض يظلم الضعفاء ويستغلهم، والبعض يُحقر ويستهزأ بالآخرين ويسخر من شكلهم أو جنسهم أو ديانتهم، والبعض يمارس العنف والطغيان علي البسطاء والضعفاء، كما نجد بعض الرؤساء يمارسون السخرة علي موظفيهم بدلا من قيادهم ويتعاملون معهم من منطلق السيادة وليس من منطلق الرئاسة، ويتعامل بعض المرؤوسين مع رؤسائهم كأسياد لهم وليس كرؤساء عمل، وكذلك نجد رجالاً يمارسون العنف والسيطرة علي زوجاهم من منطلق أنه الذكر الأقوى وسيد البيت، وزوجات تتعامل مع أزوجهن من منطلق ضعف وتري فيهم الأسود الأقوياء. ويتعامل الآباء مع الأبناء علي أنهم حكامهم وليسوا مربيهم وتختلط المسألة بين المسئولية والتسلط.

فالرجال لا تبحث عن مميزات الرجولة وخصائصها بل تبحث في أفضلية الرجل عن المرأة وأحقيته في السيادة، والنساء بدلا من بحثها عن مميزات الأنوثة وخصائصها تبحث كيف تمتلك الرجل. وكثير من مشكلات المعاملات اليومية بين الرجال والنساء في حقيقتها صراع حول السلطة.. من يسود.. من يسيطر!! الرجل يستخدم قوته!! والمرأة تستخدم ذكائها وفتنتها!!

وهكذا كلما نظرنا لوضعنا الاجتماعي أو الديني أو الثقافي، نجد السؤال الذي يتبادر بسرعة علي أذهاننا: من الأفضل؟! من الأعلى؟! من الأحق بالاحترام؟! من الأحق بالقيادة والسيطرة؟!

من السهل أن تقول أن كل الناس متساويين، ولكن لو لاحظنا تصرفاتنا في حياتنا اليومية سوف نجد أننا نسلك بعكس ذلك..... وبالتالي نبعد عن طريق محبة الآخر.

المساواة ليس معناها أن نكون متطابقين، فنحن نختلف عن بعض في الجنس، وفي اللغة، وفي المواهب والقدرات، وفي الثقافة والتعليم، وفي الظروف والأوضاع الاجتماعية. فنحن مختلفون لنتميز ولكننا متساوون كأخوة، فنحن متساوون في القيمة، والحقوق، والأخوة، والاحترام، ومتساوين أمام القانون، وفي الحرية.

نحن متساوون كأخوة، لأننا لنا أصل واحد ونحيا حياة مشتركة وننتظر مصير واحد، نحن أخوة لأننا لنا رب واحد وهو أبونا، ونحن أخوة لأن المسيح جعلنا أخوة له وهو صار بكرا بين أخوه كثيرين، فكل من دخل في عشرة المسيح وصار المسيح أخيه صار كل إنسان أخا له، وكل من اتحد بالمسيح وأصبح عضواً في جسد المسيح صار كل إنسان عضوا معه في جسد المسيح.

نحن أخوة نحيا حياة مشتركة كل منا يحتاج للآخر وكل منا يكمل الآخر، فالحياة لا يمكن أن نحياها وحدنا، فكل إنسان هو أخي الذي يحيا معي ويعينني علي الحياة. ونحن جميعا نتجه نحو مصير واحد لنلتقي بالمسيح إلهنا الحي، وفي المسيح كلنا واحد لا فرق[١٣] بين ذكر وأنثي، ولا عبد وحر، ولا يهودي أو أممي. لذلك كل من ينمو في المسيح لابد أن ينمو في فكر المساواة ويصير الكل عنده واحد في المسيح.

نحن متساوون في القيمة، فلا يوجد إنسان بلا قيمة، كل واحد له قيمة في ذاته، وعمله هام لآخرين.. وآرائه يستنير بها آخرون.. كل واحد خلق لعمل صالح، وقيمته في عمله، فليس قيمة لإنسان في جنسه أو لونه أو مركزه أو ماله ولكن قيمة كل واحد في نفعه، ومادمنا نافعين بعضنا لبعض فنحن متساوون في القيمة.

قد يكون عملك متسع ونفعك عظيم ولكن ليس معني ذلك أن قيمتك أكبر، بل يعني أن مسئوليتك أكبر ليس إلا. ولقد أوضح لنا الرب في مثل الوزنات[١٤] كيف أن صاحب الخمس وزنات متساو مع صاحب الثلاث وزنات، فالاثنين نالا نفس المكافأة ودخلا نفس الفرح، ولكن الذي يقدّر

---

[١٣] غلاطية ٣ : ٢٨
[١٤] متى ٢٥ : ١٥-٣٠

علي الأكبر يكلف بأكثر، فالوزنة المطمورة أعطيت للذي له الخمسة وليس للذي له الثلاث وزنات وقيل له: الذي عنده يعطي ويزاد، فهو الأقدر علي تحمل المسئولية وليس لأنه الأعلى في القيمة. قيمتهم كانت في أمانتهم، وكل أمين منهم كلل، فنحن متساوون في القيمة بحسب أمانتنا.

نحن متساوون في القيمة أمام الله، فلا يوجد منسي أو مهمل أو غائب عنه، فالله يبحث عن الضال، والمفقود وينتظر البعيد، ويكلل المجاهد، ويقبل التائب، ويفرح بعودة الخاطئ، كل نفس لها نفس القيمة عند الله..

لم يفرق الرب يسوع بين رجل أو امرأة، غني أو فقير، متعلم أم جاهل، رجل دين أو رجل من عامة الشعب.كما كان يهتم بخلاص الفقراء والأغنياء، والرجال والنساء، وبالبعدين والقريبين وباليهودية والسامرة وكل الأرض، وعند الدينونة سوف يحاسب كل واحد بحسب أعماله فقط وليس بحسب وضعه، فلا فرق في الدينونة بين الرجال والنساء، ولا السود والبيض، ولا الأغنياء والفقراء.

نحن متساوون في الحقوق، فالآخر له حقوق مثلك تماما ولا ينبغي أن تنتقص من حقوقه، أو تحرم عليه حقاً تتمتع أنت به، فهو له حق الحياة الكريمة، وحق الاعتقاد، وحق التعبير عن نفسه وعن آرائه، فكما يحق لك أن تحيا وتمارس حياتك وتنعم بها، هكذا يحق للآخر.. فلا يحق لأحد أن يهدد حياته أو يضيق عليه عيشه. وكما يحق لك أن تعتقد ما تشاء، فهكذا يحق للآخر أن يعتقد ما يرتاح له وما يبني عليه حياته وتصرفاته، فلا يحق لأحد أن يفرض علي إنسان ما يعتقد وما يؤمن به من أفكار ومعتقدات، وكما تحب أن تعبر عن أرائك فكذلك لكل واحد الحق أن يعبر عن آرائه وله الحق أن يغير رأيه أيضا متى شاء.

نحن متساوون في الاحترام، فالاحترام علامة المساواة، أن تحترم الآخر كشخص وإنسان وتحترم عمله ومعتقده وأهله وجنسه وأصله.

نحن متساوون في الحرية، فالله خلقنا أحراراً، والله حريص جدا علي ممارستنا لحريتنا حتى وإن أخطأنا في حقه أو أنكرنا وجوده، وهو في عمله معنا والذي يصنعه من أجل خلاصنا لا يمس حريتنا

مطلقا.. فلا ينبغي أن تكون الحرية حق للأقوياء أو أصحاب السلطة ولا للأغنياء فقط، ولا ينبغي أن يقيد أحد حرية الآخر أو ينتقص منها بسبب فقره أو ضعفه، فلا يجبره علي فكر أو اعتقاد لا يرتاح له أو يرغمه علي سلوك أو نمط حياة لا يختاره.

من المؤسف أننا نقيد حرية الآخرين كثيرا تحت مسميات كثيرة مستغلين سلطتنا أو إمكانياتنا المادية ونفوذنا، وأن كان من الشائع أن الحرية تنتهي عندما تبدأ حرية الآخر، فالذي ينظم ذلك هو القانون وليس هوى الناس.

حريتك ليست بقدر قوتك ولا غناك، ولكن حريتك هي عطية الله لك، ويحميها القانون. حرية الآخر ليست مجال لتظهر سطوتك ولا نفوذك، فكل ما تريده من الآخر لابد أن يصنعه برضاه ولابد أن يأخذ مقابله.

نحن متساوون قانونا، فإن كان القانون هو وضع لينظم علاقتنا وحقوقنا وواجباتنا، فنحن متساوون تحت القانون، فالقانون هو علي الجميع، يطبق علي الجميع دون محاباة، ولا يستخدم للتعنت وظلم فئة من أجل فئة أخرى. كذلك نحن متساوون في صنع القانون فلابد أن يكون لنا الحق في التعبير عن ارتياحنا للقانون وموافقتنا عليه من خلال ممثلين لنا ننتخبهم، كذلك لابد أن يكون القانون أكثر عدلا ويساوي بين الجميع.

ثانيا: راجع كيف تمارس المساواة في علاقاتك الشخصية؟

من المهم أن نصحح نظرتنا للآخر حتى نستطيع أن نحبه، ومن المهم أن نراه أخ مساو لنا لنقبل أن نتشارك الحياة معه، ومن المهم الاعتراف بحقوقه لتكون إطار علاقتنا به، هذه أمور هامة ولكننا لا نحب بالشعارات والأفكار بل بالتصرفات والممارسات، فالحب علاقة عملية وليست علاقة نظرية ولا نحب في أذهاننا بل في واقعنا. فمن المهم أن نترجم فهمنا وإيماننا بالمساواة إلي سلوك عملي في علاقتنا، فمحبة الآخر هي اتجاهات سلوكية أكثر منها فلسفة نظرية أو تأملات روحية.

المحبة العملية تظهر عندما نظهر احترامنا للآخر كأخ مساو لنا تماما في الحقوق، ولا نحاول استغلاله أو السيطرة عليه، وعندما يزداد إحساسنا بمسئوليتنا الأخوية من نحوه ونقوم بواجباتنا من نحوه.

لم يكن بولس الرسول يمل من الكتابة في رسائله عن وصايا تدعم المحبة الأخوية ويدعو أن نكون لطفاء ونستخدم اللباقة ونقدم بعضنا بعض في الكرامة. وأن نكون ودودين مشفقين مسامحين ومتسامحين، فالمحبة الأخوية تظهرها معاملاتنا مع الآخر، فمحور كل وصايا المحبة الأخوية أن نحترم إنسانية الآخر، كمساو لنا تماما في الحقوق.

الأمر ليس سهلاً في تعلم المحبة الأخوية والسلوك فيها، فكثيرا ما نظهر احترام زائد للأغنياء وذوى السلطة ونبالغ في اللطف مع الجنس الآخر، وننصت باهتمام بالغ للمشاهير، وكثيرا ما لا نلتفت للفقراء ونتعامل بازدراء مع الطبقات الدنيا والجهلة ومساكين الأرض، ونتعامل بخشونة مع أهلنا وعملائنا في العمل، ولا نعطي أذاننا لنصغي للصغار والبسطاء. كلما زاد هذا التناقض في معاملاتنا كلما دل ذلك علي ضعف المحبة الأخوية. نحتاج أن نكون علي قدر معتدل من الاحترام في تعاملاتنا مع الناس نحترم الصغير ولا نهاب الكبير، نلاطف الجميع ولا نحابي أحد، ننصت للجميع لنفهم الجميع، ولا ننبهر بأحدٍ ولا نستخف بأحد، فنكون أقرب لمحبة الآخر.

محبة الآخر تحتاج أن لا ننظر للوجوه بل للقلوب، ولا لوضعهم بل لإنسانيتهم. كلما كنت عميق في نظرتك للآخر كلما رأيت فيه ما يثير إعجابك به ويجذبك إليه، ووجدته يستحق حبك واهتمامك واحترامك. الله محب البشر يحب كل إنسان لا لحسنه ولا لقوته ولا لذكائه ولا لضعفه ولا لجهله ولكن لقلبه ولأعماقه.

المساواة أن لا تسعي للسيطرة علي الآخرين كلما ازدادت قوتك، فهناك ميل عند البعض للسيطرة علي الآخرين والتحكم فيهم كلما ازدادت قوتهم بدنيا أو ماديا أو ازداد نفوذهم، يريد أن يكون السيد، العظيم، الأول، وتتبدل نظرته للآخر فيراه وسيلة يحقق بها رغباته ويستخدمه لإسعاده، ويبدأ ينتقص من إنسانية الآخر حتى يصبح في نظره أداه أو شيء يستخدم ولا يحب، لقد حذر السيد المسيح تلاميذه من ميل التسلط لئلا يفقدوا الحب بينهم وقال لهم : «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ

عَظِيماً فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْداً. كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (متى٢٠: ٢٥-٢٨)، فالرغبة في القيادة والعظمة قد تكون دليل اتساع المحبة إن ارتبطت بخدمة للآخرين، ولكنها تصير أنانية قاتلة إن كانت تسعى لاستغلال الآخرين واستخدامهم.

قوتنا لا تمنع محبتنا.. قيادتنا لا تمنع محبتنا.. ولكن ميلنا للتسلط والسيادة هو الذي يفسد محبتنا للآخر.

المساواة أن لا تسعي للسيطرة كلما أحسست بالتفوق، فالبعض حينما يتنافس ويتفوق إن لم يحكم ميله للتفاخر يجد نفسه يتعالي علي الناس فينفصل عنهم، كما أن الإحساس بالتفوق يعزز الرغبة في السيطرة، أنت متفوق ليس لأنك أفضلهم إنسانيا ولكن لأنك أكثرهم بذلا للجهد.

التفوق لا يمنع المحبة، بل يعزز الحب الأخوي أن قدمت نفسك نموذجاً للناس للسعي للتفوق وشرحت لهم كيف حققت التفوق، وأمنت أن الآخرين يمكنهم أيضا التفوق مثلك. ولكن الافتخار يمكن أن يكون غباءً حينما تحاول أن تصور نفسك بصورة ليست هي حقيقتك. بولس الرسول اضطر أن يحكي عن انجازاته لكنيسة كورنثوس حينما حاول البعض أن ينتقص من رسوليته ويشكك فيها، ولكنه في نهاية سرده لانجازاته التي تؤكد أنه ليس اقل من باقية الرسل قال : قَدْ صِرْتُ غَبِيّاً وَأَنَا أَفْتَخِرُ. أَنْتُمْ أَلْزَمْتُمُونِي! لأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أُمْدَحَ مِنْكُمْ، إِذْ لَمْ أَنْقُصْ شَيْئاً عَنْ فَائِقِي الرُّسُلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَسْتُ شَيْئاً.، وعلل لماذا لا يميل للافتخار وخشيته أن يتصوره البعض علي غير حقيقته وقال "أَتَحَاشَى لِئَلاَّ يَظُنَّ أَحَدٌ مِنْ جِهَتِي فَوْقَ مَا يَرَانِي أَوْ يَسْمَعُ مِنِّي" وهذا يخل بعلاقته بهم ويفسد رسالته وعمله معهم. (٢كورنثوس١١، ١٢).

المساواة أن لا تسعي لاحتكار الخير لك كلما ازدادت قوتك وغناك، يميل البعض للمغالاة في الترف والتنعم وينسي المسكين الجالس علي باب بيته. كما في المثل الذي حكاه الرب «كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأُرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهاً. وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوباً بِالْقُرُوحِ. وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ.." (لوقا١٦: ١٩-٢١) فهذا الغني لم يخطئ عندما نعم نفسه وتعم ولكنه أخطأ حينما تغافل عن المسكين

الموجود علي باب بيته، ولا مبالاته بمن حوله. المساواة أن تساهم بدورك في ضمان حق الحياة لكل من حولك، أن تساعد الملقي علي الطريق بين الحياة والموت كما علمنا الرب في مثل السامري الصالح، وإطعام المسكين الجالس علي باب بيتنا، وإغاثة من يستنجد بنا.

المساواة أن لا تثور علي الآخرين كلما عانيت من حرمان أو ضعف. فليعازر المسكين لم يحقد علي الغني المترف وهو يتضور جوعا، و لم يحسده علي نعيمه بينما كانت الكلاب تلحس قروحه.



المساواة احترام
لا تسلط،
لا تفاخر،
لا احتكار،
لا حقد

ثالثا: راجع مساهمتك في خلق مجتمع المساواة..

أن تحب ليس معناه أنك تمارس الحب في علاقاتك وحسب، ولكن أن تكون قادرا علي إشعال الحب في قلوب الآخرين، أن تحب ليس معناه أنك ملتزم بقواعد المحبة وقوانينها في معاملاتك مع الآخرين ولكن أن تنشر هذه القواعد لتكون أسس لمعاملات الناس مع بعضها البعض.

لا يكفي أن ترتفع أخلاقك إلي مستوي أخلاق المساواة وان تمارس المساواة وتحققها في علاقاتك، بل تحتاج أن تنشر روح المساواة بين أفراد عائلتك وأعضاء كنيستك وزملاء عملك، إننا لا نصنع ذلك من منطلق فرض الذات علي الآخرين وفرض أخلاقنا عليهم ولكن بدافع المحبة التي تسعي لخلاص الأحباء، وكما أن الله لا يشاء موت الخاطئ بل أن يخلص ويحيا، هكذا نحن اللذين تعلمنا الحب المبادر نسعى مع الله لخلاص الناس، وتنمية الحب في قلوبهم الذي هو خطوه في طريق خلاصهم.

الحب بطبيعته لا ينحصر في نفسه بل يسعي ليمتد في قلوب الآخرين، ونحن بالحب نسعى لامتداد محبة الآخر في قلوب الآخرين ليس بالدعوة المجردة للحب ولكن نعلمهم كيفية محبة الآخر، والمساواة هي وجه من أوجه محبة الآخر التي ندعو إليها ونحاول تثبيتها في حياتنا.

وإن كانت المساواة وجه من أوجه محبة الآخر وأنت تلتزم بها في علاقاتك، فلابد أن تساعد الآخرين علي فهم المساواة وجعل المساواة روح وقانون منتشر في مجتمعك. فماذا تفعل لتخلق مجتمع المساواة؟

مجتمع المساواة هو المجتمع الذي يعرف كل فرد فيه حقوقه، وهو المجتمع الذي به آليات قوية لحماية الحقوق وضمانها.

مجتمع المساواة ليس المقصود به الوطن فقط ولكن الأسرة التي هي نواة للمجتمع وكذلك المجتمع الكنسي، ومجتمع العمل. المساواة ليست قضية مواطنة ووطن، ولكنها قضية كل بيت وكل كنيسة وكل عمل. فكلما نجحنا في تحقيق المساواة في مجتمع صغير كلما ساهمنا في تحقيقها في المجتمع الأكبر وكلما اتسعت المحبة وتحققت علي نطاق أشمل. وكما لابد أن ننجح في المحبة في العلاقات الخاصة حتى نقدر علي محبة القريب والغريب، هكذا لابد أن ننجح في تحقيق المساواة التي هي وجه من أوجه المحبة في المجتمعات الصغيرة حتى نقوى علي تحقيقها في المجتمعات الكبيرة. وكما لابد أن نصحح محبتنا بالثبات في محبة الله، هكذا نحتاج أن نصحح مفاهيمنا وممارستنا للمساواة في مجتمعاتنا الصغيرة حتى نقدر أن نحققها علي وجه صحيح في مجتمعنا الكبير. نحتاج أن نجاهد في تأسيس أسرنا وكنائسنا وعملنا علي المساواة حتى يسهل علينا الجهاد في سبيلها في وطننا.

*****

ننجح في تثبيت روح المساواة في المجتمع حينما ننجح في جعل كل واحد يعرف حقوقه ويعرف كيف يطالب بها ويدافع عنها.

من المؤسف أن الجهل يضيع الحقوق وبالتالي يخل بالمساواة، والأسوأ من ذلك حينما يسعي البعض لتضليل الناس أو خداعهم لئلا يعرفوا حقوقهم ويطالبوا بها، فيسهل لهم السيطرة عليهم وظلمهم. المحبة أن تساعد كل واحد علي معرفة حقوقه وواجباته.

لا تستقيم العلاقات داخل الأسرة إن لم تكن هناك معرفة تامة لحقوق وواجبات كل عضو فيها، وتكون هناك مساواة تامة بينهم في الحقوق. فإن كان هناك خلل في الحقوق فسوف يكون هناك تسلط من فرد علي الآخرين أو ظلم يقع علي عضو لصالح آخر، وإن كان هناك خلل في الواجبات فسوف يكون هناك فرد يسبب عبء علي الآخرين. وبالتالي تكثر المشاحنات والخصام والخلاف بين أعضاءها هذه الأسرة وتنطفئ المحبة فيها وتخرج من بابها.

الأبوة حقوق وواجبات، والبنوة حقوق وواجبات، والأخوة حقوق وواجبات، والمحبة تفسد عندما لا يقر أحدهم بهذه الحقوق والواجبات، ويحاول كل واحد أن يضع لنفسه حقوق علي هواه ويتنصل من واجباته التي لا يريد الالتزام بها.

يفسد الآباء الأبناء حينما يعفون أبناءهم من القيام بواجباتهم، وكذلك حينما يتسلطون علي أبنائهم وينتقصون من حقوقهم بدافع حمايتهم. هذا إفساد وليس محبة، المحبة تثبيت للحقوق والواجبات أي تحقيق المساواة. تتفكك الأسرة حينما لا يعرف الأخوة واجباتهم نحو بعضهم البعض، ولا حقوقهم عند بعضهم البعض.

لذلك لكي نحقق المحبة داخل الأسرة، لابد أن نتناقش لنستوضح الحقوق ونحدد الواجبات لكل عضو فيها بطريقة جماعية ولا نسمح بتسلط فرد فيها علي آخر أو أن يتنصل من الوفاء بواجباته.

الأسرة المتماسكة، تتماسك بالحب، ونوعية الحب الذي يصنع التماسك هو الحب الذي يحقق المساواة. من يحب أفراد أسرته ينشر بينهم المساواة، فيناقش معهم الحقوق والواجبات حتى تكون واضحة ومحددة، ويساعدهم علي الالتزام بها والوفاء بمتطلباتها. ولا يسمح بانتقاص الحقوق ولا بالتنصل من الوفاء بالواجبات.

*****

هكذا في المجتمع الكنسي، مجتمع الكل مس أجل الواحد والواحد من أجل الكل، المجتمع الذي يُكون جسد المسيح، وكل واحد هو عضو في هذا الجسد يعمل من أجل الكل، والكل يحافظ علي كل عضو ليكون عضوا حيا للمسيح. يتم تحقيق المحبة في هذا المجتمع بتحقيق المساواة الروحية والرعوية. الكنيسة أعضاء ورتب: أعضاء بالمواهب فكل عضو له موهبته، ورتب كل رتبة لها وظيفتها، ولا يوجد بها تمييز لعضو علي عضو ولا تسلط لرتبة علي أخري، فالعلاقات داخل الكنيسة علاقات روحية.. كل عضو هو عضو للآخر، فالعلاقة بين أعضاءها هي علاقة أخوية،

يشارك فيها كل واحد بموهبته . وكل رتبة فيها رتبة هي أبوة ومسئولية نحو الآخر ، والمحبة في الكنيسة تتحقق عندما تتحقق الأخوة والأبوة بحقوقها وواجباتها.

تختل المساواة في الكنيسة إن دخلها روح التسلط وفقدت روح الأبوة، فالأب يقود الناس في العبادة ولا يفرضها عليهم، يحفزهم عليها ولا يقهرهم عليها، والأب يعلم الناس العقيدة ولا يدعي امتلاكه للحقيقة، والأب يرعي الناس ولا يتسلط علي الناس. وإن كانت الأبوة سلطان فإنه سلطان محبة، سلطان رعوي لا ديكتاتوري، السلطان مسئولية رعوية وليست سلطة روحية. السلطان اهتمام أبوي وليس استعراض نفوذ، الأب في الكنيسة يطاع بالحب ولا يطاع بالأمر، يطاع بالاختيار ولا يطاع بالفرض. ولذلك كان توجيه بطرس الرسول للخدام والرعاة " ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّاراً، لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاخْتِيَارِ، وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ" (١بطرس ٥ : ٢-٣).

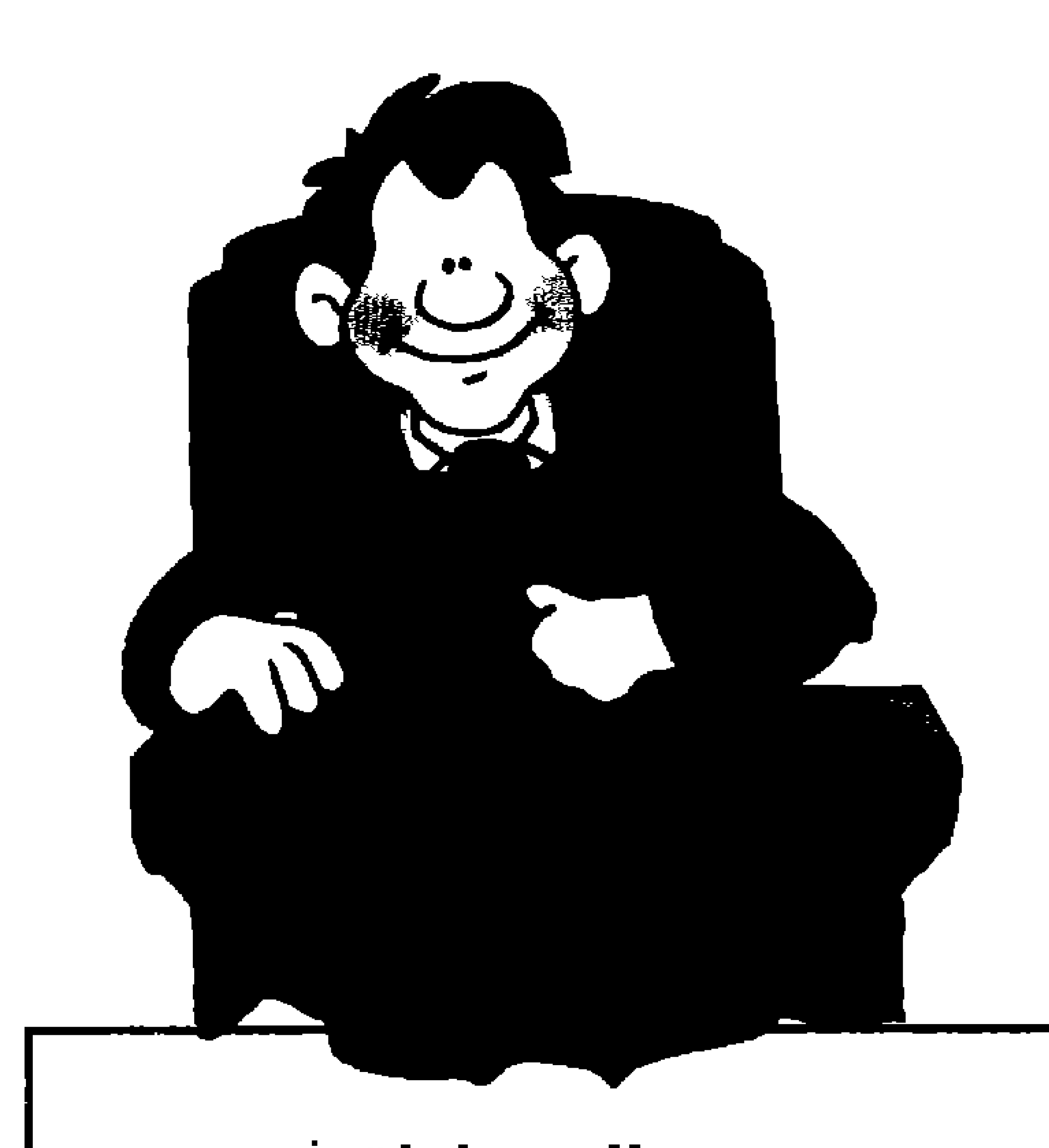
من السهل دخول روح التسلط لأي رتبة في الكنيسة، ولذلك كانت الكنيسة حريصة علي أن تكون القيادة فيها جماعية لا فردية لتقلل من فرص دخول روح التسلط فيها، فنجد الكهنوت عمل جماعي يتكون من أساقفة وكهنة وشمامسة، وكذلك تدار الكنيسة إدارة جماعية يقوم بها مجلس من أعضاء الكنيسة، والتعليم في الكنيسة وخاصة العقيدة يضعها مجمع عام، فالعقيدة ليست رؤية شخصية وقوانين الكنيسة ليست رأياً شخصياً ولكنها اتفاق جماعي ورؤية جماعية بقيادة الروح "لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ غَيْرَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ"(اعمال ١٥ : ٢٨)

تختل المساواة في الكنيسة أن دخلها روح التمييز. كلنا أعضاء ولا يحقق لعضو أن يفتخر علي الآخر أو يعتبر عضوا أخر أقل نفعا أو قيمة. حق كل عضو أن يشارك ويكون له دور، وواجبه أن يخدم بموهبته. المساواة بين أعضاء الكنيسة مساواة في المشاركة والخدمة، فمن حق كل عضو في الكنيسة أن يكون له دور وليس من حقه أن يفرض علي الكنيسة دوراً معينا لنفسه، ومن واجبه أن يشارك بموهبته ولا يتفاخر بموهبته ولا عمله.

*****

نحن نشارك في نشر المساواة في المجتمع عندما نساهم في تبصير الناس بحقوقها ومساعدتهم علي المطالبة بحقوقهم وتمكينهم من حقوقهم، وخاصة الفئات الضعيفة والمنسية، فالله يوصينا " .. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ.(اشعياء١٧:١) فمحبة القريب هي تضامن معهم في مواجهة الظلم والمطالبة بحقوقهم. ويمكننا أن نفعل ذلك علي المستوي الشخصي ومع حالات فردية أو علي المستوي العام بدعم جمعيات حقوق الإنسان سواء بالمشاركة فيها أو، بالتدعيم المادي والمعنوي.

يحتاج المجتمع إلي قوانين تحمي الحقوق، ولذلك من واجبنا المشاركة في وضع قوانين عادلة، وتعديل القوانين التي تنتقص من الحقوق، وإلغاء القوانين الجائرة، والمساهمة في وضع قوانين للأمور التي لم تجد لها قوانين تنظمها وتحميها، وكل ذلك يتحقق عندما نساهم في تكوين رأي عام يمهد لسن القوانين، وعندما نختار بعناية نواب ممثلين لنا قادرين علي سن قوانين عادلة.




كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ،
وَأنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ
لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ.
١ يوحنا ٣ : ١٥

التسامح في محبة الآخر

كيف أحب القريب ومصالحنا مختلفة وقد تكون أحيانا متعارضة، وكيف أحب الغريب وهو مختلف عني وغامض علي، وكيف أحب عدوي وقد تصادم معي في الفكر والمصالح؟!

الاختلاف والتعارض لا يمنع الحب، ونحن نستطيع أن نحب إن قللنا من درجة رفضنا لهؤلاء وتعلمنا التسامح معهم، فالتسامح وجه من أوجه محبة الآخر. إن التشدد إلي حد التعصب يفسد علاقتنا بالآخر، كما أن التساهل إلي حد التهاون يفسد علاقتنا بالآخر كذلك. نحتاج في علاقتنا بالآخر أن نتعلم التسامح لنتوافق معهم، وأن نساعد في جعل مجتمعنا مجتمعا متسامحا ليسهل قيام المحبة بين أفراده ويصبح مجتمعا متفاعلا.. فكيف تكون شخصاً متسامحاً؟

أولا: افهم معاناة التسامح

من أصعب الأمور التي تواجهنا في علاقتنا الاجتماعية هي كيفية حفاظنا علي تميزنا الشخصي وفي الوقت نفسه توافقنا مع الآخرين، ودائما هناك اختلافات بيننا سواء كانت اختلافات ثقافية، أو عقائدية، أو تعارض في المصالح. ومادام هناك اختلافات فلابد أن تكون هناك مقارنات، وقد ينشأ عنها صراعات وصدامات.

كل واحد يريد أن يحيا حياته كما يفهمها، وكما يعتقد فيها، ويريد أن يحقق أهدافه ومصالحة فيها كما يريد، وكل فرد يود أن يحيا مفتخرا بأصله وجنسه، ولكن ولا واحد استطاع ذلك!!

فهناك دائما من يحاولون أن يشعروه بالجهل والنقص، ويشككوه فيما يعتقد، ويتصارعون معه علي المصالح ويحقرون من أصله ومن جنسه. ما من أحد إلا وعاني من ذلك بدرجات متفاوتة، فهو

يعاني لأنه هو نفسه يقارن نفسه بهم ويحاول أن يفهم اختلافه عنهم، ويكون رأياً وحكماً علي اختلاف الآخر، وكذلك يعاني لأن الآخرون ينتقدوه، ولهم رأيهم فيه وحكمهم عليه.

التسامح هو أن نتعايش مع تلك الحالة وأن نقبل الاختلاف والمقارنة والتنافس، دون أن نحول الأمر إلي التحرش بالآخر بالنقد والتجريح، ولا بالسخرية من آرائه ومن معتقداته ولا من جنسه ومن تصرفاته، ولا نتمادى في الأمر ونتحول للعدوانية فنحاول أن نعوق نشاطه فنشكك في عمله وأهدافه، ونهبط من عزيمته بنقدنا المستمر، أو نعوقه بإثارة المشكلات حوله ونضع العقبات في طريقه، وإن زاد الحقد فينا نعمل علي اضطهاده ونحاول التخلص منه وإبعاده وإخراجه من حياتنا.

من المؤسف أن تاريخ البشرية والخبرات اليومية تشهد علي انتشار هذه الأمور بيننا سواء كانت في بيوتنا أو كنائسنا أو أعمالنا أو مجتمعنا.

محبة الآخر وقبول اختلافه تبدأ عندما نعرف كيف نتحكم في أنفسنا كلما قارننا أنفسنا بالآخرين أو تنافسنا معهم، ولا نحول ذلك إلي التحرش بهم أو معاداتهم واضطهادهم.

وبسبب نفس هذه الأمور فإن الآخرين أيضا يخطئون في حقنا، ويجعلوننا نعاني في حياتنا، فما من أحد لم يعاني من تصرفات الناس المختلفين عنه والمتنافسين معه، فماذا نفعل؟

لابد أن نتعلم التسامح، فالتسامح قبول لضعف الآخر، واستعداد دائما لمسامحته علي أخطائه، فالمحبة هي القوة التي تجعلنا نحتمل ضعف الآخر كما يقول الكتاب " فَيَجِبُ عَلَيْنَا نَحْنُ الأَقْوِيَاءَ أَنْ نَحْتَمِلَ أَضْعَافَ الضُّعَفَاءِ وَلاَ نُرْضِيَ أَنْفُسَنَا. (رومية ١٥ : ١).

أننا نري أخطاء الناس كل يوم ولابد من التعايش معهم بأخطائهم، ونحتمل تصرفاتهم. السيد المسيح قبل الخطاة، وتعايش معهم، بل قيل عنه أنه مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاة[١٥]. لقد قبلهم و لم يقبل خطيئتهم، أحبهم بضعفهم وقبلهم بضعفهم وبعد ذلك دعاهم للتوبة. كما دعانا أن نتسامح بلا حدود، فهكذا علم بطرس" حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بُطْرُسُ وَقَالَ: «يَا رَبُّ كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ؟ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لاَ أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ.(متى١٨: ٢١-٢٢). فالتسامح مبدأ مهم في محبة الآخر، ولكنه يحتاج إلي حكمة كبيرة في تطبيقه ليحقق المحبة.

---

[١٥] متى ١١ : ١٩

التسامح هو أن أقبل الآخر بأخطائه مادامت لا تعوق قناعتي الإيمانية ولا ممارستي الحياتية، مثل الوالدان اللذان يتسامحان مع إزعاج أطفالهم، والأصدقاء الذين يتسامحون مع ضعف أصدقائهم، والسلطة التي تتسامح مع المعارضة، والأغلبية حينما تتسامح مع الأقلية.

النجاح في التسامح نجاح في تحقيق المحبة في أرض الواقع. النجاح في التسامح يحتاج أن نتفهم مشكلاتنا في التعامل مع اختلاف الآخر وضعفه، ويحتاج منا حكمة في التصرف معهم.

إن كانت معتقدات الآخر وأخلاقه ومصالحة ولا تتعارض مع عقيدتي ولا أخلاقي ولا مصالحي فلا توجد مشكلة، ولكن المشاكل تبدأ عندما نتعارض مع الآخر في المعتقدات والأخلاق والمصالح.

المشكلة الأولي: اختلاف المعتقدات

في بعض الأحيان يتحرش بى أحد يعتقد أني اقل منه بسب لوني أو جنسي أو ديني أو يعاديني ويبدأ في اضطهادي ومقاومتي ويحاول الإخلال بحقوقي بسبب هذه الأمور، فماذا ينبغي أن افعل؟

وماذا لو اعتقدت أنا أن الآخر أقل شأنا وأقل حقا، وابدأ في التحرش به ومعاداته ومحاولة سلب حقوقه؟!

التسامح أن لا نتعرض لأحد بسبب لونه أو جنسه أو معتقداته، وهذا يتطلب منا التحكم في مشاعرنا ومقاومة ميلنا لرفض الغرباء، وكراهية ما نجهله، وهذا يحتاج إلي جهاد مع النفس لننقيها من الكراهية والحقد الذي يجعلنا في موقف عداء مع بعض الناس، وإن كان الجهاد مع النفس صعب ويحتاج إلي بعض الوقت، فلنعزز جهادنا بأفكار إيجابية ونفكر دائما كيف أن التعاون والتعايش معه يجلبان فائدة أكبر لنا من عداوته، وإن كان هذا السبب نفعي إلا أنه يصلح في تهدئة المشاعر ويساعد علي التحكم في النفس إلي أن نرقي إنسانيا وروحيا ونتعلم كيف نحس من معتقداتنا والخاصة بالاختلاف مع الآخر. ولابد من ملاحظة أن الميل للتفكير العنصري والسلوك العنصري هو ميل موجود في كل واحد فينا، وتغذيه أنانيتنا القاتلة، ويحتاج إلي تحكم وجهاد حتى نتحضر ونرتقي إنسانيا وفكريا وروحيا وننمو حقا في المحبة.

قد تكون هذه الأمور أهدأ فينا ولكن ماذا نفعل عندما نجد البعض من الشخصيات العنصرية ترفضنا وتقاومنا بسبب اختلافنا عنهم في اللون أو الجنس أو الدين، وتحاول التحقير من شأننا ومن

معتقداتنا، وتحاول أن تنتقص من حقوقنا وتضيق علينا حياتنا وتحاول استبعادنا واضطهادنا، فكيف نتسامح معهم؟!

لابد أولا أن نعي أن من يفعل ذلك هو واقع تحت تأثير معتقد كاره للآخر ولا يعرف أن يبرره وليس لديه منطق عقلي ولا دافع أخلاقي لأفعاله، ولذلك:

إن كان مسالما ولا يعبر عما يبطنه في قلبه من نحونا فلنتعاون معه ونتودد إليه، فالمصالح المشتركة والمشاركة الوجدانية تهدئ من مشاعر الكراهية والرفض، وتمنعه من التحول يوما ما نحو العدوان، ولكن إن كان دخل في مرحلة التحرش والمناوشة بالتهكم والسخرية ومحاولة الاستدراج إلي الصراع والعراك فلنستخدم معه سياسة الخد الآخر كما علمنا الرب : لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً. (متى ٥ : ٣٩)، فمن لطمك علي خدك الأيمن أي تصادم بك بسبب أمر جيد فيك وليس بسبب شرا فيك، أي بسبب اختلافك عنه في أخلاقك أو دينك، فلا تواجهه واستخدم معه سياسة المقاومة السلبية، فالمقاومة السلبية تعطيه فرصة أن تهدأ مشاعره ويراجع نفسه، بالمحبة ساعده أن يفرغ مشاعر الحقد والغل في نفسه ولا تزيد من اشتعالها لديه، وهنا يكون للتسامح معني إيجابيا أنك تنتصر علي الشر بالخير بحسب المبدأ الكتابي "لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ."(رومية ١٢ : ٢١)، والشر الذي يقصده هنا هي مشاعر الكراهية الموجودة في قلب قريبك، والخير هو احتمالك لمشاعر قريبك السلبية ومساعدته علي تفريغها والتخلص منها.

أما إذا تحول الآخر نحو العدوان وصارت تصرفاته تحاول أن تعوق حياتك وتؤذيك لا لشر فيك سوى أنك مختلف عنه، فالتسامح يصير تهاون أن تنازلت عن حقوقك، فلابد أن من يلطمك أن تواجهه وتقول له «إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيّاً فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ وَإِنْ حَسَناً فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟» (يوحنا١٨: ٢٣)، فلا تهاون مع من يحاول السيطرة علي بسبب لوني أو جنسي أو أصلي ويستغلني، ولا أن يفرض علي أحد عقيدته وآراءه. فإن كنا بالمحبة نحتمل مشاعر الآخر الكاره لنا ونساعده علي تهدئه مشاعره وتحويله إلي المحبة، فهكذا بالمحبة أيضا نساعد علي خلاص الأشخاص الذين ملأ الشر قلوبهم بمقاومة الشر فيهم.. لا بمقاومتهم، وهنا تصير محبة الأعداء محبة إيجابية، محبة تساعدهم علي عدم التمادي في الشر لئلا يحطمهم شرهم ويحطمنا ويحطم كثيرين معهم، هنا نقاوم شرهم بكل قوتنا وبكل حكمة وصبر، حتى يدركوا ما هو الشر الذي يصنعوه ويبدعوا طريق التوبة والتغيير.

المشكلة الثانية: اختلاف القيم والأخلاق

في مواقف كثيرة نختلف عن الآخرين أخلاقيا، فقيمنا هي قناعتنا للتصرف الحسن وطريقنا للخير والصلاح كما نفهمه، ولكن للآخرين كذلك قيم مختلفة وقناعات مختلفة وتصرفات مختلفة وسعي لسعادة مختلفة، وكثيرا ما نترعج من تصرفات الناس ولا نفهم قناعتهم وقيمهم ولا نتفق معهم عليها، وأحيانا أخري تصطدم أخلاقنا بأخلاقهم وتصرفاقم تعوقنا عن السلوك بما نقتنع ونحب، وهم يشكلون ضغوطاً علينا لنسلك مثلهم أو نتعذب بسلوكنا وسطهم، ولا ننسي قصة لوط البار الذي كان يتعذب كل يوم بسلوك أهل سدوم وعمورة، فهو له فهمه الخاص لسلوكه الجنسي وهم لهم فهمهم وسلوكهم، هم شاذين بالنسبة له ولقناعاته ومبادئه الروحية، وهو غريب عليهم ويقاوموه ويحاولون كل يوم أن يفرضوا سلوكهم عليه، ولابد أن نلاحظ في دلك الزمان لم يكن الناس تفهم لماذا هدا السلوك شاذ؟ وما هي أضراره؟ ولم تكن الوصايا العشر أعطيت للناس ولا يوجد الناموس الذي يجرم أفعالهم، فالأمر كله كان يعتمد علي الحس الأخلاقي والضمير فقط.

في الواقع العملي أخلاقنا تختلف، ولكن كيف نتعامل مع الناس مع اختلاف أخلاقهم وكيف نتعايش معهم ونحن نري أن تصرفاقم خاطئة وقيمهم فاسدة بحسب مقاييسنا الأخلاقية وقيمنا؟ فكيف نقبلهم ونتعايش معهم؟

التسامح أن لا ندين الآخر، عدم الإدانة تعني أن لا نحاكم الآخرين ونصدر عليهم أحكام ونصنفهم هذا سارق، وهذا فاسق، وهذا فاسد، ونبدأ في التعامل معهم بهذه الصفات، فنجد أنفسنا نتوجس منهم فنتجنبهم أو نتعالى عليهم بأحكامنا التي حقرت من شأنهم، أو نحاول أن نواجههم بشرهم كما حكمنا عليهم، أو نحاول أن نعاقبهم أو نشوه صورقم عند المتعاملين معهم ونحدرهم منهم، وهكذا نجد أنفسنا ننشر الفرقة ونزيد التباعد بين الناس مستندين لسبب أخلاقي قوي، لذلك كان تحذير السيد المسيح لا تدينوا تحذير قاطعا وصارما، فروح الإدانة هي روح فرقة وضد محبة الآخر.

التسامح أن اقبل الآخر وافصل بين خطئه وشخصه، لا أرضي بخطئه ولا أرفض شخصه، فهناك جوانب أخري في شخصيته جيدة ويمكن أن أتعامل معه من خلالها. ولكن مع أخطائه لابد أن تكون هناك سياسة واضحة لنا في التعامل معها.

قبول الآخر ليس معناها مشاركته في أخطائه، ولابد من تذكر نصيحة بولس لتلميذه تيموثاوس " لاَ تَشْتَرِكْ فِي خَطَايَا الآخَرِينَ. احْفَظْ نَفْسَكَ طَاهِراً." (١تيموثاوس ٥: ٢٢)، ولكن هل من المحبة أن نترك الآخر مع شره ولا نحاول أن نساعده؟!

التسامح أن نساعد الآخر بطريقة غير متسلطة، بدون محاكمته ومحاولة إدانته، وبدون فرض أخلاقنا عليه بالأمر ونهيه عن الشر علي طريقة " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، ولكن بطريقة النور الذي يبدد الظلمة، نجعل الناس تري أعمالنا الحسنة، وأعمالنا هذه أما أن تجعلهم يرجعون أنفسهم، وتبكت ضمائرهم، أو تدينهم.

هذا عن تصرفات الناس السيئة والتي تضايقنا، ولكن إن كانت تصرفاتهم مؤذية - تؤذينا أو تؤذي الآخرين، فهل التسامح معهم يتم بنفس هذه الطريقة؟

لا . هنا التسامح قد يصير تهاوناً في الحقوق، ولكن التسامح هنا ألا انتقم ولا أبادل الشر بشر، ولا العنف بعنف مضاد، ولكن بالمطالبة بالحقوق بطرق قانونية متحضرة ولا نكف عن المطالبة حتى نأخذ حقوقنا، وندافع عن حقوق الآخرين ونساعدهم علي استرداد حقوقهم.

المشكلة الثالثة : اختلاف القوى والمصالح

عندما نكون أقوي من الآخر ماديا أو علميا أو نفوذا وسلطة فنحاول ممارسة السلطة عليه ونطلق العنان لاستعراض قوتنا عليه، وكذلك عندما يكون الآخر أقوي لنفس الأسباب ويبدأ ممارسة السلطة علينا، هنا تبدأ تظهر بعض المشاكل من إساءة استغلال السلطة والنفوذ.

التسامح أن لا أفرض رأيي وأخلاقي بسبب قوتي علي من هم أضعف مني ولا أن استغل ضعف الآخر وإذلاله واستعباده وفرض قناعاتي عليه محاولا تحويله إلي تابع لي فكريا أو أخلاقيا أو دينيا.

التسامح أن لا استغل نفوذي في التأثير عليه ولكن أجعل شخصيتي هي المؤثرة فيه. التأثير علي الآخر بالنفوذ هو نوع من الإرهاب، التأثير الحقيقي يكون بالحوار والإقناع، بالقدوة والإخلاص للمبادئ والتمسك بالعقائد، وبالصدق والبساطة في المعاملة.

الله لم يفرض علينا الإيمان به ولا طاعته ولكنه دعانا بالحب كي نثق فيه، ونؤمن به، ونطيع وصاياه. وإن كان لا يصح القهر في الحب كذلك التأثير في الآخرين لا يكون بالنفوذ والسلطة.

التسامح أن لا استغل أحد ولا أظلمه عندما تتاح لي الفرصة وأكون في موضع قوة أو يكون الآخر في موضع احتياج، والاحتياج ضعف فلا ينبغي استغلال هذه المواقف في تحقيق مكاسب علي حساب ضعف الآخر، فكثيرا ما حذرنا الكتاب المقدس من الغش والاستغلال والظلم وخاصة حينما يمارس علي الضعفاء من العبيد والأرامل والأيتام، وكل من يسألنا وكل من يطلب منا العون والمساعدة.

وماذا عن الذين يحاولون أن يصنعوا معنا ذلك من أصحاب السلطة والنفوذ والمال؟

إن كان شخص استعراضي، يستعرض نفسه ليفوز بالإعجاب، فلا مانع من مدحه لا نفاقه، نمدح فيه صفاته الحسنة، ونعبر عن تقديرنا لعمله وشعورنا بأهميته وتكريمه علي أفعاله. فالتسامح هنا يكون إعطاؤه حقه في الكرامة كما ينصح بولس الرسول" فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمُ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَام (رومية ١٣ : ٧) أما إن كان يسيئ استغلال موقعه ونفوذه ويحاول الإساءة فلابد من مقاومته وإلا كان الأمر تهاوناً، ولكن التسامح يظهر في كيفية مقاومة الاستغلال وسوء استخدام النفوذ، وإن كان الله نفسه يقاوم المستكبرين فنحن كذلك لابد أن نقاوم المستكبر الجبار والذي يحاول إيذاءنا، ولكن كيف تكون المقاومة داخل دائرة المحبة؟

عندما تقاوم من يستغلك أو يسئ إليك لا تجعل الغضب يشعل فيك روح الانتقام والعنف وتذكر أن "غَضَبَ الإِنْسَانِ لاَ يَصْنَعُ بِرَّ اللَّهِ." (يعقوب١: ٢٠)، ولكن تذكر أن المقاومة هي أن تحمي نفسك ولا تجعل شر الآخر يسري فيك، ولا ينتقص من حقوقك وكرامتك.

المقاومة في المحبة وخاصة محبة الأعداء لها أشكالها، فهي تبدأ بمقاومة سلمية لا تعرف العنف، وتتصاعد لتكون مواجهة قانونية، وقد تتحول إلي صراع سياسي.

أن المقاومة لمنع الأذية لها بعدان : بعد داخلي روحي وبعد خارجي نشط، بعد داخلي أن لا تجعل شر الناس يفقدك سلامك ولا استقرارك النفسي ولا هدوءك الروحي، فمصدر القوة هو في نفوسنا، وينصحنا الكتاب المقدس: "بِالْهُدُوءِ وَالطُّمَأْنِينَةِ تَكُونُ قُوَّتُكُمْ" (اشعياء ٣٠ : ١٥)، والبعد الخارجي يبدأ في الرفض والاحتجاج علي ممارسات الظلم أو الاستغلال، "وَلاَ تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ **وَبِّخُوهَا**. (افسس ٥ : ١١)، بولس نفسه احتج عندما حاول اليهود

إلصاق تهم به للتخلص منه " إِذْ كَانَ هُوَ يَحْتَجُّ: «أَنِّي مَا أَخْطَأْتُ بِشَيْءٍ لاَ إِلَى نَامُوسِ الْيَهُودِ وَلاَ إِلَى الْهَيْكَلِ وَلاَ إِلَى قَيْصَرَ». (أعمال ٢٥ : ٨). واجه ودافع عن نفسك وطالب بحقك، والاحتجاج والتعبير عن الرفض له أوجه وأشكال عديدة، وقد يكون بالتظاهر أو بكتابة الشكاوى لتوصيل سبب الاعتراض موضحا أسباب قوية لرفضك للظلم وكيف أن الأمر هو ظالم وما هي أوجه الظلم فيه، أو بالاعتراض بالاعتصام والامتناع عن المشاركة والعمل، وإذا لم يجدي الأمر فلابد من اللجوء للطرق القانونية للمطالبة بالحقوق، فبولس حينما لم يجدي احتجاجه ووجد أن هناك مصالح بين اليهود والوالي سوف تعوق استرداد حقه طالب بحقه القانوني ورفع الأمر إلي قيصر – أعلي سلطة قضائية في ذلك الوقت بحسب القانون الروماني. وإن لم تستطع أن تنال حقك وحدك ولا تقدر علي المواجهة الفردية فتعلم المقاومة السياسية، أن تجمع معك من يساندونك لتطالب بحقك، تجمع معك من يؤمن بعدالة قضيتك ويستنكر الظلم الواقع عليك.

التسامح أن تظل في مقاومتك للظلم والاستغلال مسالما لا عنيفا، السيد المسيح واجه الظلم واستخدام كل طرق المقاومة والمواجهة والصمت ورفض تماما استخدام السيف في المقاومة، وحذر تلميذه الذي أراد الضرب بالسيف دفاعا عنه "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «رُدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ! (متى ٢٦ : ٥٢)، فالسيف يشعل دائرة الانتقام ويوسع دائرته ويجعل ناره لا تطفئ.

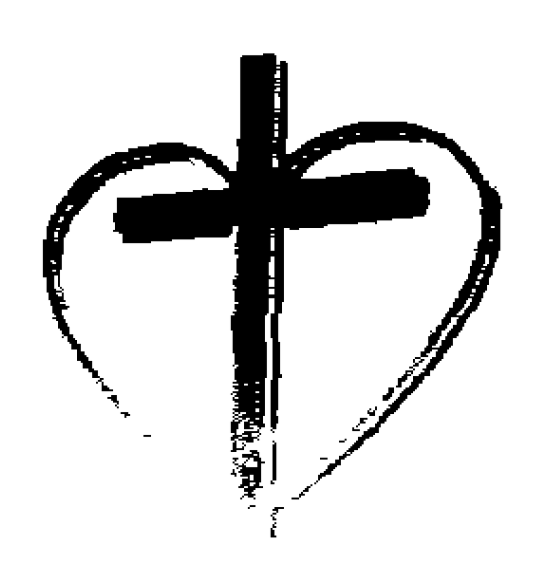
التسامح أن لا تتحول إلي الحقد وكراهية ظالميك الذين لا تستطيع مقاومتهم، فلعازر المسكين كوفئ لا لفقره ولكن لتسامحه لأنه لم يحقد علي الغني و لم يدينه و لم يلعنه كل يوم لأنه لم يمد له يد المساعدة، ولأنه لم يتذلل للغني من أجل مساعدته. التسامح مع الأقوياء ليس بالتمرد ولا بالتذلل ولكن بالصبر والاحتمال علي الظلم، هناك قوانين ظالمة ومواقف مجحفة تفرض علينا ولا طاقة لنا الآن لتغييرها فعلينا تحملها فلا نحطم أنفسنا ونفقد أبديتنا.

المشكلة الرابعة: اختلاف الثقافات

كل شخص له اهتماماته الثقافية وله وعيه ببعض القضايا وله وجهة نظره فيها، ونحن نختلف معه في مدي أهمية هذه القضايا، وكذلك بوجهة نظرنا إليها. فالقضايا التي يهتم بها مجتمع ويناقشها باستمرار ويحاول أن يصل فيها إلي مواقف وقوانين واتجاهات عامة وأعراف خاصة، قد ننظر لها

باستغراب ونشعر بأنه اهتمام مبالغ فيه وقد نستغرب من وجهات نظرهم فيها والتي لا تتفق مع وجهات نظرنا، الاهتمامات الثقافية للطبقات العليا للمجتمع مختلفة عن اهتمامات الطبقات المتوسطة، والمجتمعات الشرقية اهتماماتها الثقافية مختلفة عن المجتمعات الغربية، كذلك الاهتمامات الثقافية للمتدينين مختلفة عن غير المتدينين، كل واحد مختلف في اهتماماته الثقافية عن الآخر حتى داخل البيت الواحد، فماذا نفعل عندما نطرح قضايانا ونجد أن الاهتمام بها قليل ولا يلتفت إليها أحد أو عندما نري اهتمام بعض الناس بأمور ليست من أولوياتنا ونعتبرها تافهة وليست ذات مغزي وأهمية.. المشكلة تبدأ عندما نحقر من اهتمامات الآخر الثقافية أو قضاياه أو من وجهات نظرة أو آراءه، أو اشعر بتحقير الآخر لوجهة نظري ومواضيع اهتماماتي، أو السخرية منها.

التسامح قبول للتعددية، تعدد الاهتمامات، تعدد وجهات النظر، فلا نتشاجر علي أولوية الاهتمامات، ولكن نضع في الاعتبار أن ما لا نهتم به اليوم سوف يصير اهتماماً لنا غدا، فإن كان هناك آخر يهتم بالأمر ويدرسه فهذا أمر مفيد لنا غدا. كذلك وجهات النظر المختلفة هي مكملة لوجهة نظري وهي زاويا أخري للأمر، فيمكن أن استفيد منها لا استاء منها. فلا توجد وجهة نظر صحيحة وأخري خاطئة، فلنتعلم أن هناك وجهة نظر وجيهة قوية الحجة والمنطق وأخري لها منطق أخر، وعادة وجهات النظر المختلفة تكمل بعضها البعض، فوجهة النظر المنطقية، تحتاج وجهة نظر إنسانية، كما تحتاج وجهة نظر عملية وهكذا فكل وجهات النظر هي مكملة لبعضها البعض.



التسامح ليس قضية فضيلة تزيدنا برا
ولا موقف أخلاقي للحفاظ علي شخصيتنا ومبادئنا
ولكنه قضية تعايش،
والتعايش وجه من أوجه المحبة.

ثانيا: ضع حدود للتسامح

يحتاج التسامح مع الناس وتحمل أخطاءهم إلي حكمة وحذر لئلا نجد أنفسنا نتهاون في حقوقنا وحقوق من معنا، ولئلا نجد أنفسنا نفقد التسامح ونتشدد ونتعصب عند محاولاتنا لعلاج أخطاء الآخرين. فما الذي يمنعنا من الوقوع في التهاون ولا نشطح فنتعصب؟ وكيف نحافظ علي قدرتنا علي التعايش وتحقيق المحبة؟

كما رأينا أن التسامح له أوجه عديدة ويطبق في أحوال مختلفة، ولكل ظرف يكون التسامح فيه مختلف، فما الذي يمنعنا من أن نخطئ في اختيار طريقة التسامح المناسبة للظرف؟ إن الاحتفاظ بحالة التسامح وممارسته حتى نحقق المحبة والتعايش هو أمر صعب يحتاج إلي جهد وهو ممارسة للحياة لابد أن نجيدها ونستمر فيها مادمنا نحيا في هذه الحياة. قد نحسن في طريقة تسامحنا وقد نفشل في بعض الأوقات في تسامحنا ونراجع أنفسنا مرات ومرات حتى نحسن من قدرتنا علي التسامح، فالتسامح قدرة تتحسن ونزداد فيها مهارة مع الوقت. ولكن لكي لا نفقد قدرتنا علي التسامح ولكي لا تكثر أخطاؤنا في تسامحنا، فهناك حدود لابد أن نضعها للتسامح، تجاوزها يجعلنا متهاونين وغير متسامحين، فلا تسامح في القانون ولا تسامح مع الإرهاب.

لا تسامح في القانون، التنازل عن الحقوق هو تهاون وليس تسامح، التسامح في القانون يهيئ لانتشار الظلم، والظلم يحطم كل ربط جيدة بين الناس، ويذهب بالمحبة بعيدا عنهم.

لا تسامح مع الإرهاب: لماذا يحكم في ضميري من آخر؟ لا تسامح مع من يحاول أن يفتش في الضمائر، ولا مع من يحاول أن يغير الضمائر.

ضمير الإنسان هو قدس أقداسه ولا يسمح لأحد بدخوله، وفيه يكمن تفرد الإنسان وتميزه.

لا تسامح مع من يحاول أن يجبرني علي رأي أو معتقد أو وضع.. قد يكون الآخر مقتنعا برأي إلي حد اليقين فهذا شأنه ولكن يقينه ليس مبررا أن يفرض رأيه ويلزم كل أحد أن يكون مقتنعا مثله.

أننا نتبادل الآراء ونبشر بالمعتقدات ونتبادل المصالح، ولكن لا نتسامح مع فرض رأي بأي أسلوب غير الإقناع، ولا فرض معتقد بأي أسلوب عير الترغيب، ولا فرض مصلحة بأي أسلوب غير المنفعة.

ثالثاً: ساهم في تأسيس مجتمع متسامح

إن تحقيق التسامح في علاقاتك الفردية مع أفراد مجتمعك هو تحقيق لمحبة القريب، ولكن الاستمرار في التسامح في مجتمع غير متسامح ينتشر فيه التعصب والتمييز والظلم والقهر أمر صعب ويزيد من صعوبة تنفيذ وصية محبة الآخر، لذلك نحن نحتاج أن نعمل علي انتشار المحبة والتسامح الذي هو وجه من أوجهها في المجتمع ونعمق التسامح بين الناس، ولابد أن نبشر بالمحبة وندعو إلي التسامح مع تفهم عميق لكيفية تحقيق التسامح في المجتمع، وأن ننجح في تحقيق مبادئه في المجتمعات الصغيرة وفي الكنيسة ليكون نموذجا للوطن وللمجتمعات الكبيرة.

إن العلاقات التي تدور في المجتمع بين قوي المجتمع المختلفة تؤثر حتما علي أفراده في حياتهم والأخطر في شخصيتهم، فإن كانت علاقة الأغلبية بالأقلية غير سوية، فإنها تفرز كماً هائلاً من مشاكل التعصب والتمييز والظلم وتجعل أفراد هذا المجتمع يميلون أكثر إلي العنف والتعصب، وهكذا إن كانت علاقة السلطة بالشعب والمعارضة غير منضبطة، فإنها تفرز فساد وظلم وتكثر من الانتهازيين والمتسلطين ويكثر الاستغلال والصراع بين الناس. لذلك تحقيق محبة الآخر يحتاج أن نساهم في تأسيس مجتمعاً متسامحاً، مجتمع تسوده مبادئ المحبة في معاملاته، مجتمع تتعدد فيه القوي ولكنه يعرف كيف تتفاعل هذه القوى المختلفة لتثري الحياة، ولا تتصارع لتضعف بعضها البعض.
مجتمع يتفاعل باختلاف أطيافه وأفراده ليتطور وينهض، ويقل فيه الظلم والعنف بين أفراده وقواه.

نحن نساهم في تأسيس هذا المجتمع المتسامح بالفكر حينما ننشر ثقافة تساعد علي تغيير فكر الناس واستنارة أذهانهم بقضايا التسامح ومناهضة التمييز، وكذلك عندما نساهم بطريقة إيجابية في وضع قوانين أكثر عدالة تراعي قضايا التسامح.

إن قضايا التمييز والظلم تزداد حدة كلما كان فارق القوة بين المختلفين كبيراً، وهذا ما يحدث في المجتمعات فحينما يتجمع الناس ويصير في المجتمع أغلبية وأقلية تكثر بينهم مشاكل التمييز والصراع بين طغيان الأغلبية وحقوق الأقلية، وكذلك مشاكل بين السلطات الحاكمة وبين المعارضة وتكثر مشاكل الهيمنة والدكتاتورية ومشاكل الحق في التعبير والاعتراض والتغيير.

هذه المشاكل تؤثر علينا بشكل مباشر في حياتنا الاجتماعية، وتزيد من حساسيتنا لكل تمييز وقهر وظلم، وتضعف من قدرتنا علي التسامح والتعامل بمحبة مع المختلفين ومع أخطائهم. لذلك

لابد أن يكون لنا دور واضح وإيجابي في علاج مشاكل مجتمعنا ليكون مجتمعاً به قدر جيد من التسامح يساعدنا علي محبة الآخر والتسامح معه.

التسامح بين الأغلبية والأقلية :

ما من جماعة من البشر تتجمع إلا وتجدها تتكتل وتتحول إلي أغلبية وأقلية، وما من مجتمع إلا ويوجد به أغلبية وأقلية، والأقليات قد تكون قومية مثل القوميات التي تعيش في بعض الدول مثل الأكراد والأرمن، هم شعوب قليلة العدد نسبيا ولكنهم لهم لغتهم وحضارتهم وأديانهم وثقافتهم. وتقدر الدراسات وجود ٢٢٣ جماعة أثنية[١٦] ــ أقلية كبيرة في العالم مجموع أفرادها يقرب من ٩٠٠ مليون نسمة، وتخضع للتمييز في المعاملة والتصنيف الدولي بأسلوب أو بآخر. ولا تشمل هذه الدراسات الأقليات والجماعات الأثينية المتوسطة والصغيرة في عقد التسعينات[١٧]. وتوجد أقليات عرقية ودينية ومذهبية ولغوية وثقافية وسياسية واجتماعية. وكلها تعاني من مشاكل في تعاملها مع الأغلبية في تلك المجتمعات.

ولأن الأغلبية هي أغلبية عددية ولها قوتها ونفوذها فهي تريد أن تحافظ علي قوتها وتمارس نفوذها وسلطتها علي الأقلية. الأغلبية لها مشاكلها مع التسامح، وإن لم تعي هذه المشاكل وتحاول السيطرة عليها فهي تسير نحو الطغيان.

من مشكلات الأغلبية الحفاظ علي كيانها وقوتها العددية ولذلك تخاف من الاختلاف لئلا يفتت الجماعة وهي تحاول الحفاظ علي الأسباب التي جمعت هؤلاء ليصيروا أغلبية، فلا تتسامح مع أسباب تجمعها، فإن كان الدين مثلا سبب تجمعهم وجعلهم أغلبية فهي لا تتسامح مع الخروج عن الدين ولا عن العقيدة، وكل رأي مخالف لعقيدة الأغلبية لا تتساهل معه ولا تتسامح معه، فهناك داخل الجماعات الكبيرة نوع من التشدد يسود قادتها للحفاظ علي تجمعهم.

كذلك يوجد لديهم خوف من الانفتاح علي الأقليات المختلفة لئلا يفسدوا عقائد الأغلبية، لذلك كان التوجس من الأقليات هاجساً مسيطراً عليهم، ولذا يحاولون عزلهم وممارسة الاضطهاد ضدهم وتخوفهم، ولا يعرفون كيفية التعايش مع خصوصية هذه الأقليات.

---

[١٦] المفهوم السياسي المعاصر لكلمة أثني يشمل الانتماءات المحددة باللغة أو العرق أو الدين أو الطائفة أو الطبقة أو القبيلة وغيرها

[١٧] الموسوعة العربية ـ الأقليات /http://www.arab-ency.com

تري الأغلبية أن من حقها أن تحكم وأن تفرض رؤيتها لأسس الحكم والمصالح والحياة، علي المجتمع كله وعلي الأقلية، وتبدأ في تحديد حقوق الأقليات وتفرضها بالقانون عليهم وتستغل الديمقراطية في فرض تواجهها حيث أهم أكثرية عددية. وكذلك تري أن من حقها عدم مشاركتهم في الحكم ولا المشاركة في المواقع القيادية والمناصب السيادية.

ولأن الأقلية هي أقلية عددية وتعرف ضعفها، فهي تريد الحفاظ علي بقائها وعلي هويتها، فهي أيضا لها مشاكلها مع التسامح، فهي تصارع من أجل تثبيت حقوقها وهويتها فإن لم تعي مسيرة صراعها فهي تتجه نحو الانغلاق والعزلة.

فمن مشكلات الأقلية شعورها المستمر بالتهديد من قبل الأغلبية، وحساسيتها الزائدة من نشاط الأغلبية وخوفها أن يكون نشاطها يسير في اتجاه تقييد حريتها وانتقاص حقوقها، فهي وإن كانت تعاني من اضطهاد حقيقي فهي كذلك تعاني من عقدة الاضطهاد.

من مشكلات الأقلية سعيها الدءوب لإثبات الذات ثقافيا، ومهنيا، وهذا يجعلها في حالة من التوتر المستمر وخاصة مع كل منافسة ويجعلها حساسة لكل انتقاد من الأغلبية.

*****

أما مشكلات التعايش بين الأغلبية والأقلية فهي كثيرة، فالأغلبية تمارس ضغوطا علي الأقلية تحاول فرض أفكارها وأيدلوجيتها عليها، وتمارس التهميش والاحتقار والاستبعاد على مستوى التعليم والعمل والحقوق السياسية والثقافية، وتتهمها بالخيانة، وقابليتها للتعاون مع الخارج ضد الداخل، وتتهمها بالانتهازية والنفاق والنفعية وتفضيل مصلحة الطائفة على مصلحة الوطن. والأقلية تحارب من أجل حقوقها وممارسة معتقداتها وإثبات خصوصيتها وحقها في المشاركة في الحكم.

*****

الكنيسة وإن كانت جسد روحي للمسيح فإنها في الوقت نفسه مجتمع من بشر، ويتكون داخلها تكتلات من أغلبية وأقلية، فإن لم تنتبه لمشكلات الأغلبية والأقلية فسوف تجد أن التسامح يهرب منها ويحل مكانه التعصب، وتفقد المحبة التي هي أساس تماسكها وسر إظهار المسيح فيها.

*****

إن التعايش بين الأغلبية والأقلية أمر صعب ويحتاج إلي فهم مبادئ أساسية منها :

- أرض الوطن ليست ملكا للأغلبية تتصدق فيه على الأقلية بحقوق ما؛ إنَّه ملكا للجميع.. لا كبير فيه ولا صغير ..كلّ يأخذ حقه بالعدل والمساواة.
- مبدأ حكم الأغلبية لابد أن يتلازم مع مبدأ حماية حقوق الأقلية.
- الأقلّيات بحاجة إلى ضمان أن الحكومة ستحمي حقوقها ومصالحها المشروعة وهويتها الذاتية. وبتحقيق ذلك فقط، يصبح من الممكن للأقليات المشاركة والمساهمة في الديمقراطية القائمة في بلادها.
- أن الحوار والنقاش فقط أساس حل مشاكل الاختلاف.
- أن مساحة الحرية والتسامح لابد أن تزداد كلما اقتربنا من العقيدة والهوية وتقيد كلما اقتربنا من المصالح المشتركة وقوانين العيش المشترك (دستور وقوانين الدولة).

أن البشرية سوف تحتاج إلي عقود كثير حتى تتحضر وتتعلم كيف تتكل حول المصالح المشتركة ولا تتكتل لأسباب دينية أو عرقية، فالمحبة لن تعم الحياة البشرية إلا عندما يتعلم البشر التعاون والتعايش ، فالهوية تمايز ولا يصلح سببا للتكتل ولكنه هام للتفاعل والمشاركة ، ونحن نحتاج إلي التكامل والتعاون والتكتل علي المصلحة المشتركة .

التسامح بين السلطة والمعارضة :

في أي مجتمع لابد أن تكون هناك سلطة لتنظم العلاقات بين أفراد هذا المجتمع وتضع قواعد تنظم العلاقات والمصالح، وعادة ما تكون السلطة تستمد قوتها وشرعيتها مس الأغلبية التي تؤيدها وتساندها، وبالتالي هي تحاول باستمرار أن تعبر عن هذه الأغلبية وتكون تشريعاتها ملائمة لهذه الأغلبية وتراعي مصالحها. ولأنه من الصعب إرضاء جميع الناس وتحقيق مصالح جميع أفراد المجتمع فعادة ما تكون التشريعات والقرارات علي حساب بعض الفئات وتضغي علي مصالح الأقليات، فحينئذ تبرز معارضة للحكم تنبه لقصور التشريعات، والأمور التي تم إهمالها، والحقوق الضائعة، والظلم الواقع علي البعض.

ولكن السلطة لها مشاكلها في التعامل مع المعارضة، وكثيرا ما تتحول إلي التسلط والقهر وذلك لعدة أسباب منها الخوف من ضياع السلطة أو ضعفها عن السيطرة والتحكم فكثيرا ما تلجأ للتشدد

لتثبيت سلطتها وتستخدم التخويف لإرهاب الناس وخاصة المعارضة، ولأنها سلطة الأغلبية فكثيرا ما تستخدم أساليب الأغلبية في الحفاظ علي قوتها وتبدأ تستخدم الشعارات الدينية أو الأيدلوجية للترويج لشرعيتها، ولا تتسامح مع الاختلاف وتعتبره خروج علي الشرعية ويستحق العقاب، وأخطر ما في الأمر حينما تعطي لنفسها صفة المطلق وتطفي علي نفسها شرعية دينية، وتعتبر نفسها مرجعية لا تراجع ولا تنتقد، وكذلك عندما تعتبر نفسها سلطة مطلقة وتتحول نحو الديكتاتورية والتسلط الصريح.

كذلك المعارضة لها مشاكلها، فحلم الوصول للسلطة يجعلها غير صادقة في إبراز جوانب القصور في الحكم من حيث التشريع ومن حيث التنفيذ، كذلك تحاول أن تجتذب الأغلبية والجماهير لأنها وسيلتها للوصول للحكم، فنجدها تلعب علي مشاعر الجماهير لا مصالح الجماهير .

كما أن المعارضة هي معارضة تعمل تحت إرهاب السلطة ولذا هي ليست حرة تماما، ومكبلة في التعبير عن معارضتها.

أن التسامح في العلاقة بين السلطة والمعارضة، يحقق اتزان الحكم، ويقلل من أخطاء السلطة ويزيد من العدالة.

العلاقة بين السلطة والمعارضة هي علاقة موجودة في كل بيت وفي كل عمل وفي كل مجتمع وفي الكنيسة وفي الوطن. لذلك نحتاج تفهم مشكلتها وتفهم كيف يكون التسامح بينهم لتثبيت المحبة وتحقيقها في الواقع.


وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ،
شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ
كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ.
افسس ٤ : ٣٢

المشاركة في محبة الآخر

إن كانت محبة الآخر تبدأ بالاعتراف بمساواته لنا في الحقوق، ثم بالتسامح معه في أخطائه وتفهم اختلاف ثقافته، فأنها لابد أن تنتهي بالعيش المشترك واقتسام الحياة معه. فكيف يمكن أن يتحقق ذلك والواقع العملي يشهد علي صراع الناس مع بعضهم البعض وتنافسهم وقتالهم بعضهم البعض.

كل إنسان يريد أن يحيا وله معتقداته التي يرتاح إليها، ويريد أن يعبر عن وجوده وقيمه بسلوكه ويريد أن يحقق مصالحه، ولكن كل واحد يقابل من يشككه في معتقداته وقناعاته، وكل واحد يقابل من ينتقده في سلوكه وتصرفاته بل قد يجد من يقاوم آراءه ويفسد له أعماله، وكل واحد يقابل من يتصارع معه في تحقيق مصالحه ويحاول أن يحقق مصالحه علي حسابه. هذا هو الواقع وهذه هي المشكلة أن الإنسان لأسباب عديدة يشعر أن الآخر هو الذي يعوقه عن الحياة ويمنعه من أن يسعد بحياته، حتى أن سارتر الفيلسوف الوجودي قال أن الجحيم هو الآخرون، فمن هو الذي يريد أن يحيا في جحيم، ولذا يحاول البعض أن يتخلص من الآخرين ليحيا وحده ويظن أنه هكذا يسعد بحياته. لقد صارت في داخل الإنسان قناعة أن الآخر هو سبب تعبه وشقائه في الحياة منذ سقوط الإنسان الأول، فآدم الأول القي بمسئولية خطئه علي حواء واعتبرها سبب سقوطه وتعاسته وشقائه، ومنذ ذلك الحين وكل إنسان يتوجس من الآخر ويخاف أن يشقيه ويفسد عليه سعادته، ويحاول أن يبتعد عنه أو يصارعه وينافسه ويسعد بهزيمته ويظفر بمبتغاة منه.

الحياة صراع ولابد أن نصارع من أجل أن نحيا، فالصراع من أجل البقاء هو غريزة وضعها الله فينا، لنجاهد في الحياة ونعمل ونطور أنفسنا والحياة معنا، فنحن نصارع الطبيعة والمخلوقات من أجل أن نتسلط عليها ونخضعها بحسب وصية الرب ونعمته «اثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأوا الارْضَ

وَاخْضِعُوهَا وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الارْضِ». (تكوين ١ : ٢٨)، ونحن نصارع الفساد والمرض والتخريب والموت لنظل أحياء، ولكن السقوط جعل الإنسان يصارع الآخر من أجل البقاء !! وبسبب الخطية التي أفسدت المحبة وفكت الترابط بينهم جعلت كل واحد يصارع من أجل بقائه منفردا !! وجعلت كل واحد يحاول أن يتخلص من الآخر ليضمن بقاءه !! مع أن الله جعل التسلط وإخضاع الأرض والإكثار والإثمار عطية للزوجين الأولين معا وليس لأحد منفردا.

من الصعب أن يحيا أحد الحياة وحده، ويحتاج الإنسان أن يتعاون مع أخيه ويتشاركا الحياة ليضمنا حياتهما معا ويضمنا استقرارهما معا وسعادتهما معا.

محبة الآخر هي وصية عملية من أجل السعادة والاستقرار. محبة الآخر هي دعوة للمشاركة في الحياة، ودعوة للتكامل والتكافل، ودعوة للتعاون والتكاتف من أجل مواجهة صعوبات الحياة.

أن صراعات الإنسان الدينية والأخلاقية والسياسية مع الآخر والتي تدور حول المعتقدات والأخلاق والمصالح سببها الروح الفردية والأنانية التي تجعل كل واحد يحاول علاج مشاكله العميقة في الحياة بطريقة فردية. أن الصراعات الإنسانية هي ظواهر لفشل الإنسان في حل مشكلاته مع الحياة، فالإنسان كثيرا ما يفشل في حل مشكلته مع الخوف، والهوية، والحاجة. فالإنسان المطرود من جنة الله لا يحيا في مناخ آمن وهو دائما خائف من المجهول ومن المصير، وهو لا يعرف كيف يثبت وجوده ويحقق تميزه ويخاف من ضياع هويته، وهو خائف أن لا يقدر أن يشبع احتياجاته ويحقق تطلعاته ويصارع لإشباعها بكل جهده.

أولا : افهم معنى المشاركة

محبة الآخر مشاركة في مواجهة مخاوف الحياة

كل إنسان في أعماقه خوف متأصل في روحه، كل واحد في أعماقه يخاف من المجهول، ومن الغد، ومفاجآت الحياة، ومن المصير، ومن الموت، يسمي هذا الخوف الوجودي أو الخوف من الوجود. فما يعرفه الإنسان هو أقل كثيرا مما لا يعرفه ويجهله، وما يخطط له يفاجئ بمتغيرات كثيرة لم يضعها في الحسبان، وفي كل الأحوال لابد أن يواجه الموت ومصير لا يعرفه، ولذلك تعلق الإنسان بالمعتقدات الغيبية والدينية التي تعطيه تفسيرات تريحه قليلا من جهله بالمجهول، وتخلصه قليلا

من مخاوفه الدفينة من المصير، ولكي تعطيه شعور بالطمأنينة والسلام في حياته، فما من إنسان إلا وله معتقداته التي يتمسك بها ويرتاح إليها.. وفجأة يجد من يشكك في معتقداته التي تزيل خوفه، فيثور بشدة يدافع عنها وهو في حقيقة الأمر هو يصارع خوفه. وهذا ما يفسر حدة صراع المعتقدات بين البشر، فالإنسان مستعد أن يموت من أجل معتقده ولا أن يحيا متشككا في معتقده..

ولنلاحظ أن حروب المعتقدات تكثر في المجتمعات التي عوامل الاستقرار بها أقل من ناحية ثبات القيم وفرص تحقيق الذات وتامين الحاجات الأساسية للناس، ويندفع لها المتحمسون من الناس الذين لم يحققوا ذواتهم و لم يستقروا في أعمالهم ولا حياتهم الأسرية و لم يحققوا نجاحا شخصيا ولا حياة أمنة نسبيا. فكلما زاد الخوف الوجودي كلما زاد تمسك الناس بالمعتقدات وخاصة الغيبية وزاد التعصب لها وكلما صارع الإنسان من أجلها فهي طوق النجاة بالنسبة له الذي يتمسك به وإلا غرق في خوفه.

يعاني الإنسان وحده بدون مصارعه من أحد من اختلاف المعتقدات، فاختلافها يثير داخله تساؤلات وشكوكاً تؤرقه، ولا يحاول أن يجيب عليها بل يزداد تمسكاً بما يعتقد، ويعتقد أن معتقدات الآخر خطأ، ولذا فكل معتقدات الآخرين بالنسبة له هي خرافات وهرطقات. ويبدأ ينتقدها ويهاجمها خوفا منها ويكون هجومه بلا منطق ولا مبرر ولا حجج وبراهين، ونجد أن هجومه عبارة عن سخرية وتهكم وتصيد للألفاظ وحرب كلمات وجمل إنشائية، وليس فكر مقابل فكر ولا منطق مقابل منطق ولا رؤية مقابل رؤية.

تزداد معاناة الإنسان أكثر عندما يجد من يشككه في معتقداته وقناعاته ويزيد من شكوكه العقائدية، ويزداد حيرة واستغرابا عندما يجد حروباً تشن عليه بسبب معتقداته.

صراع المعتقدات يجعل الإنسان في حالة من عدم الاستقرار ويزيد من الخوف الوجودي في حياته ويدفع الإنسان أن يحل مشاكل خوفه بالتغيب بالمخدرات بدلا من التغيب بالمعتقدات. وهذا سبب من أسباب انتشار المخدرات في العصر الحالي.

لا يستطيع أحد حل مشاكل خوفه وحده ولكن بالمحبة يمكننا أن نتقاسم مخاوف الحياة، فكلما نمت المحبة بين الناس قل المتعصبون والمدمنون وكلما قلت المحبة بين الناس كلما زاد عدد المتعصبين والمدمنين.

المحبة أن لا تشكك إنساناً فيما يعتقد وإلا فأنت تزيد من مخاوفه في الحياة. المحبة أن تهدئ من مخاوفه حتى يبصر بهدوء معتقداته، ويعمق قناعاته ويعدلها، وكما ينصحنا بولس الرسول "وَمَنْ هُوَ ضَعِيفٌ فِي الإِيمَانِ فَاقْبَلُوهُ لاَ لِمُحَاكَمَةِ الأَفْكَارِ... وَاحِدٌ يُؤْمِنُ أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَمَّا الضَّعِيفُ فَيَأْكُلُ بُقُولاً. لاَ يَزْدَرِ مَنْ يَأْكُلُ بِمَنْ لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَدِنْ مَنْ لاَ يَأْكُلُ مَنْ يَأْكُلُ - لأَنَّ اللهَ قَبِلَهُ..... مَنْ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ عَبْدَ غَيْرِكَ؟ هُوَ لِمَوْلاَهُ يَثْبُتُ أَوْ يَسْقُطُ. وَلَكِنَّهُ سَيُثَبَّتُ لأَنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُثَبِّتَهُ. وَاحِدٌ يَعْتَبِرُ يَوْماً دُونَ يَوْمٍ وَآخَرُ يَعْتَبِرُ كُلَّ يَوْمٍ - **فَلْيَتَيَقَّنْ كُلُّ وَاحِدٍ فِي عَقْلِهِ** (رومية١٤: ١-٥).

المحبة أن لا نتبادل المخاوف ولا المعتقدات الغيبية والخرافية سواء كانت دينية أو شعبية، فهذا يضخم الخوف ولا يقلله ولا يهدئ من روعه،

المحبة الحقيقية تطرد الخوف إلي خارج كما يقول الكتاب[١٨]، ونحن نستطيع ذلك أن تبادلنا الثقة وأعطينا الثقة للآخر بدلا من الخوف، أن نزيد ثقته في الله لا الثقة فيما نعتقد عن الله، أن نزيد الثقة في بعضنا البعض لا الثقة في صحة معتقداتنا.

محبة الآخر أن نتشارك في ثقتنا في الله، لا أن نروج لمعتقداتنا عن الله، أن نتشارك مع الآخرين ثقتنا في الله وخاصة الذين لا يشتركون معنا في الإيمان ولا في روحانيتنا، فنوضح لهم كيف شعرنا بمحبة الله وكيف اختبرناها، وهذا أفضل من تبشيرهم بلاهوت " الله محبة". أن نتشارك في خبرات عمل الله الخلاصي في حياتنا أفضل من إثبات لاهوت الخلاص لهم. أن ندعوهم ليروا الله العامل في حياتنا أفضل من تذكيرهم أن الله موجود. ندعو الله معا أفضل من أن ننصحهم بالصلاة والدعاء. نتشارك في شكر الله أفضل من محاولة إثبات رؤيتنا أن الله صانع خيرات. أن نتشارك في التفاؤل بالغد أفضل من الحديث عن قضاء الله. وهكذا...

من أروع أنواع العطاء في المحبة الباذلة، **أن تعطي الآخر من خبرة إيمانك وثقتك في الله.** لتشدد إيمانه.

محبة الآخر أن نساهم في بناء إيمان الناس بالله وتنمية ثقتهم بالله. بناء الثقة جهد يحتاج إلي سنين، وهو جهد تراكمي مثل إنشاء المباني، بناء الثقة في الله وتنميتها في حياة الآخرين يحتاج جهد

---

[١٨] ١ يوحنا ٤ : ١٨

دائم، ومستمر وبحكمة ولا يكون بالوعظ ولا بإثارة المشاعر الدينية والروحية ولكن ببذل محبة حقيقي، أن تعطي من ثقتك في الله ومن اختبارات ثباتك في محبته لتثبيت الآخرين. فكلما كنا ثابتين في الله وممتلئين طمأنينة ورجاء، فإن الناس تنجذب إلينا يستمدوا الثقة والطمأنينة منا مستفسرين عن سر رجائنا، ونكون في تلك اللحظات " مُسْتَعِدِّينَ دَائِماً لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ" (١بطرس ٣ : ١٥)، وكلما كنا فرحين في الرجاء فإن الناس تنجذب إلينا لبشاشتنا فنعرفهم أن الفرح الحقيقي سر عمل الله في قلوبنا وحياتنا. ونشركهم في سلام قلوبنا ونمنحهم من سلامنا كما طلب منا الرب : وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلاً: سَلاَمٌ لِهَذَا الْبَيْتِ. (لوقا ١٠ : ٥). كلما كنا مقربين من الناس وكلما كنا صادقين نعني ما نقول ونفعل ما نقول كلما كنا مصدر ثقة للناس وكلما أخذوا من ثقتنا في الله ليبنوا ثقتهم في الله.

إن كان الله هو الضامن الوحيد في الحياة، والثقة فيه هي التي تزيل مخاوفنا في الحياة، فإن الشيطان وأعوانه من الأشرار يثيرون الخوف فينا حينما يشككون في وجود الله نفسه، فالحياة مرعبة إن كان الله غير موجود، ونحن قد لا نشاركهم في ذلك ولا نشكك الناس في وجود الله، ولكننا للأسف نتشكك في عمل الله في حياتنا؟! ونشكك في عمل الله في الحياة؟! ففي بعض الأحيان لا نفهم عمل الله معنا ونشعر بغموضه علينا فنشكك فيه، فمن الصعب علينا فهم مقاصد الله وتدبيره وبدل من الاعتراف بجهلنا نجد أنفسنا نشكك في أعمال الله ومقاصده. هكذا ننشر الشك ونزيد الخوف في حياة الناس حولنا.

محبة الآخر أن نكف عن تضخيم الخوف عند الناس، وأن نكف عن الترويج للأفكار الغيبية، وأن نتكلم بايجابية عن الله وعمله في حياتنا، ونشيع روح الرجاء والإيمان.

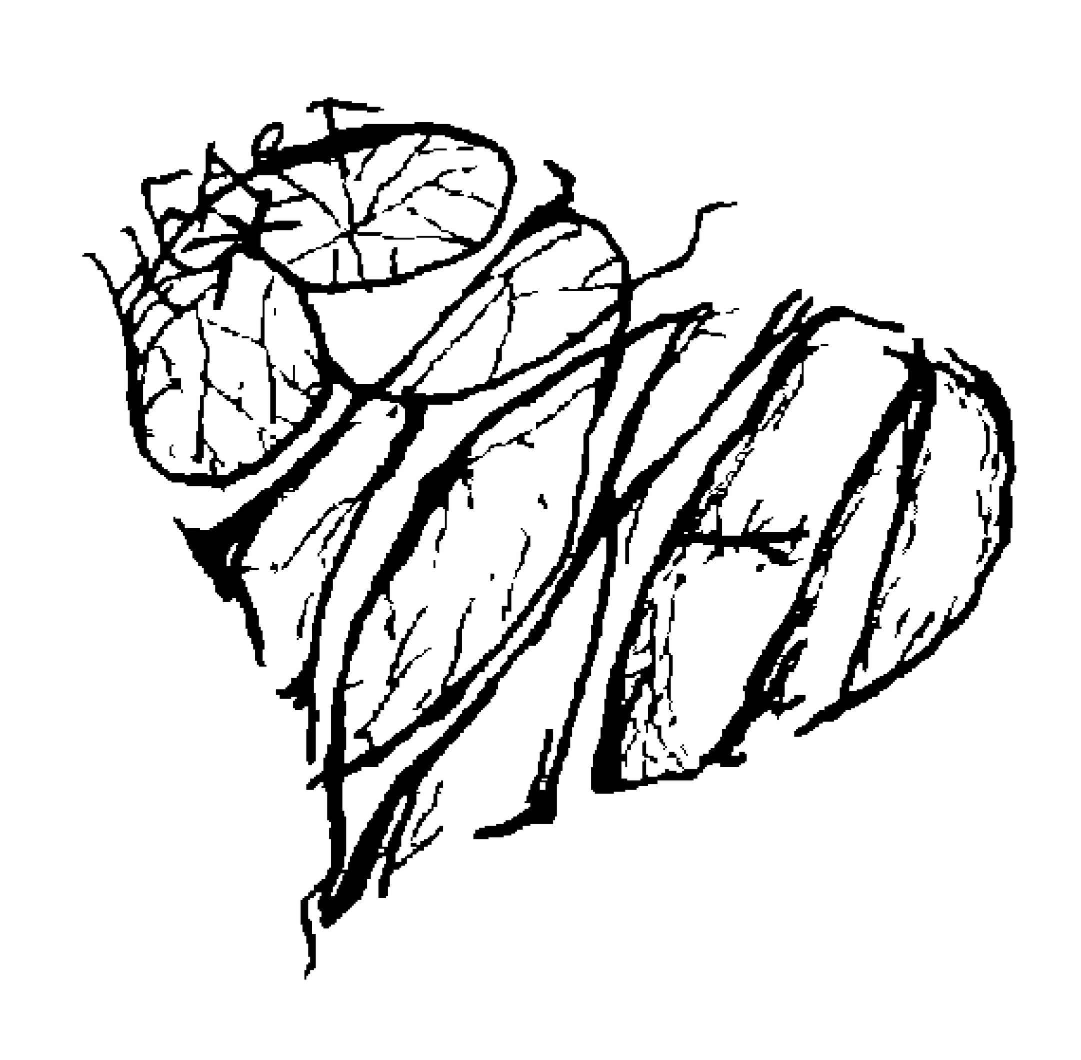
الثقة تحتاج سنين لتبني وثواني لتنهار.

الابن الذي يمسك بيد أبيه الذي يثق فيه لا يخاف وهو يسير في شارع مزدحم والسيارات تسير بسرعة في كل الاتجاهات. هكذا الخوف في الحياة يقل كلما ترابط الناس وزادت ثقة الناس في بعضهم البعض. ونحن لابد أن نتشارك في تكوين الثقة وزيادتها في علاقات الناس مع بعضهم

البعض، فلا نشكك الناس في بعضهم البعض بالكلام السلبي عن الآخرين، وأن نكون نحن موضع ثقة لهم.

المحبة أن تكون موضع ثقة للآخر، يثق في أنك تعمل لخيره، وأنك تعمل علي مساعدته عندما يحتاجك. ولكي تكون موضع ثقة الآخر لابد أن يلمس فيك مصداقيتك، وأنك تعني ما تقول وتفعل ما تقول، لا تجعل الآخر يحتار.. هل ما وعدت به هو صدق وهل ستحققه، لا تعد بما لا تستطيع الوفاء به. كذلك لابد أن يتيقن من صدقك وأمانتك معه، وأنك لا تكذب عليه ولا تغشه، فمن أكثر الأمور التي تجعل الثقة تتآكل سريعا هو الكذب بكل أشكاله، ولذلك يقول الكتاب : لِذَلِكَ اطْرَحُوا عَنْكُمُ الْكَذِبَ وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ، لأَنَّنَا بَعْضَنَا أَعْضَاءُ الْبَعْضِ. (افسس ٤ : ٢٥).

تزداد ثقة الناس فيك كلما كنت أمينا في الحفاظ علي أسرارهم، وعدم نبش خصوصيتهم بالتطفل والنميمة، وكذلك من ثبات علاقتك بهم ومن استمرار أمانتك في التعامل معهم وعدم تقلبك معهم.



الثقة مثل فازة، حينما تكسر لا تعود أبدا لما كانت عليه مهما نجحت في إصلاحها.

محبة الآخر مشاركة في الصلاح والتميز

هل المحبة أن أتعايش مع اختلاف الآخر واحتمل أخطاءه فقط ؟ هذا هو الجانب السلمي والسلبي من محبة الآخر ولكن المحبة في جانبها الإيجابي إصلاح للآخر ومساعدته علي تحقيق تميزه وفرادته، أننا بالمحبة لا نأخذ موقفا سلبيا من أخطاء الآخر ولكننا بالمحبة ملزمون أن نساعده علي التحرر من أخطائه.

تحقيق الذات لا يتحقق إلا بالصلاح، لا يمكن لشخص فاسد أن يحقق ذاته، وأن يشعر بقيمته وأن يكون قيمة مضافة للحياة، ويترك أثراً في حياة الآخرين. الإصلاح وتحقيق الذات أمران متلازمان ولا ينفصلان، ولذلك فأن المساعدة في إصلاح الآخر هي في الوقت نفسه مساعدته في تحقيق ذاته.

ولكن قبل مناقشة إصلاح الآخر بالمحبة لابد أن ننتبه لعدة محاذير لئلا نقع في محاولة السيطرة علي الآخر أخلاقيا والسيطرة علي ضميره، ونجد أنفسنا بدلا من أن نصلح الآخر نرهب الآخر، ونعود للإرهاب تحت مسمي الإصلاح.

لكي نساعد الآخر علي الصلاح فلابد أن نعرف أخطاءه التي تحتاج إلي إصلاح، ولكن بحرص لكي لا يتحول الأمر إلي حكم وإدانة الآخر، فلقد حذرنا الرب وقال " «لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا. لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ! (متي٧: ١-٥). فحقيقة الأمر أننا لابد أن نتشارك في إصلاح أنفسنا، فليس لأني شخص بار أصلح الخطاة، ولكن لأنني شخص محب أسعي للمشاركة في الصلاح مع أخوتي، وأحاول أن أصلح من أخطائنا – أخطائي وأخطائهم.

كذلك حذرنا الرب متسائلا : «هَلْ يَقْدِرُ أَعْمَى أَنْ يَقُودَ أَعْمَى؟ أَمَا يَسْقُطُ الاثْنَانِ فِي حُفْرَةٍ؟ (لوقا ٦ : ٣٩). إصلاح الآخر الذي هو عمل من أعمال المحبة يحتاج بصيرة روحية، حتى لا تؤذي الآخر ولو بدافع الحب وتكون سبب عثرة وهلاك له وتدان من الله بسببه. الإصلاح لا يتم بمحاكمة الآخر "فَلاَ نُحَاكِمْ أَيْضاً بَعْضُنَا بَعْضاً بَلْ بِالْحَرِيِّ احْكُمُوا بِهَذَا: أَنْ لاَ يُوضَعَ لِلأَخِ مَصْدَمَةٌ أَوْ مَعْثَرَةٌ.(رومية١٤: ١٣) وكذلك يتم بطريقة روحية وديعة وبتواضع شديد " أَيُّهَا الإِخْوَةُ، إِنِ انْسَبَقَ

إِنْسَانٌ فَأُخِذَ فِي زَلَّةٍ مَا، فَأَصْلِحُوا أَنْتُمُ الرُّوحَانِيِّينَ مِثْلَ هَذَا بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ، نَاظِراً إِلَى نَفْسِكَ لِئَلاَّ تُجَرَّبَ أَنْتَ أَيْضاً. (غلاطية ٦ : ١).

فإن كنت اهتم بنهضتي الروحية وأجاهد في حياتي من أجعل إصلاح نفسي وتطوير ذاتي فأنه علي دور في مساعدة الآخر علي إصلاح نفسه وتطوير شخصيته، فالمحبة الحقيقية هي أن نتشارك في الجهاد من أجل تطوير شخصيتنا، وأن نتقاسم الصلاح فينتشر الخير في حياتنا. فمساعدة الآخر علي التوبة والصلاح دليل المحبة العملية له ويحثنا عليها الكتاب المقدس " فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ رَدَّ خَاطِئاً عَنْ ضَلاَلِ طَرِيقِهِ يُخَلِّصُ نَفْساً مِنَ الْمَوْتِ، وَيَسْتُرُ كَثْرَةً مِنَ الْخَطَايَا. (يعقوب ٥ : ٢٠).

التحذير الأخير أننا لا نسعى لنزع الشر مس حياة الناس ولا من قلوبهم، وإلا حطمنا الناس وأفسدنا حياقم، ولكننا نساعد الآخر أن يتقوي ليتخلص هو من الشر الموجود فيه بطريقته هو، وبحسب قدرته، وفي الوقت المناسب له، بمعونة الله. أننا لا نحارب الشر ولكن نساعد علي تقوية الناس لمقاومة الشر وحفظهم من الشرير، كما طلب الرب من أجلنا " لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ. (يوحنا ١٧ : ١٥).

كيف نتشارك مع الآخر في الصلاح وفي تحقيق تميزه ؟

أننا نخطئ لأسباب عديدة، يلخصها قاموس سترونج اليوناني لمصطلحات الكتاب المقدس[١٩] في أننا نضل لعدم وجود أهداف نسعى إليها فنحيا في ضلال كلنا ضللنا كل واحد مال إلي طريقه، وبسبب ميل داخلنا للتحلل من الالتزام وللتجاوز واستثناء أنفسنا من القواعد، وميلنا للطرق الملتوية والمعوجة، وبسبب جهلنا، ورفضنا لصوت العقل وتغليب المشاعر والشهوة، وتمردنا علي ضمائرنا وعلي الله ووصاياه، أو ضعف قيمنا التي تحكم دوافعنا.

ولكي تستقيم حياتنا ونحيا في الصلاح نحتاج أن تكون لنا أهداف في الحياة نسعى إلي تحقيقها فلا نحيا الضلال. نحتاج أن نتعلم الالتزام بالقواعد ونتعلم احترام العهود والقوانين فلا نكسر القواعد والقوانين والوصايا ونفسد الحياة، ونتعلم الاستقامة والصدق في المعاملات فلا نخطئ في حق بعضنا البعض، وأن نحكم عقولنا فلا نخطئ في قراراتنا، ونتعلم لنبدد الجهل ونزيد من الفهم فلا نهلك لعدم المعرفة، ونقوي القيم داخلنا لتقوي إرادتنا وضمائرنا فلا نضعف ولا نتحلل.

---

[١٩] برنامج online bible

أننا في طريق محبة الآخر وإصلاحه والسعي لصلاحه لا نفرض الأخلاق عليه ولكننا ندعم الأخلاق عنده، لا نفرض عليه صورة ليتقمصها ولكننا ندعم كل شخص ليكون نفسه.

الناس تحتاج إلي قيم،ومعرفة، واستنارة تقاوم الجهل، وتحتاج أن تتعلم طاعة القانون والوصية، الناس تحتاج إلي أهداف تسعي لها، تحتاج تحفيز علي الاستمرار في طريق الاستقامة. والقيم والمعرفة يمكننا أن نتشارك فيها، وكذلك نتشارك في الأحلام والأهداف ونتعاون علي تحقيقها، كما يمكننا أن نشجع بعضنا البعض علي الالتزام، ونحفز بعضنا البعض علي السلوك باستقامة.

المشاركة في القيم هو عمل من أعمال المحبة، والقيم الأخلاقية يتم تبادلها بالثقافة وليس بتحويلها إلي فروض تفرض علي المجتمع والناس بالعنف ولا بالإرهاب الديني. نتبادل القيم ثقافيا حينما نناقش القيم في الحوارات وفي الأعمال الفنية والأدبية، وحينما نقدم من أنفسنا نماذج لتكون قدوة بالسلوك بهذه القيم، وحينما نبرز إبداع البعض في صنع الخير والالتزام القوي بالقيم الأخلاقية. الثقافة تأصل القيم في المجتمع ولنلاحظ أن الثقافة المجتمعية تؤثر حتى علي القيم الدينية، فمثلا ثقافة العنف والمتعة تؤثر بشده علي القيم الدينية وتعزز التشدد الديني والطائفي كما تروج للتغييب الديني.

المشاركة في المعرفة عمل من أعمال محبة الآخر، فكلما بددت جهلا عند الآخر كلما أنقذته من الضلال والهلاك بجهله، فالكتاب دعانا أن نصير نور للعالم لكي لا يمشي الناس في الظلمة، فالمحبة أن تنير الطريق للآخر لا أن تضلله ولا أن تزيد ضلاله. المحبة لا تحجب المعرفة ولا تبيعها ولا تستغل الآخر ليحصل عليها، كل ما تعرفه من معرفة روحية أو حياتية لابد أن تشارك فيه أحد.

المشاركة في الحوار عمل محبة، فهي تساعد علي تقوية عقولنا واستنارة أذهاننا معا، وأنت تساعد الناس بفاعلية أكبر حينما تجعلهم يعتادوا علي التفكير المنطقي والتفكير النقدي، وكلما سلطت الضوء علي قضايا الحياة ليبصروا مشاكلهم ويعرفوا أبعادها ويتعرفوا علي مقترحات لحلول لها من زوايا مختلفة.

المشاركة في الأحلام والأهداف عمل من أعمال محبة الآخر، فليس كل الناس قادرين علي وضع أهداف لهم، وأحلام بعض الناس قد تكون بسيطة وهناك البعض لا يحلم ولا يفكر في الغد، من الجيد أن يكون هناك حلم للأسرة يتشارك أفرادها في تحقيقه، ففي تحقيقه تحقيق لشخصيتهم جميعا، من الجيد أن يكون هناك حلم للخدام داخل الكنيسة يسعون لتحقيقه معا، من الجيد أن تكون هناك أحلام للعاملين معا في العمل، وجيدة هي سياسية الإدارة بالأهداف والتي تجعل للعاملين

أهدافاً يسعون لتحقيقها، جيد أن يكون هناك مشروع قومي يلتف حوله أبناء الوطن الواحد. المحبة أن نصغ أحلام جيدة وتحديات مثيرة وندعو الناس لمشاركتنا فيها، يحلمون معنا، ويتشاركون معنا في تحقيقها.

التشجيع علي الالتزام والتحفيز علي السلوك بالاستقامة هو عمل من أعمال محبة الآخر، نحتاج في العلاقات الشخصية أن نشجع الناس علي الالتزام بالاتفاقات، والمواعيد، والوعود، والعهود، ولا نستخدم أسلوب التهديد والوعيد لحثهم علي الالتزام. التشجيع علي الالتزام يتم باحترام الناس، وتسهيل حصولهم علي حقوقهم، كي يفوا هم أيضا بالتزاماتهم.

نحتاج أن نحفز بعضنا بعض علي السلوك باستقامة، فلا نشجع الرشوة ولا نشارك في أعمال الظلمة والمؤامرات ولا اعوجاج الكلام. قدم نفسك نموذج للاستقامة لتتمثل الناس بك وكن كما يقول الكتاب " السَّالِكُ بِالْحَقِّ وَالْمُتَكَلِّمُ بالاسْتِقَامَةِ الرَّاذِلُ مَكْسَبَ الْمَظَالِمِ النَّافِضُ يَدَيْهِ مِنْ قَبْضِ الرَّشْوَةِ الَّذي يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ سَمْعِ الدِّمَاءِ وَيُغَمِّضُ عَيْنَيْهِ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الشَّرِّ (اشعياء ٣٣ : ١٥). وكذلك في الكلام فتكون صادقا ومستقيما في كلامك" لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ لاَ لاَ. وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ. (متى ٥ : ٣٧). فكلما كنت مستقيما استقام معظم الناس معك، وهكذا تكون شجعتهم علي الاستقامة، فالاستقامة نتبادلها من معاملاتنا المستقيمة معهم.

محبة الآخر مشاركة في إشباع الاحتياجات الأساسية

كل واحد منا له احتياجات ويحتاج أن يسدد احتياجاته، واحتياجاتنا قد تكون مادية مثل حاجاتنا للطعام وللصحة، وقد تكون معنوية مثل حاجاتنا للأمان والإنجاز، وقد تكون روحية مثل حاجاتنا لله وللحب ولتحقيق الذات، وكل واحد يسعي إلي تسديد احتياجاته وخاصة الاحتياجات الأساسية الطعام والزواج ويجاهد ويعمل ويتعب من أجلها، فهذا قانون الحياة " بتعب يديك تأكل خبزك " وهناك من ينجح في ذلك ويسدد احتياجاته ويزيد، وهناك من يصل إلي الكفاف، وهناك من لا يقدر علي تسديد احتياجاته، وهناك من لا يعرف كيف يسدد احتياجاته. فتسديد الاحتياجات يحتاج إلي مهارات وجهد وذكاء وفرص وهذه الأمور ليست متوفرة لكل الناس لذلك هناك فقراء وهناك أغنياء في الحياة.

تسديد الاحتياجات عمل يحتاج أن نتشارك فيه معا، ولكننا حينما نتكلم عن المشاركة في تسديد الاحتياجات فإننا في العادة نحصر الأمر في عطاء الأغنياء للفقراء ونركز بالأخص علي العطاء المادي.

المشاركة في محبة الآخر – القريب والغريب أعمق من عطاء القادر لغير القادر، ومن عطاء الغني للفقير.

محبة الآخر معناها أن لا تنسي الآخر وأنت تسعي لتسديد احتياجاتك، كما يوجهنا الكتاب قائلا:"لاَ تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لآخَرِينَ أَيْضاً. (فيلبي٢: ٤).

محبة الآخر أن نتشارك في جهادنا من أجل تسديد احتياجاتنا معا. المشاركة وحدها هي التي تزيد فرص نجاحنا في تسديد احتياجاتنا وتقلل من معاناتنا وشقائنا في الحياة. ولكن كيف يتحقق ذلك عمليا ؟

" إِذَا كَثُرَتِ الْخَيْرَاتُ كَثُرَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَهَا.." (جامعة ٥ : ١١) المحبة أن تكثر الخيرات لكي يكثر الذين يأكلون منها، محبة الآخر أن تشارك في زيادة الخير العام، بالعمل الجاد المخلص، فيزداد الدحل القومي ورأسمال مؤسستك التي تعمل بها أو مصنعك الذي تعمل به أو مشروعك وهذا ينعكس علي دخل أسرتك، وعلي دخلك الشخصي، وعلي دخل أسر أحري ودخل أشخاص آخرين.

المحبة أنك في عملك لزيادة دخلك تعمل بروح وحس أنك تعمل من أحل الجميع ولخير الجميع، أما الأنانية فهي أن تعمل لنفسك بروح متكاسلة لا تسعي لخير الجماعة. الأنانية أن تعمل لتسدد احتياجك علي حساب من يعملون معك. الأنانية أن تسعي للوصول إلي أكبر مكسب من وظيفتك الآن حتى لو انهار العمل نفسه علي المدى البعيد، فإن كان شعار الماديين من الناس لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت، فأن الأنانيين شعارهم لنأكل ونشرب وليموت الجميع غدا. إن هذا الأمر هو سر شقاء البشرية، قليلون يشقي بسببهم كثيرون، وجيل يدفع ثمن أنانيته أجيال قادمة كثيرة.. أباء يتنعمون وأبناء يشقون.. خدام يتكاسلون وخطاة يهلكون.. رؤساء يترفعون ومرؤوسين يتذللون.. أغنياء يتخمون وفقراء يجوعون. لذلك فكل من لا يشارك في تنمية الخير العام هو مشارك في شقاء آخر.

المحبة أن تعمل وأن تشارك في الأعمال التنموية، أو في أعمال الخدمة العامة كما تشارك في أعمال خدمة الكنيسة. لابد أن نشجع الخدام وأعضاء الكنيسة علي المشاركة في أعمال تنمية المجتمع ثقافيا وصحيا ومهنيا، ونشارك في العمل التطوعي لخدمة فئات المجتمع الأكثر احتياجا أو الذين لهم مشاكل خاصة من مرضي أو معوقين أو كبار السن أو أطفال الشوارع الخ، وكذلك ندعم جمعيات المجتمع المدني الجادة التي ترعي قضايا حقيقية يحتاجها المجتمع.

محبة الآخر أن تستثمر مالك لإشباع احتياجات الآخرين. فمن كان أوفر في الذكاء أو المال أو الفرص عليه أن يبذل الجهد في استثمار ماله وذكاءه وفرصه في تقوية الاقتصاد العام وعمل مشروعات توفر فرص عمل للآخرين. أن كل محاولة استثمار هي عمل محبة، مادام هذا الاستثمار يفيد آخرين معك. كل مشروع تعمله لمنفعة الآخرين حتى وإن كان مشروعاً صغيراً هو عمل محبة، كل مشروع تعمله تستفيد منه ويفيد آخر هو عمل محبة.

المحبة ليس أن تعطي من مالك ولكن أن تستثمر مالك فكهذا تعطي كل مالك بالمحبة لخدمة الآخرين، وهكذا تكون احتياجاتك مسددة وقد ساهمت في تسديد احتياجات الآخرين، فيتحقق مجتمع الاكتفاء كما قال الكتاب " «الَّذِي جَمَعَ كَثِيراً لَمْ يُفْضِلْ، وَالَّذِي جَمَعَ قَلِيلاً لَمْ يُنْقِصْ». (٢ كورنثوس ٨ : ١٥). الأنانية أن تكتز مالك وتجمده في شكل مقتنيات وأصول رأسمالية مثل شراء الأراضي والعقارات والتحف والذهب، ولكن المحبة المشاركة تجعلك تستثمر من مالك في مشروعات استثمارية تعود بالنفع علي الآخرين.

إن كان الله منحك قدراً من الذكاء وأكثر من مواهبك فمحبة الآخر أن تستغل ذكاءك ومواهبك في خلق مشروعات تخفف عن الناس أتعابهم ومعاناتهم، وفي خلق مشروعات تتيح فرص عمل جديدة ومبتكره.

إن توفرت لك فرص عديدة للنجاح ولإشباع احتياجاتك، فمن المحبة أن تعطي من هذه الفرص للآخرين، أن منحت فرصه لأحد كي يعمل أو يترقي أو يزداد مهارة أو يتولي قيادة فهذا عمل من أعمال المحبة، الأناني يغلق الأبواب أمام الناس ويعقد لهم طريقهم ويخشي من نجاح الآخرين، بينما المحبة مشاركة في النجاح وسعي لزيادة عدد الناجحين معنا.

محبة الآخر أن تعطي كل واحد أجره وإلا تستغل احتياج الناس، استغلال الآخر أنانية تزيد من معاناة الناس في تسديد احتياجاهم الأساسية. وتزيد من تعقيد علاقات الناس بعضهم ببعض. يحكي لنا سفر التكوين عن الجذور الأولي لهذه المشكلة، ففي زمن المجاعة أيام يوسف الصديق، باع الناس كل مالهم وباعوا أنفسهم عبيدا لفرعون مقابل الطعام، ومن ذلك الزمان تعلم الناس الاحتكار والاستغلال، واستغل أصحاب الأرض جوع الفلاحين في تحويلهم لعبيد وانتشر الإقطاع ومآسيه علي الإنسانية التي استمرت عقوداً كثيرة، ولما كانت النهضة الصناعية استولي البعض علي أدوات الصناعة وصار هناك عمال لا يمتلكون أدوات إنتاجهم وأصحاب أعمال يتملكون أدوات الإنتاج وبالتالي الإنتاج وأرباحه، وصارت العلاقة بينهم غير متكافئة وأصبحوا يتحكمون في أجور العمال ويستغلوهم، وفي عصر التكنولوجيا والمعلومات صارت هناك فجوة كبيرة بين من يملك المعرفة والتكنولوجيا وبين من يحتاج إليها، فأزداد استغلال الناس، وزاد غني من يملك التكنولوجيا وأصبح يتحكم في من لا يملك. فقصة البشرية مع استغلال الآخر قصة قديمة لا تنتهي، فيها الغني يزداد غني واستغلالا والفقير يزداد عوزا والمحتاج يشبع ظلما.

محبة الآخر في أحدي أوجهها هي مشكلة عدالة الآجر، أن تحب الآخر معناها أن توفي الآخر أجره وتعطيه له في الحال، فيقول الكتاب «لا تَظْلِمْ أَجِيراً مِسْكِيناً وَفَقِيراً مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الغُرَبَاءِ الذِينَ فِي أَرْضِكَ فِي أَبْوَابِكَ. فِي يَوْمِهِ تُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ وَلا تَغْرُبْ عَليْهَا الشَّمْسُ لأَنَّهُ فَقِيرٌ وَإِليْهَا حَامِلٌ نَفْسَهُ لِئَلا يَصْرُخَ عَليْكَ إِلى الرَّبِّ فَتَكُونَ عَليْكَ خَطِيَّةٌ. (تثنية ٢٤ : ١٤-١٥)

محبة الآخر أن تعطي الآخر أجر عادلا ولا تستغله ولا تظلمه " وَيْلٌ لِمَنْ يَبْنِي بَيْتَهُ بِغَيْرِ عَدْلٍ وَعَلاَلِيَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ الَّذِي يَسْتَخْدِمُ صَاحِبَهُ مَجَّاناً وَلاَ يُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ. (ارميا ٢٢ : ١٣)، عدالة الآجر أن يكون أجرا كافيا لإشباع احتياجاته الأساسية " لأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ: «لاَ تَكُمَّ ثَوْراً دَارِساً، وَالْفَاعِلُ مُسْتَحِقٌّ أُجْرَتَهُ». (١ تيموثاوس ٥ : ١٨) وفي مثل عمال الحادية عشر الذي قصه السيد المسيح فيه أعطي صاحب الكرم كل واحد "دينارا"، فالدينار في ذلك الزمان هو ما يكفي القوت اليومي للعامل. فإننا لابد أن نراعي ذلك في تحديد أجور العمال فمن العدالة أن نعطي ما يكفي لإشباع احتياجات الشخص الأساسية.

محبة الآخر أن لا تأخذ من الآخر أجرا لا يقدر عليه، وأن لا تجعل الآخر يعاني بسبب احتياجه إليك. نحتاج أن نتعلم كيف نكون معتدلين وعادلين في تحديد أجورنا وإرباحنا لئلا نسبب شقاء الناس ونعقد العلاقات الاقتصادية في مجتمعنا.

وبسبب تعقد العلاقات وخاصة علاقات العمل في المجتمعات الحديثة تعقدت معها مشكلة عدالة الأجور، وبسبب عدم عدالة الأجور اختلت العدالة الاجتماعية في المجتمعات ومعها اختل السلام الاجتماعي، وزاد الصراع بين الناس من أجل الحصول علي حقهم في خير الأرض والحياة الكريمة، لذلك تحتاج محبة الآخر أن يشارك من له رؤية وعلم في العلوم الاقتصادية في حل هذه المشكلة، وأن يشارك في المطالبة السياسية والقانونية لتحقيق قدر أكبر من العدالة الاجتماعية في مجتمعاتنا.

كذلك المحبة أن نقاوم الاستغلال بكل صوره وبكل قوة وشجاعة. أن نقاومه برؤى جيدة، وبنشر فكر العدل والسلام الاجتماعي، ونقاومه بالمطالبة بالحقوق وتشجيع الناس علي المطالبة بالحقوق العادلة، وبمساندقم في مطالبهم حتى يتحقق لهم العدل.

هذا عن المشاركة بين القادرين علي العمل والقادرين علي تسديد احتياجاتهم، ولكن مادا عن مشاركتنا لغير القادرين علي تسديد احتياجاتهم، يقول الكتاب "وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟ (١ يوحنا ٣ : ١٧).

محبة الآخر أن نتشارك مع المحتاجين في إشباع احتياجاتهم، وهذا المشاركة معهم تتم مس خلال محورين، الأول أن نعطيهم حاجات الجسد كما يقول يعقوب الرسول: فَقَالَ لَهُمَا أَحَدُكُمْ: «امْضِيَا بِسَلاَمٍ، اسْتَدْفِئَا وَاشْبَعَا» وَلَكِنْ لَمْ تُعْطُوهُمَا حَاجَاتِ الْجَسَدِ، فَمَا الْمَنْفَعَةُ؟ (يعقوب ٢ : ١٦)، فكل من نعرفه ونعرف احتياجه وجب علينا أن نتشارك معه مالنا لتغطية احتياجات جسده من طعام وصحة، ولذلك كانت وصية تقدمة العشور، فإن المحبة تقضي أن تخرج عشر دخلك لتسدد به احتياج أخر وهذا يعتبره الله تقدمة له تشبع قلبه المتعطش لمحبتنا، ولذلك وحد نفسه بالمحتاجين وقال " لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَاناً فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضاً فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ: يَارَبُّ مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً فَأَطْعَمْنَاكَ أَوْ عَطْشَاناً فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيباً فَآوَيْنَاكَ أَوْ عُرْيَاناً فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضاً أَوْ

مَحْبُوساً فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هَؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ.(متى٢٥: ٣٥-٤٠).

المحور الثاني في محبة المحتاجين أن نهض بهم ليكونوا قادرين علي المشاركة، وتسديد احتياجاتهم. من أوجه محبة الفقراء أن نهتم بتعليمهم وتثقيفهم، فالجهل فقر أصعب من الفقر إلي المال. أن نوفر لهم فرص عمل ونعلمهم احتراف مهنة بدلا من احتراف التسول، أن ندمجهم مع المجتمع ونزيد من شعورهم بالكرامة والقيمة، بدلا من شعورهم بالاستكانة والمذلة.

ثانيا: راجع اتجاهاتك وأساليبك في المشاركة

إن كانت محبة الآخر تظهر في كيفية مشاركته في الحياة، فالأمر يحتاج أن نراجع أنفسنا كيف نتشارك وما هي اتجاهاتنا في المشاركة فالمحبة تقاس بقدر المشاركة ونحن نحب بقدر مشاركتنا.

المشاركة ضد البخل، فحينما يكون عندنا ولا نريد مشاركة الآخرين فيما عندنا فنحن بخلاء وخطاه فالكتاب يقول : فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَناً وَلاَ يَعْمَلُ، فَذَلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ. (يعقوب ٤ : ١٧) أو نشارك مشاركة ضئيلة لا تتناسب مع إمكانياتنا وقدراتنا فنحن بخلاء وغير كرماء.

المشاركة والعطاء في المحبة لابد أن تكون بسخاء " الْمُعْطِي فَبِسَخَاءٍ الْمُدَبِّرُ فَبِاجْتِهَادٍ الرَّاحِمُ فَبِسُرُورٍ." (رومية ١٢ : ٨)

نحتاج في محبتنا للآخر أن لا نبخل بأن نشارك باختبارات إيماننا، ولا بأماناتنا مع الجميع، ولا بعطائنا للمحتاجين. نحتاج أن نتعلم إلا نقصر عطاءنا علي العطاء المادي في بعض الأحيان وأن نجتهد لنبحث عن المحتاجين لعطائنا وأن نعطي بحسب احتياجهم. ولا يكون عطاؤنا في صندوق بل في محتاج.. عطاء ومشاركة لمحتاج، أو لاحتياج عند البعض نعلمه ونفهمه جيدا ونكون تأثرنا به ونرغب المساهمة في تسديده. لابد أن نعطي ونحن نعرف من نعطي ولماذا نعطيه فهكذا يكون العطاء فعل محبة محددة للآخر. لابد أن نعطي من أنفسنا عطاءً روحيا أو معنويا أو ماديا.. لا أن نعطي من مالنا، فيكون عطاؤنا عمل محبة حقيقي.

لاَ يَطْلُبْ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا هُوَ لِلآخَرِ.
(١كورنثوس١٠: ٢٤)

المشاركة يمكن أن تكون تعاون ويمكن أن تكون منافسة !! نتعاون لنتبادل ما لنا لخيرنا معا، ونتنافس لصنع الخير للجميع.

حينما نتشارك بالمحبة فنحن نتعاون مع بعضنا البعض ولا نتصدق بعضنا علي البعض، فالمشاركة ليست صدقه ولكنها تعاون، المشاركة ليست صدقة تظهر قدرتك وقوتك وعظمتك، ولكنها مساهمتك من أجل الخير للجميع، وهي ليست عطاءً من فضلاتك ولكنها عطاء من إعوازك لأن استقرار أخوك هو عوزك.

حينما نتعاون لبناء ثقتنا في الله وفي الحياة وفي الآخرين وفي أنفسنا فنحن نصنع ذلك ليس لأننا أفضل من الآخرين في الإيمان، ولكن لان الإيمان يقوى بالمشاركة، وحينما نتعاون لتحسين قيمنا الأخلاقية فنحن نصنع ذلك ليس لحسن أخلاقنا، ولكن لأن الأخلاق تدعم بالمشاركة وقيمنا تزداد وضوحا وعمقا بالتفاعل مع قيم الآخرين، وحينما نتعاون في تسديد احتياجاتنا في الحياة فذلك ليس لأننا وصلنا لحالة الاكتفاء والكمال ولكننا نسدد للبعض احتياجهم ليسددوا لنا احتياجاتنا، فإن كنا نسدد لهم احتياج مادي فهم يسددون لنا احتياج معنوي، وإن كنا نسدد لهم بعض الاحتياجات النفسية فهم يسددون لنا احتياجات روحية، فالاحتياجات تسدد بالتعاون والمشاركة.

من أجل ذلك حينما نشارك الآخرين لا ينبغي أن نشاركهم بروح متعالية نشعر بعطائنا وبقدرتنا ونري في احتياج الآخرين ضعفهم وعوزهم، ولكننا نتعاون ونحن ندرك أهمية الآخر لي ومدي احتياجي له بقدر احتياجه لي.

المشاركة تصير متعة إن تحولت إلي منافسة في صنع الخير، فنحن بالطبيعة نميل إلي المصارعة وداخلنا غريزة للصراع من أجل البقاء، فإن لم يكن هناك محبة بيننا نجد هذا الميل الغريزي يحولنا إلي صراع بعضنا بعض، ولكننا نحتاج بالمحبة أن نهذب هذا الميل ونحول هذا الصراع إلي منافسة لصنع

الخير ومصارعة مع الحياة نحارب الفساد وننتصر علي القبح والخراب ونزيد من الخير في الحياة من أجل الجميع.

نتنافس من أجل المنفعة العامة وليس من أجل الاستحواذ علي الخير لنا، نغير من بعضنا البعض في الحسني ونتنافس في صنع الجمال والكمال، ونتنافس في إبداعاتنا من أجل عمل الخير.

ثالثا: ساهم في بناء مجتمع المشاركة

تحتاج النظم الاجتماعية والشرائع التي تنظم علاقات الناس دائما إلي مراجعات لتكون أكثر عدالة مع المتغيرات الحادثة في المجتمع ومع تعقد العلاقات، فالثورة التكنولوجية الحديثة غيرت العلاقات بين الناس وصارت المعلومات والتكنولوجيا سلعة ومصدر ثروة يتنافس عليها الجميع، فقضية العدالة في المعرفة والتكنولوجيا قضية جديدة تحتاج إلي تشريعات جديدة، والعلاقات التي تغيرت بين الناس في عصر ثورة الاتصالات تحتاج إلي أعراف وقوانين جديدة.

ما علاقة ذلك بمحبة الآخر ؟

المحبة لكي تنمو وتنتشر تحتاج إلي مجتمع عادل يسهل فيه المشاركة وتحتاج إلي أعراف تنظم علاقات الناس ليسهل تواصلهم وسريان المحبة بينهم.

لابد لكل محب مستنير أن يساهم في تأسيس مجتمع عادل، ويجعل المجتمع الذي هو جزء منه مجتمع تنجح فيه المشاركة وتسري بين أفراده، لابد أن نؤسس أسرنا علي فكر المشاركة وأن ننجح في تحقيق المشاركة في كنائسنا، وكذلك لابد أن نزيد من مشاركة وتكافل العاملين في أعمالنا، وننشر فكر المشاركة والعدالة في وطننا، ومراجعة القوانين والتشريعات لتكون أكثر عدلا وواقعية.

هناك ثلاثة أمور يحتاجها المجتمع لتسهل فيه المشاركة، الأمن والآمان، والتقدير وحرية التعبير، والتكافل والتضامن.

أ- الأمن والآمان:

بسبب ثورة الاتصالات والتكنولوجيا، وتحول المعرفة إلي سلعة مربحة جدا زادت الفجوة بين الأغنياء والفقراء اتساعا، ومعها فقد الكثير من عوامل الاستقرار في المجتمعات، فحمي الاستهلاك

زادت شراسة وتطلعات الناس زادت وقدرات الناس المادية قلت، وهذا الأمر زاد من التوتر والعنف بين الناس في علاقتهم، وفي حوارالهم، وفي تعبيراتهم ومعاملاتهم اليومية وإدارة مصالحهم، وكلما زاد العنف بين الناس قل الشعور بالأمان، وزاد القلق، فكيف للناس وهي قلقة من بعضها البعض أن تحب بعضها البعض. وكيف لإنسان يعاني من صعوبة العيش وتدبير احتياجاته الأساسية أن يحب ويشارك ؟!

كذلك بسبب ثورة الاتصالات وسهولة الحصول علي المعلومات، انتهكت خصوصيات الناس، وأصبح التضليل والتزييف أمر سهل وسريع الانتشار ومعه أصيب الناس بحيرة وضلال، وفقدت المصداقية، فكيف للحب والمشاركة أن تنتشر وسط الخداع والكذب والاستباحة والإباحية؟!

يحتاج الحب والمشاركة أن نسن قوانين ونظم تحد من العنف، وتضمن العدالة في المعاملات، وتحد من الاستغلال. لابد أن نتشارك في مناقشة هذه القضايا حتى يتكون رأي عام مناهض لها، ومعه تبدأ المطالبة السياسية والكفاح السياسي حتى تسن هذه القوانين.

ب- التقدير والتعبير:

كانت الناس تعاني قديما من القهر وخاصة من أصحاب السلطة، وفي عصر الاتصالات مازالت الناس تعاني من القهر ولكن ليس من أصحاب السلطة فقط بل من أصحاب الصوت العالي، المتشددون والمتشنجون والذين يملكون القنوات الفضائية ومواقع الانترنت. ولا يعطون فرصة لا للحوار ولا لتبادل الآراء.

أخلاق الناس تتحسن في المجتمع الذي يسمح لهم بالتعبير عن أنفسهم بحرية وفي المجتمع الذي يساعدهم علي التميز والتفوق والإبداع.

لقد أصبح الآن من السهل للناس أن تتكلم وتعبر عن نفسها بالكتابة في المدونات أو المشاركة في المنتديات أو غرف الشات ولكن من يسمع ومن يتحاور، الكل يتكلم ولا أحد يسمع ولا أحد يصغي ويحلل ويناقش وينتقد بموضوعيه، الكل يصرخ لإثبات الذات وليعلن أنه متواجد وموجود.

المحبة تحتاج إلي تواصل حقيقي، فنحتاج في مجتمعاتنا أن نثبت ثقافة الحوار وننمي مهارات الحوار، قبل أن نقتل بعضنا بعض من أجل كلمات وألفاظ.

نحتاج في مجتمعاتنا أن نشجع المتميزين والمبدعين، ولا نسمح لأصحاب الأصوات العالية والحاقدين أن يدمروا المتميزين والمبدعين بانتقاداهم الغير موضوعيه ومحاولة تشويه صورهم، فمن عجائب هذا العصر محاولة تدمير رموز المجتمع من مفكرين ومبدعين، فكيف لمجتمع أن يسمو بدون رموز يكونون قدوة للآخرين وبدون ناجحين يلهمون الناس ويدفعوهم للنجاح مثلهم.

في زمن صناعة النجوم والنجومية، أصبح التميز صناعة إعلامية وليس نتيجة العمل والإبداع، نحتاج أن نحمي المواهب في زمن النجوم، والمجتهدون في رمن الأضواء، ونقوى قيم العمل الجاد ونشجع علي الإبداع لئلا يفقد المجتمع رواده الحقيقيين وقادة نهضته.

ج-التكافل والتضامن:

إن كان خير الأرض هو لكل الناس الذين يسكنون الأرض إلا أننا نجد أن أقلية قليلة تستحوذ علي معظم خيرات الأرض، فطبيعة الإنسان حبه للتملك وأنانيته تمعه من مشاركة الناس فيما يملك، ولذلك يسعي الإنسان علي الاستحواذ علي أكبر قدر من ثروة الأرض، والثروات بطبيعتها تتجمع وتتضخم وكلما زادت وتضخمت في يد فئة قليلة أزداد عدد الفقراء وازداد الفقر حدة، والبشرية حائرة بين أن تسيطر الدولة علي الثروة ورأس المال من أجل الجميع كما حدث في المجتمعات الشيوعية فنتج عن ذلك انتشار الفساد وقتلت روح الإبداع والمنافسة بين الناس، وكذلك علي النقيض فالرأسمالية التي تشجع علي الملكية الفردية وإن زادت معها النهضة العلمية والمخترعات ولكن زاد معها الظلم الاجتماعي وحدة الفقر. فهناك مشكلة إنسانية في التملك وامتلاك الثروة و لم تصل إلي حل عادل وعملي في الواقع، للموازنة بين احترام الملكية الخاصة للحفاظ علي روح المنافسة والاجتهاد وبين الحيلولة دون تضخم الثروة في أيدي قلة من الناس تزيد من الفقر والظلم الاجتماعي.

وحتى تصل البشرية يوما إلي عدالة الثروة بين الناس لابد أن توجد قوانين تنظم العلاقة بين الأغنياء والفقراء، فالأمر لا يكفي بتنمية الحس الروحي ولا بالاجتهاد الفردي ولكن تحقيق المحبة يحتاج قوانين ونظم تضمن التكافل بين الناس وتصون الكرامة الإنسانية في نفس الوقت. نحتاج لتأسيس محبة عادلة بين الناس أن ننشر فكر التكافل والتضامن، واحترام كرامة الإنسان، وأن نزيد من نظم التكافل والتضامن الاجتماعي والتي تصون كرامة الإنسان، ولابد أن نسعى لسن قوانين

أكثر عدلا في تعاملها مع الأغنياء وتزيد من مشاركتهم الاجتماعية وفي قوانين تسهم في تأمين حياة وكرامة الفقراء.

نحتاج أن نشجع الناس علي مبدأ التكافل لأهميته الروحية ففي الاهتمام بالفقراء اهتمام بالله الذي يتضامن مع الفقراء، كما أن التكافل يضمن السلام الاجتماعي، كذلك يحتاج الناس معرفة طرق للتكافل ونظم تحقق التكافل يساهم فيها كل واحد بدوره، فهناك الكثير من الناس تريد أن تعطي وتشارك ولكن لا تعرف كيف تعطي وأين تشارك. فالمحبة أن نسلط الضوء علي احتياجات المحتاجين ونبدع في **عمل نظم تكافل** معه تحفظ حقوقهم. كذلك يتحقق التكافل بوجود قوانين للضرائب عادلة ومتوازنة في المجتمع والمحبة أن نوفي بالضرائب والأهم أن نتشارك في مناقشة كيف نجعلها أكثر عدلا علي الجميع وتحقق مشاركة الجميع.

كذلك لابد أن نزيد وعي الناس بكرامتهم، وباحترام كرامة الآخرين. الكرامة أن لا يهين من يملك من لا يملك، والعدل أن لا يستغل من يملك من يحتاج. الكرامة أن يأخذ كل واحد حقه في الحياة دون أن يتذلل لأحد. العدل أن يضمن المجتمع الحاجات الأساسية لكل الناس، ولذا يحتاج المجتمع أن تكون به نظم لتوفير الرعاية الأساسية للناس من صحة وتعليم وضمان ضد البطالة للجميع دون معاناة. ثم عندما نصل لمجتمع الوفرة نبدأ نوفر الحاجات النفسية التي تزيد مى رفاهية الناس وتحسن نوعية حياتهم وتزيد من سعادتهم.

الفهرس

تقديم.. ٧
مقدمة ٩

الباب الأول : أبواب المحبة

الفصل الأول : حقيقة الحب ١٦
الحب اختبار لا يُعرف ١٦
المحبة قوة روحية ونعمة إلهية: ١٧
ما هي طبيعة المحبة وما هي تفاعلاتها؟ ١٨
قانون التجاذب في الحب
ما هي سمات التجاذب في الحب؟ ٢٠
التجاذب فن مثير : ٢١
كيف يحدث التجاذب؟ ٢٣
قانون الترابط في الحب
أ- الالتزام والأمانة في الحب ٢٨
ب- التواصل من أجل الآلفة: ٣٠
ج- البذل عطاء شخصي: ٣٢
قانون الإثمار في الحب
١ - المعرفة ثمرة المحبة: ٣٥
وعي حقيقية الذات ٣٦
وعي اختلاف الآخر وقبوله ٣٧
وعي معني وقيمة الحياة : ٣٧

٢- الخير ثمرة الحب : ٣٨
٣- شخصيتك ثمرة حبك.. ٤٤
٤- إبداعاتك ثمار لحبك:.. ٤٥
٥- الحياة ثمرة الحب:.. ٤٦
الفصل الثاني : حقيقية الكراهية.. ٤٨
افهم مشاعرك، فالكراهية تنافر نفسي.. ٤٩
حصن روحك: الكراهية شر من زرع الشيطان.. ٥٢
هل يبغض الله؟ !.. ٥٤
الفصل الثالث: حقيقة المحبة الإلهية.. ٥٨
آلهة الحب في الأساطير والديانات الإنسانية.. ٥٨
الله محبة.. ٥٩
١- المحبة سر وحدانية الله.. ٦٠
لماذا ينبغي أن نفهم وحدانية الله؟.. ٦٦
٢- المحبة سر شخص الله ٧٠
الله قدوس في حبه، ومحب في قداسته.. ٧٣
الله صالح في حبه، ومحب في صلاحه : ٨٠
الله محق في حبه، ومحب في حقه : ٨٤
٣- المحبة سر أعمال الله.. ٨٩
المحب الخالق.. ٩١
المحب المخلص.. ٩٣
٤- المحبة سر علاقته بنا.. ٩٥
١-الله يجذبنا إليه: ٩٥

٢ـالله يتواصل معنا: ٩٧
٣-الله يلتزم بنا ٩٩
٤-الله يمجدنا معه: ١٠١

الباب الثاني: حياة المحبة

الفصل الأول: الثبات في محبة الله.. ١٠٦
الثبات في حضرة الله ١١٠
الثبات في معرفة الله ١١٢
الدوام في محبة الله ١١٣
اشتعال القلب بمحبة الله.. ١١٧
الفصل الثاني :محبة الآخر ١٢٠
المساواة في محبة الآخر ١٢٣
١- راجع أفكارك عن المساواة : ١٢٤
٢- راجع كيف تمارس المساواة في علاقاتك الشخصية؟ ١٢٨
٣- راجع مساهمتك في خلق مجتمع المساواة.. .... ١٣١
التسامح في محبة الآخر ١٣٧
أولا: افهم معاناة التسامح.. ١٣٧
المشكلة الأولي: اختلاف المعتقدات.. ١٣٩
المشكلة الثانية: اختلاف القيم والأخلاق.. ١٤١
المشكلة الثالثة : اختلاف القوى والمصالح ١٤٢
المشكلة الرابعة: اختلاف الثقافات ١٤٤
ثانيا: ضع حدود للتسامح.. ١٤٦
ثالثا: ساهم في تأسيس مجتمع متسامح.. ١٤٧

التسامح بين الأغلبية والأقلية : ١٤٨
التسامح بين السلطة والمعارضة : ١٥٠
المشاركة في محبة الآخر ١٥٣
محبة الآخر مشاركة في مواجهة مخاوف الحياة............ ١٥٤
محبة الآخر مشاركة في الصلاح والتميز............ ١٥٩
محبة الآخر مشاركة في إشباع الاحتياجات الأساسية............ ١٦٢
راجع اتجاهاتك وأساليبك في المشاركة ١٦٧
ساهم في بناء مجتمع المشاركة ١٦٩
أ- الأمن والآمان: ١٦٩
ب- التقدير والتعبير: ١٧٠
ج-التكافل والتضامن: ١٧١

علي باب المحبة ..

راجع نفسك .. هل حقا تحب ؟!

هل تعي معني الحب ؟

هل نجحت في البذل ؟

هل أثمر حبك ؟

علي باب المحبة ..

إنتبه.. هل أنت واقف حقا علي باب المحبة ؟!

إحترس لئلا تدخل من باب الكراهية وتسجن فيها ..

علي باب المحبة ..

أنظر وتأمل روعة المحبة الإلهية

المحبة المتحققة في الله ..

شخصية الله المحب..

محبة الله العاملة..

محبة الله لنا..

علي باب المحبة ..

الله يدعوك أن تثبت في محبته

فكيف تثبت في حضرته؟

وكيف تثبت في معرفته؟

وكيف تثبت في وصاله؟

وكيف يشتعل قلبك بمح

علي باب المحبة ..

هناك آخر واقف منتظر مح

هل تقبله كأخ لك؟

هل تتسامح معه ؟

هل تشاركه حياتك ؟